

سلسلة الترشد للرسائل الجامعية (١٢٧٠)

المنهج الشرعي
للأعيان عند الفاتن

تأليف
عبد الله بن حمود الفرج

مكتبة الشفاء
تأليف

المنهج الشرعي
للداعية عند الفتن
|||

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير
في قسم الدعوة والاحتساب

المنهج الشرعي للداعية عند الفتن

تأليف
عبدالله بن حمود الفريح

مكتبة الشفاء
ناشرون





المقدمة

أهمية الموضوع:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد...

فقد تنوعت أساليب النبي ﷺ في تحذيره من الفتن وبيان المنهج القويم في الخروج منها، تارة في بيان مواطن الفرار منها، وتارة في بيان عواقبها، وتارة في بيان حال من سلم منها، وتارة بيان سرعة الانغماس فيها واغترار الناس بها، وتارة في تقليبها على دين العبد حتى يمسي مؤمناً ويصبح كافراً أو يصبح مؤمناً ويمسي كافراً، وتارة في بيان نتائجها وأن بعضها يرقق بعضاً، وتارة في بيان أن الأنبياء تتابعوا على بيان فتنة من الفتن لأقوامهم وأنه ﷺ يبينها إلى غير ذلك من الأساليب، وما هذا التنوع إلا لخفاء الفتن ودقتها والخوف من نهج المسلم مناهج يجتهد فيها ثم هو يجانب الصواب فيها لمخالفة النهج النبوي.

ولما كان الداعية يدل الناس على الخير ويحذرهم من الشر، وأشدّهم اتباعاً لهديه ﷺ، كان أخرى الناس في معرفة النهج الشرعي عند الفتن لينقذ نفسه مما وقع فيه غيره من الدعاة، وليرشد الناس لنهج قوامه الكتاب والسنة حيال الفتن.

ولقد أبان النبي ﷺ المنهج القويم في التعامل مع الفتن فكان مما

قال: «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف^(١) الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن»^(٢) وقال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُضْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُضْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»^(٣) وقال: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنٌ أَلَا تُمْ تَكُونُ فِتْنَةُ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي فِيهَا وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا أَلَا فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ». قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلَا غَنَمٌ وَلَا أَرْضٌ قَالَ: «يَعْمِدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ ثُمَّ لِيَنْجُو إِنْ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ». قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ أَكْرِهْتُ حَتَّى يُنْطَلَقَ بِي إِلَى أَحَدِ الصَّفَيْنِ أَوْ إِحْدَى الْفِئَتَيْنِ فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ أَوْ يَجِيءُ سَهْمٌ فَيَقْتُلُنِي قَالَ: «يَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»^(٤).

والداعية من أهم أصناف الناس فهماً للفتن وحفظاً منها واتباعاً لمنهج النبوة القويم ونشراً له بين الناس؛ كونه الداعي للخير والمحذر من الشر بينهم، وقصور فهمهم للمنهج الشرعي يوقعه في خلل قد يكون فتنة له ولغيره من عامة الناس بسلوكهم ما يظنونه منه حقاً فيتسبب في ضلالهم، فتعم الفتنة ويصعب استدراكها، واستدراك ما وقع الناس فيه.

(١) قال ابن حجر: «شعف الجبال: أي رؤوسها وأطرافها»، فتح الباري ١/١٣٩.

(٢) أخرجه البخاري. كتاب الإيمان، باب: مِنَ الدِّينِ الْفِرَارُ مِنَ الْفِتَنِ، رقم (١٩).

(٣) أخرجه مسلم. كتاب الإيمان، باب الْحَثُّ عَلَى الْمُبَادَرَةِ بِالْأَعْمَالِ قَبْلَ تَظَاهُرِ الْفِتَنِ، رقم (٣٢٨).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشرط الساعة، باب نُزُولِ الْفِتَنِ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ، رقم (٧٤٣٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: (الفتنة إذا وقعت عجز العقلاء فيها عن دفع السفهاء فصار الأكابر عاجزين عن إطفاء الفتنة وكف أهلها وهذا شأن الفتن كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥] وإذا وقعت الفتنة لم يسلم من التلوث بها إلا من عصمه الله^(١).

وتكمن أهمية الموضوع في كونه يوضح فقه الداعية في عصر الفتن وموقفه منها وسبل سلامته من شرها، ودلالة الناس على المنهج الشرعي، وعدم وقوعه في الخلل الذي ربما ضل به وأضل باتباعه غير منهج النبي صلى الله عليه وسلم بفهم سلف الأمة له عند الفتن، وحاجة السائرين على طريق الدعوة إلى قيس شرعي ينير لهم دروبهم في ظلمات الفتن الحالكة، وحاجتهم للثبات زمن الفتن والرجوع لأهل العلم الراسخين فيه، فإن المتأمل يجد أثر الفتن على الداعية مما سبب ضعف بعض الدعاة في التمسك بالدين ونشر نهج النبي صلى الله عليه وسلم.

أسباب اختيار الموضوع:

- ١- أهمية التفقه في الفتن وهذا يتضح من كثرة النصوص الدالة على التحذير من الفتن والاستشراف لها.
- ٢- حاجة المسلم والداعية على وجه الخصوص لمعرفة المنهج الشرعي للتعامل مع الفتن.
- ٣- كثرة أبواب الفتن لاسيما في هذا العصر.

(١) منهاج السنة النبوية، شيخ الإسلام بن تيمية، تحقيق: أ.د. محمد رشاد سالم، ٤/ ١٨٧، ط١، مؤسسة قرطبة.

- ٤- خفاء مداخل بعض الفتن ودقتها.
- ٥- عدم وجود دراسة خاصة بالداعية وبيان المنهج الشرعي عند الفتن.
- ٦- الرغبة في دراسة المنهج الشرعي دراسة مستندة للكتاب والسنة.

أهداف البحث:

- ١- التعريف بالداعية، وبالفتن، وبالمنهج الشرعي.
- ٢- التعرف على كيفية تعامل السلف الصالح عليهم السلام عند الفتن.
- ٣- التعريف بأنواع الفتن، وبيان منهج الداعية الشرعي منها.
- ٤- إبراز الضوابط والواجبات الشرعية لمنهج الداعية عند الفتن.

تساؤلات البحث:

- ١- ما التعريف اللغوي والاصطلاحي للداعية، وللفتن، وللمنهج الشرعي؟
- ٢- كيف كان تعامل السلف الصالح عليهم السلام عند الفتن؟
- ٣- ما أنواع الفتن؟ وما منهج الداعية الشرعي منها؟
- ٤- ما الضوابط والواجبات الشرعية لمنهج الداعية عند الفتن؟

الدراسات السابقة:

- هناك العديد من الدراسات في باب الفتن بشكل عام، لكن ما يخص الداعية منها وبيان المنهج الشرعي حيال الفتن فإن الباحث بعد تقصي في مراكز البحوث المعتمدة - كمركز الملك فيصل للدراسات والبحوث ومكتبة الملك عبد العزيز، ومكتبة الملك فهد الوطنية، وبعد الإطلاع على قائمة البحوث والرسائل الجامعية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وجامعة أم القرى، والجامعة

الإسلامية وغيرها من المراكز التي بحث الباحث فيها - لم يقف على دراسة في هذا المضمون، وأهم الدراسات المقارنة لدراسة الباحث ما يلي:

- الدراسة الأولى: «فقه الفتن» دراسة في ضوء نصوص الوحي والمعطيات التاريخية لسلف الأمة، لعبدالواحد الإدريسي، رسالة علمية تقدم بها الباحث لنيل درجة الدكتوراه من جامعة ابن أزهر في المغرب، وهي رسالة استخدم فيها الباحث المنهج الوثائقي.
 - أوجه الاتفاق والاختلاف بين الدراستين:
- أولاً: أوجه الاتفاق:

- أ- في الباب التمهيدي ذكر الباحث مفهوم الفتن في اللغة ومفهوم الفتن في القرآن في نحو من (٣٠) صفحة.
 - ب- في الباب الثالث الفصل الأول المبحث الثالث ذكر الباحث بعض أحكام الفتن ومن ذلك لزوم جماعة المسلمين في (٢٤) صفحة.
 - ت- في الباب الثالث الفصل الثاني ذكر الباحث ما يسن في الفتن وبعض الضوابط في فقه الفتن في نحو من (٤٠) صفحة.
- ثانياً: أوجه الاختلاف:

- أ - أن الدراسة تكلمت عن الفتن بترتيب تاريخي ابتداء من طلوع الفتن في عهد الرعيل الأول إلى فتن التتار والحروب الصليبية إلى الفتن المعاصرة، والدراسة وقعت في ثلاثة أبواب، البابان الأولان فيما لا يخص دراستي بل هو عرض للفتن في الأزمان

السابقة بالإضافة لبيان فقه الفتن في سياق مسالك الشريعة الإسلامية بشكل عام.

ب - أن الدراسة في عرض الباحث للفتن لم يقصد منها الفتن المرادة عند الإطلاق حيث قال في ص (١٧): «... كما لا أريد بلفظ الفتن جميع الأنواع التي تدرج ضمنه عند الإطلاق كفتنة النساء وفتنة المال وفتنة الشيطان...» أهـ، وهذا الافتراق منهجي أي أن المنهج في فكرتي البحثية هو تتبع جلّ الفتن التي تمر بالداعية وهذا يختلف تماماً عن مراد الدراسة السابقة.

أ - أن الدراسة لم تخاطب الداعية على وجه الخصوص وتوضح واجبه تجاه الفتن.

- الدراسة الثانية: «موقف المسلم من الفتن في ضوء الكتاب والسنة» لحسين الحازمي، رسالة علمية تقدم بها الباحث لنيل درجة الماجستير استخدم الباحث فيها المنهج الوثائقي.

أوجه الاتفاق والاختلاف بين الدراستين:

أولاً: أوجه الاتفاق:

- أ - ذكرت الدراسة مفهوم الفتن في اللغة والاصطلاح.
- ب - ذكرت الدراسة في الباب الثاني ما يجب على المسلم تجاه الفتن، ونفس هذا المضمون ذكرته في الفصل الثالث المبحث الأول: واجبات يشترك فيها الداعية والمدعو عند الفتن.
- ت - ذكرت الدراسة جملة من الفتن أبرزها فتنة التفرق والاختلاف وفتنة النساء وفتنة المال وفتنة القتال.

ثانياً: أوجه الاختلاف:

- أ- أن الدراسة لم تستوفِ جميع الفتن النازلة فلم تذكر الدراسة مثلاً فتنة المحبوبات وفتنة الشياطين وفتنة الأئمة المضلين وغيرها من الفتن مما هو في أصل دراستي، وله صلة وثيقة بالداعية.
- ب- لم تتعرض الدراسة لأثر الفتن على الداعية ومدى تأثر العامة بانحراف نهج الدعاة وسلوكهم غير المنهج الشرعي والآثار السلبية المترتبة على ذلك.
- ت- لم توضح الدراسة واجب الدعاة على وجه الخصوص حيال الفتن وتوجيههم لعامة الناس وبيان المنهج الشرعي الواجب سلوكه عند الفتن، وإنما الخطاب في الدراسة لكل مسلم على وجه العموم.
- الدراسة الثالثة: «فقه الدعوة من أحاديث الفتن في الصحيحين» لزين العابدين بن غرم الله الغامدي، رسالة علمية تقدم بها الباحث لنيل درجة الماجستير استخدم الباحث فيها المنهج الاستنباطي التأصيلي.
- أوجه الاتفاق والاختلاف بين الدراستين:

أولاً: أوجه الاتفاق:

- أ- ذكرت الدراسة مفهوم الفتن في اللغة والاصطلاح.
- ب- ذكرت الدراسة في المبحث الثاني من الفصل الأول أنواعاً من الفتن كفتنة القتل وفتنة النساء والدنيا والمال والمسيح الدجال

ويأجوج ومأجوج.

ت- ذكرت الدراسة في المطلب الرابع من المبحث الثاني في الفصل الثاني لزوم الجماعة وحرمة الخروج على الأئمة.

ث- ذكرت الدراسة في المبحث الثالث من الفصل الثاني فقه الاعتصام بالكتاب والسنة عند ظهور الفتن.

ثانياً: أوجه الاختلاف:

أ- اقتصرت الدراسة على فقه الدعوة في الصحيحين، وفكرتي البحثية تتناول غير الصحيحين أيضاً مما فيه بيان المنهج الشرعي.

ب- الدراسة في مضمون فقه الدعوة بشكل عام، بينما فكرتي البحثية في بيان المنهج الشرعي فقط.

ت- الدراسة فيها خطاب عام للدعاة والمدعويين وبيان فقه الدعوة الموجود في أحاديث الصحيحين، بينما فكرتي البحثية خطاب موجه للداعية وبيان المنهج الشرعي الوارد في الكتاب والسنة.

منهج البحث

سوف أعتمد - بإذن الله تعالى - في بحثي على المنهج الاستنباطي وهو المنهج الذي " يقوم على التأمل في أمور جزئية ثابتة؛ لاستنتاج أحكام منها " ^(١) وفي هذا البحث سيعتمد الباحث على الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة الصحيحة لاستنتاج المنهج الشرعي للداعية عند الفتن.

(١) البحث العلمي، د. عبدالعزيز بن عبدالرحمن الربيع، ١/١٧٨، ط٢، المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤٢٠هـ.

تقسيمات الدراسة:

الفصل التمهيدي

ويشمل:

- التعريف بالداعية.
- التعريف بالفتن.
- التعريف بالمنهج الشرعي.
- عناية السلف بالمنهج الشرعي عند الفتن.

الفصل الأول

أنواع الفتن ومنهج الداعية الشرعي منها، وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: الفتن الحاضرة، ومنهج الداعية الشرعي منها.
- المبحث الثاني: الفتن المقبلة، ومنهج الداعية الشرعي منها.

الفصل الثاني

الواجبات والضوابط الشرعية لمنهج الداعية عند الفتن، وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: الواجبات الشرعية لمنهج الداعية عند الفتن.
- المبحث الثاني: الضوابط الشرعية لمنهج الداعية عند الفتن.
- الخاتمة : وتشمل أهم: النتائج والتوصيات.

الفصل التمهيدي

ويشمل:

- ❖ التعريف بالداعية.
- ❖ التعريف بالفتن.
- ❖ التعريف بالمنهج الشرعي.
- ❖ عناية السلف بالمنهج الشرعي عند الفتن.

الفصل التمهيدي

أولاً: التعريف بالداعية:

الداعية لغة: مشتق من الدعوة، والدعوة لغة: تأتي على عدة معانٍ منها: : إمالة الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك، والدعوة إلى الطعام، والنداء، والحث على قصد الشيء^(١).

والدعوة في الاصطلاح جاءت على عدة تعريفات تدور على الإسلام ونشره بالقول والفعل بين الناس.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: (الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ هِيَ الدَّعْوَةُ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ وَبِمَا جَاءَتْ بِهِ رُسُلُهُ بِتَضَدِّيْقِهِمْ فِيمَا أَخْبَرُوا بِهِ وَطَاعَتِهِمْ فِيمَا أَمَرُوا وَذَلِكَ يَتَضَمَّنُ الدَّعْوَةَ إِلَى الشَّهَادَتَيْنِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَصَوْمَ رَمَضَانَ وَحَجَّ الْبَيْتِ وَالدَّعْوَةَ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْبُعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْإِيمَانَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَالدَّعْوَةَ إِلَى أَنْ يَعْبُدَ الْعَبْدُ رَبَّهُ كَأَنَّهُ يَرَاهُ)^(٢).

(١) انظر هذه المعاني في: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، مادة (دعا)، ١٤/١٥٧-١٥٩، ط ١، دار صادر، بيروت، والقاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مادة (الدعاء)، ص ١٢٨٣، ط ٦، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م. والمعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية، مادة (دعا)، ١/٢٨٦-٢٨٧، دار الدعوة.

(٢) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار، ١٥/١٥٦-١٥٧، ط ٣، دار الوفاء، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.

والداعية في اللغة: الذي يدعو إلى دين أو فكرة^(١)، والدُّعاة قومٌ يَدْعُونَ إلى بيعة هُدىٍّ أو ضلالةٍ واحدُهم داعٍ ورجل داعيةٌ إذا كان يَدْعُو الناسَ إلى بدعةٍ أو دينٍ، أُدْخِلَتِ الهاءُ فيه للمبالغة والنبي ﷺ داعي الله تعالى وكذلك المؤذّن، وفي التهذيب المؤذّن داعي الله والنبي ﷺ داعي الأُمّةِ إلى توحيدِ الله وطاعته^(٢).

إذن لفظ الداعية في أصله لفظ عام يشمل دعاة الحق ودعاة الباطل، فكل من دعا إلى أمر فهو داعية لغة، سواء دعا إلى خير أو إلى شر، ويشهد لهذا قول الله تعالى عن المشركين: ﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٢١].

وفي السنة ما يدل على ذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»^(٣).

والمراد في هذا البحث الداعية إلى الحق: وهو المُبلِّغ للإسلام والمُعَلِّم له، والساعي لتطبيقه.

(١) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية، مادة (دعا)، ٢٨٦/١.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة (دعا)، ١٥٧/١٤.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب العلم، باب مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً أَوْ سَيِّئَةً وَمَنْ دَعَا إِلَى هُدًى أَوْ ضَلَالَةٍ، رقم (٦٩٨٠)، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل بيروت و دار الأفاق الجديدة، بيروت.

ثانياً: التعريف بالفتن:

الفتن لغة:

الفتن في اللغة جمع فتنة، وهي في اللسان العربي أتت على عدة معان، منها ما يأتي:

١- الابتلاء، وهو المعنى الأشهر، تقول: (فتن زيد عمراً) إذا ابتلى صدقه وأمانته. ومنه قوله تعالى: ﴿أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَآمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢].

٢- اختلاف الناس وتنازعهم، لاسيما إذا كان منشأ الهوى، فيكون الاختلاف بين الناس واختلاط الحق والباطل فتنة، تقول (افتتن القوم) إذا اختلفوا وتنازعوا. ومنه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: (فإنه يحصل بذلك من الشر ما لا ينحصر، من اختلاط الحق بالباطل، والمؤمن بالكافر)^(١).

٣- الإحراق بالنار، تقول: (فتنت الذهب والفضة) إذا أحرقتهما. ومنه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣].

٤- الإعجاب بالشيء، تقول: (فتنت بصنيعة) أي أعجبت بصنيعة.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: د. عبد الرحمن ابن معلا اللويحق، ص ٣٢٧، ط ١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ٨٥]، أي لا تظهرهم علينا فيعجبوا ويظنوا أنهم خير منا، والفتنة هنا إعجاب الكفار بكفرهم.

٥- الفضيحة، تقول: (فتنت فلاناً) إذا فضحته.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً﴾ [المائدة: ٤١]، أي ومن يرد فضيحته.

٦- الجنون، يقال: (رجل مفتون) أي مجنون.

ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ [القلم: ٦]، أي المجنون.

٧- العذاب، تقول: (فتن السيّد عبده) إذا عذبه.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَتَذُن لِّي وَلَا نَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبة: ٤٩]، وقوله: ﴿فَإِذَا أُودِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ كَذَابِ اللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠].

٨- القتل، تقول (افتتن الجيشان) إذا اقتتلا.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا صَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء: ١٠١].

٩- الضلال^(١): تقول (وسوسة الشيطان للإنسان فتنة له) أي إضلال له.

(١) وتأتي الفتنة في القرآن بمعانٍ أخرى غير ما سبق، كالشرك، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقُلُوبُهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي حتى لا يكون شرك، وبمعنى الصدود، كقوله تعالى: ﴿وَاحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾، وبمعنى القضاء، كقوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾، وبمعنى المعذرة كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، وانظر مزيداً: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، =

ومنه قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧]

قال الحافظ بن كثير رحمته الله: في تفسير (ابتغاء الفتنة): (أي الإضلال لأتباعهم، إيهاماً لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن، وهذا حجة عليهم لا لهم)^(١).

١٠- الإزالة^(٢)، يقال: (فتن الأمير الرجل) إذا أزاله عما كان عليه.

هذه أبرز المعاني التي فسر فيها العرب الفتنة في لسانهم، إلا أن المعنى الأول وهو (الابتلاء) هو جماع هذه المعاني وأشهرها إذ أن كل معنى من المعاني السابقة داخل في مضمون الابتلاء، وهو ما قد صرح به غير واحد من أهل اللغة، قال ابن منظور: («فتن» الأزهري وغيره جماعٌ معنى الفتنَة الابتلاء والامْتِحَانُ والاختبار)^(٣).

= مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، ١٦٧/٤-١٦٩، المكتبة العلمية، لبنان، بيروت.

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ٨/٢، ط ٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٢) انظر هذه المعاني اللغوية في: لسان العرب، ابن منظور، مادة (فتن)، ٣١٧/١٣ - ٣٢٠، والقاموس المحيط، للفيروزآبادي، مادة (الفتن)، ص ١٢٢٠-١٢٢١، وتاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، مادة (فتن) ٣٥/٤٨٩، دار الهداية.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، مادة (فتن)، ٣١٧/١٣.

الفتن اصطلاحاً:

الفتنة: هي ما يبين به حال الإنسان من الخير والشر^(١).

وقيل: هي معاملة تُظهر الأمور الباطنة^(٢).

وقيل غير ذلك إلا أن المعنى الاصطلاحي لا يخرج عن المعنى اللغوي الجامع وهو الابتلاء، وعليه يقال: الفتنة هي ما يبتلى بها المسلم من خير أو شر في دينه أو دنياه، ذلك أن الفتنة تكون في الخير كما تكون في الشر، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، ولربما كانت الفتنة في الخير أشد من الفتنة في الشر، ويؤيد ذلك ما أخبر به الصحابي الجليل عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: «ابْتُلِينَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالضَّرَاءِ فَصَبَرْنَا، ثُمَّ ابْتُلِينَا بِالسَّرَاءِ بَعْدَهُ فَلَمْ نَصْبِرْ»^(٣).

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: (ومعنى الفتنة في الأصل الاختبار والامتحان ثم استعملت في كل أمر يكشفه الامتحان عن سوء وتطلق على الكفر والغلو في التأويل البعيد وعلى الفضيحة والبلية والعذاب والقتال والتحول من الحسن إلى القبيح والميل إلى الشيء والاعجاب به وتكون

(١) التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ص ٢١٢، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

(٢) التوقيف على مهمات التعريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، ص ٥٤٩، ط ١، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، ١٤١٠هـ.

(٣) أخرجه الترمذي وحسنه، أبواب صفة القيامة، رقم (٢٤٦٤). الجامع الصحيح سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، قال الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٥/ ٤٦٤): «حسن الإسناد».

في الخير والشر كقوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾^(١).

ثالثاً: التعريف بالمنهج الشرعي:

المنهج لغة:

قال في الصحاح: (النَهْجُ: الطريق الواضح، وكذلك المَنْهَجُ والمنهاجُ، وأنْهَجَ الطريقُ، أي استبانَ وصارَ نَهْجاً واضحاً يَبِينُ)^(٢).

وفي القاموس المحيط: (النَّهْجُ: الطَّرِيقُ الواضِحُ، كالمَنْهَجِ والمنهاجِ)^(٣).

وفي لسان العرب: (طريقٌ نَهْجٌ: بَيِّنٌ واضِحٌ، وهو النَّهْجُ... والجمعُ نَهْجَاتٌ ونُهْجٌ ونُهْجٌ... وَمَنْهَجٌ الطريقُ: وَضَحُهُ، والمنهاجُ: كالمَنْهَجِ، وفي التنزيل: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَاجاً﴾ [المائدة: ٤٨]، وأنْهَجَ الطريقُ: وَضَحَ واستَبَانَ وصارَ نَهْجاً واضحاً يَبِينُ)^(٤).

ومما سبق يتضح أن المنهج هو الطريق الواضح.

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ٨/٢، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ م.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، مادة (نهج)، ٣٤٦/١، ط ٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

(٣) القاموس المحيط، للفيروزآبادي، مادة (النهج)، ص ٢٠٨، وانظر المفردات في غريب القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، ٦٥٦/٢، تحقيق: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، مكتبة نزار مصطفى الباز.

(٤) لسان العرب، ابن منظور، مادة (نهج)، ٣٨٣/٢.

المنهج في الاصطلاح:

قيل: المنهج الطريق المنهوج أي المسلوك^(١).

وقيل: هو الطريق الواضح في الدين^(٢).

وقيل: هو الطريق والسييل والسنة الميمنة^(٣).

ونستطيع أن نعرّف المنهج الشرعي للداعية عند الفتن تعريفاً إجرائياً: بأنه الطريق الصحيح الواضح المستند لنصوص الكتاب والسنة الذي يجب أن يسلكه الداعية عند الفتن المؤثرة على دينه ودعوته.

عناية السلف بالمنهج الشرعي عند الفتن:

تتعدّد المناسبات في ذكر النبي ﷺ للفتن وتنوّع، والتي من خلالها وُضّح فيها ﷺ للأمة ما ستلاقيه من الشرور والمصائب والفتن، مما يصدُّ عن سبيل الله تعالى ويُضعِف الإيمان من شهوات الشيطان وتزيينه، وما قد تزيغ معه العقول من شبهاته، فأحصى الصحابة رضوان الله عليهم ذلك، فسألوه عنها وراجعوه في أماراتها، والمخرج الشرعي منها، والضمانات الشرعية التي يجب اتخاذها لتوقي أسباب وقوعها، وتدارسوها فيما بينهم قبل الفتن وأثناء وقوع شيء منها، ثم جرى على ذلك أتباعهم من التابعين، كل ذلك

(١) التوقيف على مهمات التعريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، ص ٦٨١.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الآلوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ٣/ ٣٢١، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٤١٥ هـ.

(٣) التفسير الحديث، محمد عزت دروزة، ٩/ ١٤٦، دار إحياء الكتب العربية، مصر، القاهرة ١٣٨٣ هـ.

وغيره يبين عناية السلف بإبراز النهج الشرعي عند الفتن.

لقد رَسَخَ النبي ﷺ في أذهان الصحابة رضي الله عنهم حتمية وقوع الفتن وتنوعها، ومباغتتها للناس، ودقتها وخفائها، وغير ذلك من الصفات اللازمة للفتن مما يجعل المستشرف لها، والخائض فيها في حيرة والتباس، فهبَّ الصحابة رضي الله عنهم في تلقي نوع الفتنة والمخرج منها، وعقلوها وحفظوها وبلغوها، حتى بلغت بمجموعها ثروة كبيرة من النصوص الحديثية في بناء المنهج الشرعي حيال الفتن التي تواجه العبد في دنياه، فاستقى السلف ذلك وتدارسوه، وبيَّنوه لمن بعدهم، فمن استقى المنهج والتزم ضماناته الشرعية نجا من غوائل الفتن ولهيبها.

ومن النماذج التي تبيِّن عناية الصحابة رضي الله عنهم بالمنهج الشرعي عند الفتن وتدارسهم الضمانات الشرعية للخروج من الفتنة ما كان في مجلس عمر رضي الله عنه من تدارس الفتنة نوعها والمخرج منها، وتفاوت عظمتها، عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ رضي الله عنه فَقَالَ أَيُّكُمْ يَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْفِتْنَةِ كَمَا قَالَ قَالَ فَقُلْتُ أَنَا. قَالَ إِنَّكَ لَجَرِيءٌ وَكَيْفَ قَالَ قَالَ قُلْتُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَنَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ يُكْفَرُهَا الصِّيَامُ وَالصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ». فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ إِنَّمَا أُرِيدُ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ - قَالَ - فَقُلْتُ مَا لَكَ وَلَهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا قَالَ أَفِيكْسِرُ الْبَابَ أَمْ يُفْتَحُ قَالَ قُلْتُ لَا بَلْ يُكْسَرُ. قَالَ ذَلِكَ أَحْرَى أَنْ لَا يُغْلَقَ أَبَدًا^(١).

(١) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة تكفر الخطيئة، رقم (١٤٣٥). وأخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب في الفتن التي تموج كموج البحر، رقم (٧٤٥٠).

ومن تأمل هذا التدارس للفتنة بينهم عرف طرفاً من عنايتهم بالمنهج الشرعي الذي استقوه من النبي ﷺ، وامثالهم له، ومن ذلك ما استقر في أذهانهم من أن الأصل في الفتن ألا يتكلم فيها أحد إلا بعلم، وهذا يتضح من سكوت الصحابة رضي الله عنهم، إلا من كان عنده علم بالفتنة وهو حذيفة رضي الله عنه، ومع ذلك عدّها عمر رضي الله عنه جرأة لما لهذا الباب مزيداً من المهابة والتروي والتثبت، ومن ذلك بيان تفاوت الفتن وأن بعضها أعظم من بعض وهذا ظاهر من قول عمر رضي الله عنه: «لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ إِنَّمَا أُرِيدُ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ».

وجواب حذيفة رضي الله عنه يوضح قسمي الفتن الحاضرة والمقبلة، فأجابه عن الفتنة الحاضرة الواقعة، ثم أجابه عن الفتن المقبلة، وإحاطتهم بالنوعين تدل على عنايتهم بفقهِ المنهج الشرعي عند الفتن، ليس لما هو واقع في حياتهم فحسب بل لما يُستقبل أيضاً.

وكان حذيفة رضي الله عنه من أكثر الصحابة حفظاً وعلماً وعناية بأحاديث الفتن وفقهها، فقد كان يسأل عنها النبي ﷺ، ثم كان بعد ذلك يبين المنهج القويم لأصحابه، عَنْ سُبَيْعِ بْنِ خَالِدٍ قَالَ أَتَيْتُ الْكُوفَةَ فِي زَمَنِ فَتَحَتْ تُسْتَرُ أَجْلُبُ مِنْهَا بِغَالًا فَدَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا صَدْعٌ مِنَ الرِّجَالِ وَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ تَعْرِفُ إِذَا رَأَيْتَهُ أَنَّهُ مِنْ رِجَالِ أَهْلِ الْحِجَازِ قَالَ قُلْتُ مَنْ هَذَا فَتَجَهَّمَنِي الْقَوْمُ وَقَالُوا أَمَا تَعْرِفُ هَذَا هَذَا حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّ النَّاسَ كَانُوا يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ فَأَحَدَقَهُ الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقَالَ إِنِّي قَدْ أَرَى الَّذِي تُنْكِرُونَ إِنِّي قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ هَذَا الْخَيْرَ الَّذِي أَعْطَانَا اللَّهُ

أَيُّكُونُ بَعْدَهُ شَرٌّ كَمَا كَانَ قَبْلَهُ قَالَ «نَعَمْ»^(١).

وكان لتدارس الصحابة رضي الله عنهم فيما بينهم المنهج الشرعي للفتن أثر كبير في العمل بهذا المنهج عند الحاجة إليه، ومن ذلك فعل الصديق رضي الله عنه عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، حيث استحضر الأدلة وقاد الأمة حين فتنه الردة، واختلاط الأمر على الصحابة رضي الله عنهم، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَاتَ، وَأَبُو بَكْرٍ بِالسُّنْحِ - قَالَ إِسْمَاعِيلُ يَعْنِي بِالْعَالِيَةِ - فَقَامَ عُمَرُ رضي الله عنه يَقُولُ وَاللَّهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَتْ وَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه وَاللَّهِ مَا كَانَ يَقَعُ فِي نَفْسِي إِلَّا ذَاكَ وَلَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ فَلْيَقْطَعَنَّ أَيْدِي رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَبَّلَهُ قَالَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي طُبْتُ حَيًّا وَمَيِّتًا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُذِيقُكَ اللَّهُ الْمَوْتَيْنِ أَبَدًا ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ أَيُّهَا الْحَالِفُ عَلَى رَسُولِكَ فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ رضي الله عنه، فَحَمِدَ اللَّهُ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ أَلَا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ وَقَالَ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزُّمَر: ٣٠] وَقَالَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٤٤] قَالَ فَانْشَجَ النَّاسُ يَبْكُونَ ... الحديث^(٢).

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الفتن، باب ذِكْرِ الْفِتَنِ وَدَلَالِهَا، رقم (٤٢٤٦)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود رقم (٤٢٤٤)، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١٧٩١)، سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مَنَاقِبِ أَبِي بَكْرٍ، رقم (٣٦٦٧).

وكذا القصص المتوافرة عن اعتزال الصحابة رضي الله عنهم فتنة القتال في موقعة صفين وموقعة الجمل، وتداولهم لأحاديث اجتناب الاقتتال أثناء الفتنة^(١)، كل ذلك يبين مدى عنايتهم بالمنهج الشرعي عند الفتنة قولاً وعملاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وأما الصحابة فجمهورهم وجمهور أفاضلهم ما دخلوا في فتنة، قال عبد الله بن الإمام أحمد حدثنا أبي حدثنا إسماعيل يعني ابن علي حدثنا أيوب يعني السخيتاني عن محمد بن سيرين قال هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف فما حضرها منهم مائة بل لم يبلغوا ثلاثين، وهذا الإسناد من أصح إسناد على وجه الأرض، ومحمد بن سيرين من أروع الناس في منطقته، ومراسيله من أصح المراسيل وقال عبد الله حدثنا أبي حدثنا إسماعيل حدثنا منصور بن عبد الرحمن قال: قال الشعبي: لم يشهد الجمل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غير علي وعمار وطلحة والزبير فإن جاءوا بخامس فأنا كذاب)^(٢).

ولئن كان ما سبق طرفاً مما يبين عناية الصحابة رضي الله عنهم بالمنهج الشرعي عند الفتن، فلقد تخرج على مدرسة الصحابة رضي الله عنهم في بيان هذا المنهج والعناية به من تبعهم من السلف رحمة الله تعالى عليهم، ولهذا نماذج كثيرة أيضاً ومن ذلك ما رواه سعيد بن جبيرة رضي الله عنه قال خرج علينا عبد الله بن عمر رضي الله عنه فرجونا أن يحدثنا حديثاً حسناً قال: فبادرنا إليه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن حدثنا، عن القتال في الفتنة والله يقول: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: ٣٩]، فقال: هل تدري ما الفتنة ثكلتك أمك

(١) سيأتي بيان هذه الأحاديث في فتنة الهرج.

(٢) منهاج السنة النبوية، شيخ الإسلام بن تيمية، تحقيق: أ.د. محمد رشاد سالم، ٦/ ١٤٥، ط١، مؤسسة قرطبة.

إِنَّمَا كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ يُقَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ، وَكَانَ الدُّخُولُ فِي دِينِهِمْ فِتْنَةً وَلَيْسَ كَقِتَالِكُمْ عَلَى الْمُلْكِ^(١).

وهذا الأثر يبين طرفاً من عناية التابعين في سؤالهم أهل العلم كابن عمر رضي الله عنهما عن المقصود بالقتال والفتنة الحاصلة بسببه، وكيفية تطبيق هذا الضمان الشرعي وهو القتال لتوقي الفتنة، وهذا السؤال أثر عن غير واحد من التابعين.

قال ابن حجر رحمه الله: (وحاصل جواب ابن عمر له، أن الضمير في قوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوهُمْ﴾ للكفار، فأمر المؤمنين بقتال الكافرين؛ حتى لا يبقى أحد يفتن عن دين الإسلام، ويرتد إلى الكفر، ووقع نحو هذا السؤال من نافع بن الأزرق، وجماعة لعمران بن حصين، فأجابهم بنحو جواب بن عمر أخرجه بن ماجة)^(٢).

ولشدة حرصهم على تدارس هذا المنهج فإنهم ما أن يعلموا عند أحد طرفاً من هذا المنهج إلا وسعوا لتحصيله، عن عثمان الشَّحَامُ قَالَ انْطَلَقْتُ أَنَا وَفَرَقْدُ السَّبَخِيُّ إِلَى مُسْلِمِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ وَهُوَ فِي أَرْضِهِ فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ فَقُلْنَا هَلْ سَمِعْتَ أَبَاكَ يُحَدِّثُ فِي الْفِتَنِ حَدِيثًا، قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحَدِّثُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنٌ...» الحديث^(٣).

وإدراك التابعين رحمهم الله للفتن جعلهم أكثر حرصاً على التثبت

(١) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ الْفِتْنَةُ مِنْ قَبْلِ الْمَشْرِقِ، رقم (٧٠٩٥).

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ٤٧/١٣.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشرط الساعة، باب نُزُولِ الْفِتَنِ كَمَا وَقَعَ الْقَطْرِ، رقم (٧٤٣٢).

والتبيين في نقل الأخبار المسندة وفحصها، عَنْ ابْنِ سِيرِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ لَمْ يَكُونُوا يَسْأَلُونَ عَنِ الْإِسْنَادِ فَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ قَالُوا سَمُّوا لَنَا رِجَالَكُمْ فَيَنْظُرُوا إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ فَيُؤْخَذَ حَدِيثُهُمْ وَيَنْظُرُوا إِلَى أَهْلِ الْبِدْعِ فَلَا يُؤْخَذَ حَدِيثُهُمْ^(١).

والأخبار في عناية السلف بالفتن كثيرة، فقد اعتنوا بنوع الفتنة والمخرج منها والضمانات الشرعية لها، وأسبابها، ومراحل الفتن إلى غير ذلك من الأمور المتعلقة بالفتن، واعتنوا عناية كبيرة بأحاديث الفتن التي سمعوها من النبي ﷺ، وظل الأسلاف يتناقلوها، حتى وصل إلينا معينا صافيا من منهج شرعي قويم يسير عليه الداعية عند وقوع الفتن.



(١) أخرجه مسلم، في مقدمة صحيحه، باب في أَنَّ الْإِسْنَادَ مِنَ الدِّينِ، رقم (٢٧).

الفصل الأول

أنواع الفتن ومنهج الداعية الشرعي منها

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: الفتن الحاضرة، ومنهج الداعية الشرعي منها.
- المبحث الثاني: الفتن المقبلة، ومنهج الداعية الشرعي منها.

الفصل الأول

أنواع الفتن ومنهج الداعية الشرعي منها

أنزل الله تعالى كتابه على نبيه ﷺ، وجعل هذا الكتاب تبياناً واضحاً، ودلالة منهجية ساطعة، لكل مبتغٍ للهدى والطريق القويم، وبعث الله تعالى نبيه ﷺ بالهدى ودين الحق، ووصف حرصه وشفقته على أمته فقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، ومن حرصه ﷺ أن يبين لأمرته منهج السلامة حتى تركهم على المحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك، وكان من أشد الأمور التي جاء بيانها واضحاً جلياً الفتن وما يتعلق بها؛ ذلك لأن الفتن تؤثر على الدين والأنفس والأموال والعقول والأعراض، فجاءت نصوص الوحيين لبيان النهج السليم فيما يتعلق بالفتن أكثر، وفي التحذير من الفتن أشد.

والناس في هذا الزمان مع تكاثر الفتن، وتفتح أبوابها، كثر كلامهم، وتنوعت مناهجهم، بين متبع لهواه، أو متبع لجهله، أو متبع لآراء الرجال، أو متبع لنصوص لم يفقهها على وجهها الصحيح، ونحو ذلك من الطرق والمناهج التي حادت عن المنهج الشرعي، فزادت الفتن واضطرب الناس، وخفقت ألوية الباطل، وعصفت بالقلوب رياح الشهوات والشبهات، وصار الناس أكثر حاجة لبيان المنهج الشرعي في التعامل مع الفتن، ولما كان المستقى الحقيقي الواقعي لعامة الناس اليوم في التفقه والتبصر بهذا المنهج القويم هو ما يوضحه الدعاة إلى الله تعالى

من العلماء وطلبة العلم، عبر شتى الوسائل الدعوية المسموعة والمرئية والمقروءة المباشرة وغير المباشرة، كان من المهم جداً تأصيل المنهج الموافق للكتاب والسنة في تعامل الداعية مع الفتن، فجاء هذا الفصل ليوضح أنواع الفتن ومنهج الداعية الشرعي منها، والمقصود به المنهج الشرعي حيال الفتنة المقصودة، والضمانات الشرعية اللازمة للفتنة ذاتها، ولذا سأعرض مع كل فتنة الضمانات الشرعية التي تخصها حسب نوع الفتنة بالأدلة الشرعية، أما الضمانات والواجبات الشرعية والضوابط المنهجية للفتن عموماً فستأتي فيما يلي هذا الفصل بإذن الله تعالى.

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: الفتن الحاضرة، ومنهج الداعية الشرعي منها.
- المبحث الثاني: الفتن المقبلة، ومنهج الداعية الشرعي منها.

المبحث الأول

الفتن الحاضرة، ومنهج الداعية الشرعي منها

تنزل بالداعية في حياته فتناً وتتابع، ما أن تخبو فتنة إلا وتظهر أخرى، إلا أن هناك من الفتن ما هو مستمر في حياة الناس ينزل بهم جيلاً بعد جيل، وهي المقصودة في هذا المبحث، ومن هذه الفتن الحاضرة ما يكون من قبيل الشهوات أو الشبهات، وكم شبهة أو شهوة نزلت بالعبد فصارت سبباً في تنكبه الصراط المستقيم والمنهج القويم، ولو أنه التزم النهج الشرعي بالتعامل معها، لما تأثر بهذه الشبهة أو الشهوة، فما المنهج الشرعي للداعية حينما تنزل به فتن الشبهات والشهوات؟

في هذا المبحث مطلبان:

المطلب الأول: فتن الشهوات.

أولاً: فتنة الدنيا.

ثانياً: فتنة المال.

ثالثاً: فتنة النساء.

رابعاً: فتنة المحبوبات.

خامساً: فتنة محقرات الذنوب.

المطلب الثاني: فتن الشبهات.

أولاً: فتنة الشياطين.

ثانياً: فتنة الأئمة المضلين.

□ المطلب الأول □

فتن الشهوات

أولاً: فتنة الدنيا:

فتنة الدنيا هي أن يجعل العبد همه وشغله الأكبر الدنيا وما فيها من متاع وحطام، فيتوسع في مباحاتها وزهرتها حتى يقع في أسباب الهلاك بفعل المحرمات، وترك الواجبات، والاستمتاع بمتاع الدنيا، غافلاً عن دار القرار ﴿إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩].

ولقد حذر الله تعالى كثيراً في كتابه من الاغترار بالدنيا والافتتان بها، وبيّن عاقبتها من خسران، وأن نعيمها وإن افتتن العبد به فإنه إلى زوال، فهي متاع الغرور، قال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَّعٌ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

عن قتادة رضي الله عنه: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَّعٌ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠] قال: هي متاع متروك أوشكت والله أن تضمحل عن أهلها فخذوا من هذا المتاع طاعة الله إن استطعتم، ولا قوة إلا بالله^(١).

قال السعدي رحمته الله: (هذه الآية الكريمة فيها التزهيد في الدنيا بفنائها وعدم بقائها، وأنها متاع الغرور، تفتن بزخرفها، وتخدع بغرورها، وتغر بمحاسنها، ثم هي منتقلة، ومنتقل عنها إلى دار القرار، التي توفى فيها

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: مركز هجر للبحوث، ١٦٦/٤، دار هجر، مصر، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

النفوس ما عملت في هذه الدار، من خير وشر^(١).

وأصل أسباب فتنة الدنيا غفلة الأمة أو أفراد منها عن عظمة الآخرة وما إليه يصيرون، وذلك حينما تكون الدنيا هي هم المسلم، وهي ميدان تنافسه، فيركن إليها، ويعيش بين حطام الدنيا تاركاً مضمار الآخرة، فينشأ عن ذلك البعد عن طاعة الله تعالى وعن ذكره، والانشغال بالمحرمات والمنكرات مما تكون نتيجته الهلاك؛ إذ أن الانشغال بالدنيا والافتتان بها هو سبب هلاك الأمم، وكما أن الآيات في التحذير من الدنيا كثيرة، فكذا جاءت السنة النبوية بذلك، ومما ورد في السنة النبوية:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوءٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النَّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النَّسَاءِ»^(٢).

عن عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجَزِيرَتِهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ صَالِحَ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ وَأَمَرَ عَلَيْهِمُ الْعَلَاءُ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ فَسَمِعَتِ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَوَافُوا صَلَاةَ الْفَجْرِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا انْصَرَفَ تَعَرَّضُوا لَهُ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَوْهُمْ ثُمَّ قَالَ: «أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ» قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «فَابْشَرُوا وَأَمْلُوا مَا يَسُرُّكُمْ فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، تحقيق: د. عبد الرحمن ابن معلا اللويحق، ص ١٥٩.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْفُقَرَاءُ وَأَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ النَّسَاءُ وَبَيَانُ الْفِتْنَةِ بِالنِّسَاءِ، رقم (٧١٢٤).

تُبْسَطُ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ قَبْلَكُمْ فَتَنَافُسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ»^(١).

وفي رواية أخرى: «وَتُلهِيكُمْ كَمَا أَلْهَتْهُمْ»^(٢).

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطُ لَكُمْ وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ وَإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ، أَوْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ - وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا»^(٣).

وفي لفظ لمسلم: «... وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا وَتَقْتُلُوا فَتَهْلِكُوا كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ». قَالَ عُقْبَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَكَانَتْ آخِرَ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ^(٤).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ فَقَالَ: «إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا». فَقَالَ رَجُلٌ أَوْ يَأْتِي الْخَيْرُ بِالْشَّرِّ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَسَكَتَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقِيلَ لَهُ مَا شَأْنُكَ تُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَلَا يُكَلِّمُكَ قَالَ

(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب مَا يُحَذَّرُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَالتَّنَافُسِ فِيهَا،

رقم (٤٦٢٥). وأخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، رقم (٧٦١٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب مَا يُحَذَّرُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَالتَّنَافُسِ فِيهَا، رقم (٦٤٢٥).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد، رقم (١٣٤٣).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب إِثْبَاتِ حَوْضِ نَبِيِّنَا ﷺ وَصِفَاتِهِ، رقم (٦١١٧).

وَرُئِينَا أَنَّهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ فَأَفَاقَ يَمْسَحُ عَنْهُ الرَّحْضَاءُ^(١) وَقَالَ «إِنَّ هَذَا السَّائِلَ - وَكَأَنَّهُ حَمْدُهُ فَقَالَ - إِنَّهُ لَا يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ وَإِنْ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ أَوْ يُلِمُّ^(٢) إِلَّا آكَلَةَ الْخَضِرِ^(٣) فَإِنَّهَا أَكَلَتْ حَتَّى إِذَا امْتَلَأَتْ خَاصِرَتَاهَا^(٤) اسْتَقْبَلَتْ عَيْنَ الشَّمْسِ فَثَلَطَتْ^(٥) وَبَالَتْ ثُمَّ رَتَعَتْ^(٦) وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرٌ حُلُوٌّ وَنِعَمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ هُوَ لِمَنْ أَعْطَى مِنْهُ الْمُسْكِينِ وَالْيَتِيمَ وَابْنَ السَّبِيلِ أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَإِنَّهُ مَنْ يَأْخُذْهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ كَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ وَيَكُونُ عَلَيْهِ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٧).

- (١) الرحضاء: العرق الكثير. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية، مادة (رحض)، ١/٣٣٤.
- (٢) يُلِمُّ: أي يقرب من ذلك. مختار الصحاح، الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مادة (لمم)، ١/٦١٢، قال الحافظ ابن حجر: (وقوله يلِم بضم أوله أي يقرب من الهلاك). فتح الباري، ١١/٢٤٧.
- (٣) آكلة الخضر هي بهيمة الأنعام، المرجع السابق، ١١/٢٤٧.
- (٤) قال ابن حجر: (قوله امتلأت خاصرتها ثنية خاصرة بخاء معجمة وصاد مهملة وهما جانبا البطن من الحيوان) المرجع السابق، ١١/٢٤٧.
- (٥) ثلطت: الثلط الرجيع، وثلطت أُلقت ما في بطنها. انظر: النهاية في غريب الحديث، مجد الدين أبوالسعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، مادة (ثلط)، ص (١٢٦)، ط١، دار ابن الجوزي، الرياض، ١٤٢١ هـ.
- (٦) الماشية رتعا ورتوعاً ورتاعاً رعت كيف شاءت في خصب وسعة، المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية، مادة (رتعت)، ١/٣٢٧.
- (٧) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة على اليتامى، رقم (١٤٦٥)، وأخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب تَخَوُّفِ مَا يَخْرُجُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا، رقم (٢٤٧٠).

فقه الفتنة ومنهج الداعية الشرعي منها:

المتأمل للأحاديث السابقة يدرك مدى قوة فتنة الدنيا وانفتاحها على المسلم، فقد خشي النبي ﷺ على أمته أن يفتتنوا بما في الدنيا واصفاً إياها بأن فيها متاع الطعم والنظر، فهي حلوة، وأيضاً ذات نضارة جميلة ولذا قال: «حُلُوَّةُ خَضِرَةٍ» فخشى ﷺ أن تفتح على أمته زهرة الدنيا، والزهرة لا تمكث طويلاً إلا وتذبل وكذا ما في الدنيا من متاع.

والعبد إذا وقع في فتنة الدنيا صارت سبباً في انشغاله عن الطاعة بل والوقوع في الحرام بمنعه الحقوق الواجبة عليه، فقد شبه النبي ﷺ في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه جامع الدنيا بما ينبته الربيع وهو جدول الماء الصغير من الزروع والأعشاب، فتأتي الماشية مفتونة بكثرته، فتأكل منه كثيراً، حتى تنتفخ بطونها وتجاوز حد الاحتمال فتموت أو تقارب الموت، فكذلك جامع الدنيا، فالدنيا كمرتع فتنت به النفوس ومالت إليه، فجمعت فيه من الحرام ومنع الحقوق ما يهلك في الآخرة أو يقارب هلاكه، ولذا خشي النبي ﷺ على أمته الافتتان بالدنيا والمنافسة فيها المؤدية لما فيه هلاك الأمم السابقة ولهوها، فجعل فتنة الدنيا ابتلاء للأمم، فاستخلفها في الدنيا وبين الحكمة من ذلك في الحديث وهي: لينظر كيف يعمل العبد فيها؟

وعند تأمل ما سبق فإنه ينبغي للداعية في تعامله مع هذه الفتنة ما يلي:

على الداعية إدراك التوجيه النبوي تجاه فتنة الدنيا، وكيف أن النبي ﷺ خافها على أمته؛ لأن فيها ما يذهب بالألباب عن طاعة الله تعالى، لاسيما ونحن نعيش طفرة حضارية و زمناً فيه من دواعي الرفاهية واللهو

وأساببه الشيء الكثير، وفيه من دواعي الانصراف عن الآخرة والانشغال بالدنيا شيئاً يجعل الداعية في صراع بينه وبين الدنيا في وقته وعمره الذي يسلب منه من حيث لا يشعر بسبب ركونه للدنيا ومتطلباتها.

وعلى الداعية أن يدرك تماماً أن منافسة الدنيا تؤدي إلى الهلاك الذي وقعت فيه الأمم السالفة، ولا تجتمع في قلب مؤمن منافسة الدنيا، ومنافسة الآخرة التي حث الله تعالى على التنافس فيها فقال: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦] وأنى اجتماع أسباب الهلاك وأسباب النجاة ورفع الدرجات في قلب مؤمن؟

وعلى الداعية أن يعلم أن تنافسه في دنياه يؤدي إلى اضطراب زاده وقوته وهو الإيمان بالله تعالى الذي كلما قوي زاد تعلقه بربه وحده، وأكثر اللجأ إليه والتعبد له، وأنه مع ضعف الإيمان سيستجيب لنفسه الأمانة بشهوات الدنيا وحلاوتها وخضرتها وزهرتها.

قال ابن القيم رحمه الله: (فالعبد في هذه الدار مفتون بشهواته، ونفسه الأمانة، وشيطانه المغوي المزين، وقرنائه، وما يراه ويشاهد مما يعجز صبره عنه، ويتفق مع ذلك ضعف الإيمان واليقين، وضعف القلب ومرارة الصبر، وذوق حلاوة العاجل وميل النفس إلى زهرة الحياة الدنيا، وكون العوض مؤجلاً في دار أخرى غير هذه الدار التي خلق فيها وفيها نشأ، فهو مكلف بأن يترك شهوته الحاضرة المشاهدة لغيب طلب منه الإيمان به:

فوالله لولا الله يسعد عبده	بتوفيقه والله بالعبد أرحم
لما ثبت الإيمان يوماً بقلبه	على هذه العلل والأمر أعظم
ولا طاوعته النفس في ترك شهوة	مخافة نار جمرها يتضرم

ولا خاف يوماً من مقام إلهه عليه بحكم القسط إذ ليس يظلم^(١) وعلى الداعية ألا يغيب عنه أن الأصل في هذه الأمة أنها أمة آخرة باقية لا دنيا فانية، وأن الحرص على الحياة الدنيا وما فيها من أعظم صفات اليهود الذميمة، قال الله تعالى عنهم: ﴿وَلَنَجْذِثَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة: ٩٦].

وعلى الداعية أن يعلم أن الاهتمام بصلاح الدنيا على الآخرة يتردى بالأمة أسباب الهلاك كما في الأمم السابقة، وأن خير من يمثل الأمة ويقودها لصلاح الآخرة والتزود لها الداعية، فإذا اهتم الداعية بدنيته وهو الأداة الفاعلة في المجتمع فأى صلاح يقدمه بعد انغماس قلبه في فتن الدنيا؟

فإذا عرف الداعية ذلك فعليه أن يبين لمدعويه ما علمه، ويدلهم على الضمانات الشرعية من فتنة الدنيا ومن ذلك:

- ١- اللجوء إلى الله تعالى ودعاؤه بأن يكفيه فتنة الدنيا وزهرتها، وألا يجعل الدنيا أكبر هممه، ولا مبلغ علمه؛ إذ أن دعاء الله تعالى وصدق اللجوء إليه هو الحصن من كل فتنة، والنجاة من كل بلية.
- ٢- التعوذ من فتنة الدنيا، فمن استعاذ بالله أعاده، ولعظم فتنة الدنيا، حثنا نبينا ﷺ بالتعوذ منها دبر الصلاة، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُنَا هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ كَمَا تُعَلَّمُ الْكِتَابَةُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ

(١) إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، ١٦٣/٢-١٦٤، ط ٢، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

نُزِدَ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْقَبْرِ»^(١).

وقول الصحابي: «كَمَا تُعَلِّمُ الْكِتَابَةُ» التشبيه لبيان مدى حرص النبي ﷺ على تعليمهم التعوذ منها، ولذا بَوَّب البخاري عليه (باب التعوذ من فتنة الدنيا) وبنحوه بَوَّب الترمذي، وما تعَوَّذ النبي ﷺ من الدنيا وعَلَّمَ أصحابه ذلك إلا لأن الفتنة في الدنيا نذير شر، ووعد هلاك.

٣- تذكير المدعويين بالأصل الذي خُلِقُوا من أجله، وهو عبادة الله تعالى لا جمع حطام الدنيا والركون لزهرتها، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

٤- بيان حقارة الدنيا، ووزنها عند الله تعالى وعند رسوله ﷺ، فقد جاءت الأدلة الكثيرة في بيان هوان الدنيا عند الله تعالى، فقد روى الترمذي رحمه الله: تحت (باب ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل) عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بُعُوضَةٍ، مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»^(٢)، وعن المستورد بن شداد رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِضْبَعَهُ هَذِهِ - وَأَشَارَ يَحْيَى بِالسَّبَابَةِ - فِي الْيَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمِ يَرْجِعُ»^(٣) وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه بِن عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِجَدِي أَسْكَ^(٤) مَيِّتٍ فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ ثُمَّ قَالَ:

- (١) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب التعوذ من فتنة الدنيا، رقم (٦٣٩٨).
- (٢) أخرجه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل، رقم (٢٣٢٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٥/ ٣٢٠).
- (٣) أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فَنَاءِ الدُّنْيَا وَبَيَانِ الْحَشْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رقم (٧٣٧٦).
- (٤) قال ابن الأثير: («أنه مرَّ بجدي أسك» أي مضطلم الأذنين مقطوعهما)، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، مادة (سكك)، ص (٤٣٧).

«أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ بِدْرُهُمْ»، فَقَالُوا مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ وَمَا نَصْنَعُ بِهِ قَالَ: «أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ»، قَالُوا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ لِأَنَّهُ أَسَلُ فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ فَقَالَ: «فَوَاللَّهِ لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ»^(١).

وفي حديث المستورد رضي الله عنه أعظم بيان لمقدار الدنيا، فالنبي صلى الله عليه وسلم يعرضها بمال زهيد بدرهم، ثم بلا مقابل، فيقول: «أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟»، ويأباه الصحابة رضي الله عنهم حتى لو كان أحسن حالاً بأن كان حياً، ثم النبي صلى الله عليه وسلم يحلف لهم، وهو الصادق المصدوق، أن الدنيا أهون على الله - تعالى - من هذا الجدي عليهم.

والنصوص في بيان حقارة الدنيا، وهوانها، وزوالها كثيرة وما ذاك إلا لكثرة الراكضين وراءها، المنهمكين في متاعها، المفتونين بزهرتها، نسأل الله السلامة، والعافية.

٥- بيان أن فتنه الدنيا هي سبب هلاك الأمم السابقة، وأن من أشرب قلبه حب الدنيا وآثرها على الآخرة فقد سلك طريق البوار والهلاك، وهو طريق من لا يرجو الآخرة واطمأن للحياة الدنيا قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس: ٧-٨]؛ ولذا النبي صلى الله عليه وسلم خاف على أمته أن تهلكهم الدنيا وزينتها كما أهلكت الأمم السابقة، فقال: «وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ»^(٢).

(١) أخرجه مسلم، كتاب الزهد، رقم (٧٦٠٧).

(٢) تقدم تخريجه ص ٣٧.

قال ابن حجر رحمته الله: (قوله: «فتهلككم» أي لأن المال مرغوب فيه فترتاح النفس لطلبه فتمنع منه فتقع العداوة المقتضية للمقاتلة المفضية إلى الهلاك، قال ابن بطال: فيه أن زهرة الدنيا ينبغي لمن فتحت عليه أن يحذر من سوء عاقبتها، وشر فتنها، فلا يطمئن إلى زخرفها، ولا ينافس غيره فيها، ويستدل به على أن الفقر أفضل من الغنى لأن فتنة الدنيا مقرونة بالغنى، والغنى مظنة الوقوع في الفتنة التي قد تجر إلى هلاك النفس غالباً والفقير آمن من ذلك)^(١).

قال شيخنا ابن عثيمين رحمته الله: (وهذا هو الذي وقع الآن، فقد فتحت الدنيا وجاءتنا من كل جانب، وصار فيها ما لا يخطر على البال مما سبق، ولو أن أحداً حَدَّثَ به لم يصدق، لكن وقع فصار الناس الآن يتنافسون فيها، ويتقاتلون عليها، فأهلكتهم كما أهلكت من كان قبلهم، والذين لم يقاتلوا عليها، صارت قلوبهم للدنيا - والعياذ بالله - الدنيا همهم في المنام واليقظة والقيود والقيام والليل والنهار)^(٢).

٦- التأكيد على أن من الحِكم في انفتاح الدنيا على العبد، وتقدير الله تعالى فتنة الدنيا على عباده، هو الابتلاء والاختبار لهم، كيف يصنعون بها؟ وهل يصبرون عن هذه الفتنة ويسخرون ما فتح الله عليهم لطاعة الله تعالى ومرضاته؟ قال النبي ﷺ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوءٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا»^(٣).

قال المناوي رحمته الله: (والاستخلاف إقامة الغير مقام النفس أي جعل الله

(١) فتح الباري، ابن حجر، ١١/٢٤٥.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، تحقيق: أحمد بن عبدالرزاق البكري وآخرين، ١٨٩٣/٢.

(٣) تقدم تخريجه ص ٣٧.

الدنيا مزينة لكم وابتلاء لكم فينظر هل تتصرفون فيها بغير ٧ ما يرضاه؟
وقوله فاتقوا أي احذروا من الاغترار بما فيها فإنه في وشيك الزوال^(١).

ثانياً: فتنة المال:

فتنة المال هي فتنة تسيطر على قلب العبد حتى تجعله يتحاكم إليه فلا يحب ولا يبغض إلا من أجل المال، وتشغله عن طاعة ربه والقيام بالواجبات الدينية كما ينبغي.

ولا يخفى تعلق النفس البشرية بالمال وتحصيله وجمعه بدافع حبه،
ولقد بين الله تعالى هذه الحقيقة بقوله تعالى عن طبيعة البشر: ﴿وَتُحِبُّونَ
أَلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠]، أي حباً شديداً.

كما أنه لا ضير على المسلم في اكتسابه المال بالطريق المشروع،
على أن يرضى فيه حقه فيدفعه في الطريق المشروع، فالمال زينة الحياة
الدنيا، قال تعالى: ﴿أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ
عِنْدَ رَبِّكَ تَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً﴾ [الكهف: ٤٦].

لكن أن يتحول العبد عبداً للمال فلا يوالي ولا يبرأ إلا به، ويضيع
حق الله تعالى فيه، فهذه هي الفتنة فيه، ولقد جاءت النصوص الكثيرة في
بيان هذه الفتنة، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ
عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢٨]، وقوله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج
العارفين بن علي المناوي، ٣/٧٢٧، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،
١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م.

أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ [التَّغَابُن: ١٥].

عن عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ رضي الله عنه إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجَزَيْتِهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ صَالِحَ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ وَأَمَرَ عَلَيْهِمُ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ رضي الله عنه بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ فَسَمِعَتْ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَوَافُوا صَلَاةَ الْفَجْرِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا انْصَرَفَ تَعَرَّضُوا لَهُ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَاهُمْ ثُمَّ قَالَ: «أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ» قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «فَابْشُرُوا وَأَمْلُوا مَا يَسُرُّكُمْ فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسِطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكَتَهُمْ»^(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ»^(٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تَعَسَ (٣) عَبْدُ الدِّينَارِ

(١) تقدم تخريجه ص ٣٧.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠]، رقم (٢٠٨٣).

(٣) قال ابن الأثير: (يقال تَعَسَ يَتَعَسُ إِذَا عَثَرَ وَانْكَبَّ لَوَجْهِهِ وَقَدْ تَفْتَحُ الْعَيْنُ وَهُوَ دُعَاءٌ عَلَيْهِ بِالْهَلَاكِ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ «تَعَسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدَّرْهِمِ») النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، مادة (تعس) ص (١٠٨).

وقال القاضي عياض: (قوله تعس عبد الدينار بكسر العين، ويقال بفتحها... معنى ذلك هلك، وقيل: هو السقوط على الوجه خاصة، وقيل: لزمه الشر، وقيل: بُعد). هـ. مشارق الأنوار على صحاح الآثار، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، ١/٢٢٣، المكتبة العتيقة ودار التراث.

وَالذَّرْهَمَ وَالْقَطِيفَةَ وَالْخَمِصَةَ^(١) إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ^(٢).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ أَيْ قَوْمٌ أَنْتُمْ؟». قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللَّهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ تَتَنَافَسُونَ ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ ثُمَّ تَتَبَاغُضُونَ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ فَتَجْعَلُونَ بَعْضُهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ»^(٣).

فقه الفتنة ومنهج الداعية الشرعي منها:

فتنة المال من الفتن التي جاءت نصوص الكتاب والسنة في التحذير منها، وذلك لطبيعة تعلق النفس البشرية بالمال، ومنازعة أهله كل جوانب الحياة من أجله، حتى يقع العبد بالمحرمات ويترك الواجبات بسبب توغل حب المال في قلبه.

قال القرطبي رحمته الله: (قوله تعالى: ﴿أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: ٢٨] أي بلاء واختبار يحملكم على كسب المحرم ومنع حق الله تعالى فلا تطيعوهم في معصية الله)^(٤).

(١) قال ابن الجوزي: (في تعس: لغتان فتح العين وكسرها، ومعنى تعس: عشر فسقط لوجهه، والقطيفة: نوع من الأكسية، قال ابن الأنباري: الخميصة عند العرب كساء مربع أسود له علمان) ١هـ كشف المشكل من حديث الصحيحين، أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، ١/١٠١٦، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب مَا يُتَّقَى مِنْ فِتْنَةِ الْمَالِ، رقم (٦٤٣٥).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الزهد، رقم (٧٦١٦).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين القرطبي، تحقيق: سمير البخاري، ١٨/١٤٢، دار عالم الكتب، الرياض ١٤٢٣، ٢٠٠٣م.

ولا يخالف أحد شرع الله تعالى بسبب ماله إلا لأنه جعل المال مقصداً في حياته، ففتنه عما خُلق من أجله، وغفل عن وظيفة المال الحقيقية في هذه الحياة بأنه وسيلة من وسائل العيش لا مقصوداً لذاته.

وإذا تعلق النفس بالمال، صار المسلم عبداً وأسيراً لماله، والمعنى أنه لا يحب ولا يبغض إلا من أجله، فالمال معياره في الأرض ومع أهلها، وزينت له نفسه وجوه كسب المال بأي طريقة ولو كانت محرمة، بل لشدة الفتنة لا يبالي وإن أخذه من حرام؛ ذلك أن فتنة المال أعمته حتى صار لا يفرق بين كسب الحلال والحرام، ولقد سطر الواقع مشاهد من ذلك، حتى دخل في المعاملات المحرمة ألوان من الغرر، والغش، والجهالة، والغبن في كثير من صور البيع، وكذا صور تداول الربا في المعاملات المصرفية، وما طفرة الأسهم وافتتان الناس بها من غير مبالاة بجواز طريقة الشركة المتداولة ووقوعها في الربا إلا أقرب مثال لما أخبر به ﷺ بقوله: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ»^(١).

قال ابن بطال رحمه الله: (هذا يكون لضعف الدين وعموم الفتن)^(٢).

فإذا تحقق ذلك، استحق العبد التعاسة في دنياه وهي البعد وتنكب طريق الهلاك، والبعد عن مرضاة الله تعالى، ولذا لم يخش النبي ﷺ على أمته قلة ذات اليد، بل خشي عليهم كثرة المال والتنافس فيه فينشأ عن

(١) تقدم تخريجه ص ٤٧.

(٢) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، ٢٠١/٦، ط ٢، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

ذلك التحاسد والتدابير والتباغض ثم التقاتل، فيهلكوا كما هلكت الأمم السابقة، لأنهم افتتنوا بأموالهم وعملوا من أجلها، وتقاتلوا دونها، فصاروا أسرى لها فاستحقوا التعاسة.

قال ابن بطال رحمته الله: (قوله: «تعس عبد الدينار والدرهم» يعنى: إن طلب ذلك، وقد استعبده وصار عمله كله في طلب الدينار والدرهم كالعبادة لهما. وقوله: «إن أعطى رضي» أي: وإن أعطى ما له عمل رضي عن معطيه وهو خالقه عز وجل، وإن لم يعط سخط ما قدر له خالقه ويسر له من رزقه، فصح بهذا أنه عبد في طلب هذين، فوجب الدعاء عليه بالتعس؛ لأنه أوقف عمله على متاع الدنيا الفاني وترك العمل لنعيم الآخرة الباقي)^(١).

الداعية إلى الله تعالى أقرب الناس دلاً وهدياً بالنبي ﷺ، فيخشى ما يخشاه النبي ﷺ على أمته، ويمثل تعامل النبي ﷺ في كل شؤونه، ومن ذلك فتنة المال.

فعلى الداعية النظر إلى المال بأنه وسيلة لا مقصداً له في الحياة، فهو وسيلة لمستلزمات الحياة وللمن تحت يده من أهله، وهو وسيلة لحاجياته، وأعماله الدعوية، لا أن يكون مقصداً يشتغل به ليل نهار، غافلاً عن وظيفته الأخروية، فما عند الله خير وأبقى.

وعلى الداعية أن يراعي الحق المشروع في ماله واكتسابه وبذله في وجوه الخير، وأن يكون من أشد الناس ورعاً في أخذ المال وإنفاقه، فلا يكتسب إلا فيما أباحه الله تعالى وما لا شبهة فيه البتة، ليحفظ بذلك ماله وعرضه.

(١) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، ٨٣/٥.

وعلى الداعية أن يترك التشؤف والاستشراف للمال والتطلع إليه فإن هذا يمحق بركة ماله، فإن جاءه من غير تَطَلُّع ولا استشراف فلا بأس، عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَانِي ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ فَمَنْ أَخَذَهُ بِطَيْبِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافٍ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى»^(١).

وعلى الداعية أن يجعل من ماله سبيلا للتقرب إلى الله تعالى وهي أنبل وسيلة في تسخير المال، كما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث سخره في كل جوانب الدين وخدمته، حتى مع أهله فهو يحتسبها لأن يكون له فيها أجراً، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ أَعْظَمُهَا أَجْراً الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ»^(٢).

وهكذا في جميع وجوه الخير، لاسيما وجوه الدعوة فهي بحاجة اليوم إلى بذل المال ودعم المشاريع الخيرية والدعوية التي تعتمد على المال، وليقتدي في هذا برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ»^(٣).

- (١) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، رقم (١٤٧٢)، وأخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب بَيَانِ أَنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى وَأَنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا هِيَ الْمُنْفَقَةُ وَأَنَّ السُّفْلَى هِيَ الْآخِذَةُ، رقم (٢٤٣٤).
- (٢) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب فَضْلِ النَّفَقَةِ عَلَى الْعِيَالِ، رقم (٢٣٥٨).
- (٣) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ رقم (٦)، وأخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ، رقم (٦١٤٩).

وعلى الداعية أن يدعو الناس لما تقدم من الهدى الشرعي في التعامل مع المال، ويمثل الضمانات الشرعية من فتنة المال ويدل الناس عليها ومنها:

١- غرس مفهوم الفتنة بالمال في أنفس المدعوين، وأن المال تكون فيه فتنة وامتحان، وذلك حين لا يستخدم في طرقه المشروعة، أو يشغل عن طاعة الله تعالى وشكره، ولقد سماه الله تعالى فتنة، فقال: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢٨].

قال ابن كثير رحمته الله: (وقوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: اختبار وامتحان منه لكم؛ إذ أعطاكموها ليعلم أتشكرونه عليها وتطيعونه فيها، أو تشتغلون بها عنه، وتعتاضون بها منه؟) (١).

٢- التعوذ من فتنة المال وكثرته، فلقد تعوذ النبي صلى الله عليه وسلم من فتنة الغنى، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَدْعُو بِهَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ «اللَّهُمَّ فَإِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ»، وفي لفظ النسائي قالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يدعو بهؤلاء الكلمات» (٢).

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي السلامة، ٤/٤٢.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب التعوذ من فتنة الفقر، رقم (٦٣٧٧)، وأخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التعوذ من شر الفتن وغيرها، رقم (٧٠٤٦).

والنبي ﷺ كما استعاذ من شر فتنة الغنى، فإنه استعاذ من شر فتنة الفقر، مما يشعر بأن المذموم ليس استحواذ المال وامتلاكه، ولذا من المهم التفريق بين أهمية المال في الحياة، وأنه وسيلة مهمة من الوسائل المعيشية للناس، ولذا النبي ﷺ استعاذ من شر فتنة الفقر، وبين أن يكون المال هو الهمّ والمقصود في هذه الحياة فيقع العبد في الفتنة، فالذم ليس لملك المال وإنما للجشع فيه حتى يكون عبداً لماله من شدة حرصه عليه.

قال ابن حجر رحمه الله: (قوله «عبد الدينار» أي طالبه الحريص على جمعه القائم على حفظه، فكأنه لذلك خادمه وعبده، قال الطيبي: قيل: خص العبد بالذكر؛ ليؤذن بانغماسه في محبة الدنيا وشهواتها، كالأسير الذي لا يجد خلاصاً، ولم يقل مالك الدينار ولا جامع الدينار؛ لأن المذموم من الملك والجمع الزيادة على قدر الحاجة، وقوله «إن أعطي الخ» يؤذن بشدة الحرص على ذلك، وقال غيره: جعله عبداً لهما؛ لشغفه وحرصه، فمن كان عبداً لهواه لم يصدق في حقه إياك نعبد، فلا يكون من اتصف بذلك صديقاً^(١)).

٣- توضيح المقصود الأصلي من المال وهو كونه وسيلة في هذه الحياة لا مقصداً، وأن جعله مقصداً سبب في الافتتان به.

قال محمد رشيد رضا رحمه الله: (وما بعث الله رسولا في أمة ولا مصلحاً في قوم إلا وكان الأغنياء أول من كفر وعاند وأبى واستكبر، وإن مؤمني الأغنياء أقلهم عملاً وأكثرهم زللاً، قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾ [الفتح: ١١]، وقال:

(١) فتح الباري، ابن حجر، ٢٥٤/١١.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢٨]، فقدّم الفتنّة بالأموال على الفتنّة بالأهلين. وكأنّه إنما أخر ذكر الأموال هنا عن ذكر النساء والبنين؛ لأن الكلام في طبيعة الحب لا في الاشتغال والفتنة به خاص، وحب النساء والبنين مقصد، وحب المال وسيلة لا يجعله مقصداً إلا من أعمته الفتنّة عن الحقيقة^(١).

٤- استشعار عاقبة الافتتان بالمال، وأن التنافس فيه سبب الهلاك الذي وقع في الأمم السابقة، والتعاسة التي دعا بها النبي ﷺ بقوله: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدَّرْهَمِ»، كما أن فتنة المال تتدرج بالعبد في أمراض القلوب المفضية إلى التقاطع والتقاتل، وهذا مشاهد في واقعنا كثيراً، ولكم أثرت الأموال في الأنفس حتى بين ذوي الرحم الواحدة.

قال النووي رحمه الله: (قوله ﷺ: «تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون أو نحو ذلك ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض» قال العلماء التنافس إلى الشيء المسابقة إليه، وكراهة أخذ غيرك إياه، وهو أول درجات الحسد، وأما الحسد فهو تمنى زوال النعمة عن صاحبها، والتدابير التقاطع وقد بقى مع التدابر شيء من المودة، أو لا يكون مودة وبغض، وأما التباغض فهو بعد هذا، ولهذا رتب في الحديث، ثم ينطلقون في مساكين المهاجرين أي ضعفائهم، فيجعلون بعضهم أمراء على بعض

(١) تفسير القرآن الحكيم المعروف بـ(تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا، ٣/ ٢٠٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م.

هكذا فسروه^(١).

قال ابن حجر رحمته الله: (قوله «فتهلككم» أي لأن المال مرغوب فيه فترتاح النفس لطلبه فتمنع منه فتقع العداوة المقتضية للمقاتلة المفضية إلى الهلاك)^(٢).

٥- التنبيه إلى أن النفس البشرية مهما أخذت من المال فإنها لن تزال تطلب مزيداً إلى أن تموت، ولن تقنع بشيء ما دامت تعلقت بالمال، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَا يَبْتَغِي وَادِيَا ثَالِثًا وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ وَيَتَوَبُّ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ»^(٣).

وعبر بالواديين لبيان أن المال لو كثر كثرة تشبه الواديين فإن ابن آدم لن يشبع من المال، ولن يزال حريصاً عليه ما دام تعلق به حتى يموت ويدفن بتراب قبره.

٦- الحث والتأكيد على سلامة اكتساب المال الحلال وذلك بالحثر من أمرين حذر منهما النبي ﷺ: أولاهما: اتقاء الحرام في كسب المال، والثاني: البعد عن الشبهات في المعاملات المالية، فإن هذين الأمرين قد يفتتن الناس بهما، لاسيما مع توسع مصادر المال تتشوف النفس له بأي طريق كما تقدم حتى لا يبالي ما أخذ منه أمن حرام أو حلال؟ لاسيما مع انتشار المعاملات والأسهم المالية في

(١) شرح صحيح الإمام مسلم، النووي، ٩٧-٩٦/١٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ٢٤٥/١١.

(٣) أخرجه البخاري من حديث ابن عباس، كتاب الرقاق، باب مَا يُتَّقَى مِنْ فِتْنَةِ الْمَالِ، رقم (٦٤٣٩)، وأخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَيْنِ لَا يَبْتَغِي ثَالِثًا، رقم (٢٤٦٢).

الواقع المعاصر، ولفت أنظار الناس لها وتنوعها، فعلى العبد أن يتقي الحرام ويتقي الشبهة في ذلك، فإن في اتقاء ذلك سلامة الدين والعرض، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقُلْبُ»^(١).

٧- ترسيخ مفهوم الغنى الحقيقي في النفوس، وهو غنى النفس، والقناعة بما قسم الله تعالى فهذا أحد أسباب الفلاح بالدنيا والآخرة، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافًا وَقَنَعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ»^(٢) وعلى العبد أن يحرص على الغنى الحقيقي، الذي جاء في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ»^(٣).

فالحديث دليل على معيار الغنى الذي ينبغي أن يكون في قلب العبد وهو غنى النفس، لا غنى المال وكثرته وازدياده كما يظن كثير من الناس؛

-
- (١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب فَضْلُ مَنْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، رقم (٥٢)، أخرجه مسلم، كتاب المساقاة، باب أَخَذِ الْحَلَالِ وَتَرَكَ الشُّبُهَاتِ، رقم (٤١٧٨).
- (٢) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب فِي الْكَفَافِ وَالْقَنَاعَةِ، رقم (٢٤٧٣).
- (٣) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ، رقم (٦٤٤٦)، وأخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، رقم (٢٤٦٧).

لأن من كان كذلك فلن يستغني، بل سيظل يطلب الازدياد من المال والحرص عليه ولن يشبع كما تقدم بيانه فكيف تستغني نفسه ومعياره في ذلك كثرة المال؟

ففرق بين من أغنى الله عز وجل قلبه وقنَّعه بما آتاه فرضي وحمد الله وفرَّغ قلبه لربه، وبين من اعتبر غناه في كثرة ما يجمعه و يحرص عليه من حطام الدنيا، فهو وإن كان غنياً بماله إلا أنه فقير بحرصه وشره ولهته وراء الدنيا، فلن يقنع قلبه بما عنده ولو كثر، فيمتلئ قلبه وينشغل بالحرص على الدنيا وحطامها ويكون إقباله على ربه والدار الآخرة ضعيفاً نسأل الله السلامة والعافية.

فإن قيل كيف يحقق العبد غنى النفس؟

قال ابن حجر رحمته الله: (وإنما يحصل غنى النفس بغنى القلب، بأن يفتقر إلى ربه في جميع أموره، فيتحقق أنه المعطي المانع، فيرضى بقضائه، ويشكره على نعمائه، ويفزع إليه في كشف ضرائه، فينشأ عن افتقار القلب لربه غنى نفسه عن غير ربه تعالى)^(١).

ثالثاً: فتنة النساء:

والمقصود بها الفتنة التي تحصل للأمة جرّاء الدواعي المثيرة للشهوة والميل للمرأة، سواء كان ذلك بتبرجها، أو بتزيين الشيطان صورتها في قلب العبد.

ولا يخفى أن انجذاب النساء للرجال، والعكس من ذلك غريزة أودعها الله تبارك وتعالى في النفس البشرية، لحكم كثيرة أبرزها عمارة

(١) فتح الباري، ابن حجر، ١١/١٧٣.

الأرض عن طريق التناسل والتكاثر.

ومتى كان هذا الانجذاب وفق ميزان الشرع كان محموداً موافقاً لحكمة الله تعالى، ومتى اختلف مع الميزان الشرعي حلت الفتنة العظمى والفساد الكبير في الأرض؛ بسبب الانجذاب المحرم الذي ينشأ عنه دمار البيوت، واختلاط المياه، وضياع الأنساب، وانتهاك الحرمات والأعراض، جرّاء هذه الفتنة.

ولقد جاءت النصوص الشرعية محذرة من هذه الفتنة التي هي من أشد الفتن على الأمة ومن ذلك:

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضُرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»^(١).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»^(٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صِنْفَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا»^(٣).

(١) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب مَا يُتَّقَى مِنْ شُؤْمِ الْمَرْأَةِ، رقم (٥٠٩٦)، وأخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْفُقَرَاءُ وَأَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ النِّسَاءُ وَبَيَانُ الْفِتْنَةِ بِالنِّسَاءِ، رقم (٧١٢١).

(٢) تقدم تخريجه ص ٣٧.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب النِّسَاءِ الْكَاسِيَاتِ الْعَارِيَاتِ الْمَائِلَاتِ الْمُمِيلَاتِ، رقم (٥٧٠٤).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي النِّسَاءِ: «مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبَّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ»^(١).

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبَلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ وَتُدْبَرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ فَإِذَا أَبْصَرَ أَحَدُكُمْ امْرَأَةً فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ»^(٢).

فقه الفتنة ومنهج الداعية الشرعي منها:

في النصوص السابقة دلالة واضحة على شدة الفتنة بالنساء، وأنهن أعظم فتنة وأشد ضرراً على الرجال، لما في النساء من جوانب التزيين والإغراء الحسي والمعنوي، ولما جعله الله تعالى في قلب الرجل من الميل الطبيعي الذي فطره الله تعالى عليه لحكمة طلب التناسل وغيرها، وفتنة الرجل بالمرأة تتخذ موضعين أحدهما فتنة الرجل بأهله -وسياتي بيانه- والآخر وهو المقصود فتنة الرجل بالمرأة الأجنبية، والمتأمل للنصوص السابقة يدرك قوة تأثير فتنة النساء على الرجال، فالله تعالى ذكر جملة من الشهوات التي زُيّنت للناس، وبدأ بأكثر الشهوات افتتاناً بها وهي فتنة النساء.

قال ابن كثير رحمته الله: (يخبر تعالى عما زُيّن للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ من النساء والبنين، فبدأ بالنساء لأن الفتنة بهن أشد، كما

(١) أخرجه البخاري، كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم، رقم (٣٠٤)، وأخرجه مسلم بلفظ «وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِيذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ» كتاب الإيمان، باب بَيَانِ نُقْصَانِ الْإِيمَانِ بِنُقُصِ الطَّاعَاتِ، رقم (٢٥٠).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب النكاح، باب نَذْبِ مَنْ رَأَى امْرَأَةً فَوَقَعَتْ فِي نَفْسِهِ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ امْرَأَتَهُ أَوْ جَارِيَتَهُ فَيُؤَافِقَهَا، رقم (٣٤٧٣).

ثبت في الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام، قال: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضُرُّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»^(١).

وجاء التصريح في سنة النبي ﷺ بأن فتنة النساء هي الأكثر ضرراً على الرجال لما يتعلق بهذه الفتنة من فتن أخرى، إذ أن فتنة النساء هي الأصل. قال ابن حجر رحمه الله: (وفي الحديث أن الفتنة بالنساء أشد من الفتنة بغيرهن ويشهد له قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء فجعلهن من حب الشهوات وبدأ بهن قبل بقية الأنواع إشارة إلى أنهن الأصل في ذلك)^(٢).

قال ابن الجوزي رحمه الله: (وفي الحديث الثاني عشر (ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء) اعلم أن شهوات الحس غالبية على الآدمي وأبلغ الشهوات الحسية الميل إلى النساء والعقل كاللجام المانع عما لا يصلح فالمحاربة بين الحس والعقل ما تنقطع إلا أن التوفيق إذا أعان صان)^(٣).

بل لشدة الافتتان بالنساء أخبر النبي ﷺ عن أمرين في فتنة النساء، أولاهما: بأن جعلها في مقابلة فتنة الدنيا بأكملها بما فيها من شهوات، وثانيهما: أنها كانت سبباً في فتنة أمة من أمم الرسالة من قبلنا وهم بنو إسرائيل فقال: «فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي السلامة، ١٩/٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ١٣٨/٩.

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين، أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، ١/١٠٥٣، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

فِي النِّسَاءِ»^(١) والمرأة من فتن الدنيا لكن التخصيص بعد التعميم يعطى مزيد تحذير من هذه الفتنة، وهي فتنة قديمة الأصول، فقد كان لها قصب السبق على بني إسرائيل فهي أول فتنة حلت بهم فكانت سبباً في هلاكهم، وإن المتأمل لهذه الفتنة واشتدادها في زماننا يرى شرح الحالين اللذين ذكرهما النبي ﷺ جلياً في أرض الواقع:

أولاهما: الصورة التي تقبل وتدبر بها المرأة الأجنبية، فهي تقبل وتدبر في صورة شيطان، أي ما يمليه الشيطان ويوسوس به من التزيين والإغراء وتحريك الشهوة في قلب الناظر للمرأة.

قال القرطبي رحمه الله: ((إن المرأة تقبل في صورة شيطان؛ أي: في صفته من الوسوسة، والتحريك للشهوة؛ بما يبدو منها من المحاسن المثيرة للشهوة النفسية، والميل الطبيعي، وبذلك تدعو إلى الفتنة التي هي أعظم من فتنة الشيطان)^(٢).

ثانيهما: صنف من النساء يظهرن آخر الزمان بصفات الفتنة الصريحة، والإغراء الدال على الفساد والفجور، ولذا استحققن الوعيد بالنار والحرمان من الجنة، قال النبي ﷺ عن وصفهن: «نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ»^(٣) واختلف في معنى الصفات الواردة في الحديث، ف قيل في معنى «كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ» عدة

(١) تقدم تخريجه ص ٣٧.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، الحافظ أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، تحقيق: يوسف علي بديوي وآخرون، ٩٠/٤، ط ٣، دار ابن كثير، سوريا، دمشق، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥ م.

(٣) تقدم تخريجه ص ٥٨.

أقوال: قيل: إنهن يلبسن الثياب لكن مع هذا فهن عاريات لأن ثيابهن لا تؤدي وظيفة الستر لرقتها وشفافيتها، وقيل: كاسيات من نعمة الله عاريات من شكرها، وقيل: تستر بعض بدنهن وتكشف بعضه إظهاراً بحالها، وقيل: تلبس ثوباً رقيقاً يصف لون بدنهن، وقيل: كاسيات من الثياب عاريات من فعل الخير والاهتمام لآخرتهن والاعتناء بالطاعات.

وأما معنى «مُمِيلَاتُ مَائِلَاتٍ» فقيل: زائغات عن طاعة الله تعالى وما يلزمهن من حفظ الفروج وغيرها، مميلات: يعلمن غيرهن مثل فعلهن، وقيل: مائلات متبخرات في مشيتهن، مميلات أكتافهن، وقيل: مائلات يتمشطن المشطة الميلاء وهي مشطة البغايا المعروفة لهن، مميلات: يتمشطن غيرهن تلك المشطة، وقيل: مائلات إلى الرجال، مميلات لهم بما يبدين من زينتتهن وغيرها.

وأما قوله: «رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ» أي يعظمن رؤوسهن بالخُمُر والعمائم وغيرها مما يُلف على الرأس حتى تشبه أسنمة الإبل البخت، وقيل: يطمحن للرجال ولا يغضضن عنهم ولا ينكسن رؤوسهن^(١).

والحديث يشمل ما تقدم من المعاني وغيرها مما تظهره النساء من التبرج والسفور والتعري، والتمايل، وقصات الشعر التي جاء وصفها في الحديث، ومن تأمل الولائم والمناسبات، والأماكن النسائية العامة، وما يحدث في المشاغل النسائية أدرك انطباق هذه الصفات على بعض نساء

(١) انظر هذه المعاني في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، ١٤/١١٠، ط ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢م.

عصرنا.

وإذا تقرر ما تقدم فإن منهج الداعية المستقى من النصوص السابقة
حيال هذه الفتنة ما يلي:

على الداعية اتقاء فتنة النساء ومواطنها تأسيساً بأمر النبي ﷺ: «فَاتَّقُوا
الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ»^(١) وإدراكاً لخطورة الضرر المترتب على هذه الفتنة
بقوله ﷺ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضُرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»^(٢)، وعلى
الداعية أن يتبعد عن كل ما يثير الشبهة ويحرك الشهوة، فيوازن بين
المصالح والمفاسد في أنشطته العلمية أو الدعوية أو الخيرية ذات الصلة
بالنساء، ويمثل السبل والطرق التي تسد باب الفتنة عنه، ومتى علم أن
الباب انفتح عليه، فليتنق الفتنة بالابتعاد عنها، وليتذكر الداعية بأنه دليل
هداية للمدعوين فليحذر أن تنطفئ شمس به مثل هذه الفتنة.

كما أن على الداعية أن يستشعر مدى غلبة هذه الفتنة حتى على عقول
أسمى النماذج من الرجال وأصلبهم وأشدهم حزمًا، فكيف بمن دونه؟
ففي حديث أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً: «مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ
أَذْهَبَ لِلْبِ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ»^(٣).

قال شيخنا ابن عثيمين رحمه الله: ((ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب
للب الرجل الحازم من إحداكن)) هل تريد شيئاً أبين من هذا؟ أذهب للب
الرجل الحازم فما بالك بالمهين الذي ليس عنده حزم ولا عزم ولا دين
ولا رجولة يكون أشد وأشد والعياذ بالله، لكن الرجل الحازم تذهب

(١) تقدم تخريجه ص ٣٧.

(٢) تقدم تخريجه ص ٥٨.

(٣) تقدم تخريجه ص ٥٩.

النساء عقله نسأل الله العافية وهذا هو الواقع^(١).

على الداعية استشعار ما سبق وحث غيره على ذلك بأن يتقي فتنة النساء والتساهل فيها، وأن يمثل الضمانات الشرعية التي جاءت في النصوص، للابتعاد عن هذه الفتنة ومن ذلك:

١- الأمر بغض الأبصار وحفظ الفروج، لأن النظر بريد الزنا، وأول طريق لهذه الفتنة، وغض البصر أهم الضمانات الشرعية لفتنة النساء، وفي ذلك يقول الله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴿[النور: ٣١-٣٠].

٢- بيان تحريم الاختلاط بين الجنسين الذي به تنتشر الفتنة وتحضر حبائل الشيطان، وتحريم اختلاء الرجل بالمرأة الأجنبية عنه، وبيان مفسد الاختلاط والخلوة وما يترتب عليهما من مفسد، واقتران الشيطان في مثل هذه المواضع، وإثارته للفتنة، ولذا من الضمانات الشرعية في مثل هذا الابتعاد عن الخلطة والخلوة، عن ابن عباس رضي الله عنهما يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَخْطُبُ يَقُولُ: «لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ»^(٢)، وعند الترمذي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما

(١) شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، محمد بن صالح العثيمين، تحقيق: أحمد بن عبد الرزاق البكري وآخرون، ٤٨/١، ط ١، دار السلام، مصر، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢ م.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من اكتتب في جيش فخرجت امرأته حاجة وكان له عذر هل يؤذن له، رقم (٣٠٠٦). وأخرجه مسلم، كتاب الحج، باب سَفَرِ الْمَرْأَةِ مَعَ مَحْرَمٍ إِلَى حَجٍّ وَغَيْرِهِ، رقم (٣٣٣٦).

مرفوعاً «ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان»^(١).

٣- الحث على إعفاف الفتيان والفتيات بالزواج الشرعي إذا وجد الكفء من الطرفين، ففي الزواج بغية وكفاية وردّ لجماع النفس وطلاقة البصر، وشهوة الفرج تجاه هذه الفتنة، عن ابن مسعود رضي الله عنه عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ^(٢) فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ^{(٣)(٤)}».

- (١) أخرجه الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، ٤/ ٤٦٥، رقم (٢١٦٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٥/ ١٦٥).
- (٢) أي استطاع النكاح ويقال للجماع باءة، قال ابن منظور: (الباء النكاح وُسْمِي النكاح بَاءَةً وِبَاءً مِنَ الْمَبَاءَةِ لِأَنَّ الرَّجُلَ يَتَبَوَّأُ مِنْ أَهْلِهِ أَيْ يَسْتَمْكِنُ مِنْ أَهْلِهِ كَمَا يَتَبَوَّأُ مِنْ دَارِهِ... وفي حديث النبي ﷺ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ أَرَادَ بِالْبَاءَةِ النِّكَاحَ وَالتَّزْوِيجَ وَيُقَالُ فُلَانٌ حَرِيصٌ عَلَى الْبَاءَةِ أَيْ عَلَى النِّكَاحِ وَيُقَالُ الْجِمَاعُ نَفْسُهُ بَاءَةً) لسان العرب، ابن منظور، مادة (بوا)، ٣٦/١.
- (٣) الوجاء: بكسر الواو والمد، رض الخصيتين حتى تنفضخا وفي هذا قطع للشهوة، والمراد أن الصوم يقطع الشهوة كما يقطعها الوجاء، قال ابن منظور: (وَالْوَجَاءُ أَنْ تُرَضَّ أَنْثَى الْفَحْلِ رَضًّا شَدِيدًا يُذْهِبُ شَهْوَةَ الْجِمَاعِ وَيَنْتَزِلُ فِي قَطْعِهِ مَنَزَلَةُ الْخَضْيِ وَقِيلَ أَنْ تُوجَأَ الْعُرُوقُ وَالْخُصْيَتَانِ بِحَالِهِمَا وَوَجَأَ التَّيْسُ وَجَأً وَوَجَاءَ فَهُوَ مَوْجُوءٌ وَوَجِيءٌ إِذَا دَقَّ عُرُوقُ خُصْيَتَيْهِ بَيْنَ حَجْرَيْنِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُخْرِجَهُمَا وَقِيلَ هُوَ أَنْ تُرَضَّ هُمَا حَتَّى تَنْفُضَخَا فَيَكُونُ شَبِيهًا بِالْخِصَاءِ وَقِيلَ الْوَجَاءُ الْمَصْدَرُ وَالْوَجَاءُ الْاسْمُ وَفِي الْحَدِيثِ عَلَيْنَكُمْ بِالْبَاءَةِ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ مَمْدُودٌ... أَرَادَ أَنْ الصَّوْمَ يَقْطَعُ النِّكَاحَ كَمَا يَقْطَعُهُ الْوَجَاءُ)، وقال الجوهري: (والوجاء بالكسر والمد: رض عروق البيضتين حتى تنفضخ فيكون شبيها بالخصاء) انظر لسان العرب، ابن منظور، مادة (وجأ)، ١/ ١٩٠، وانظر الصحاح، للجوهري، مادة (وجأ)، ١/ ٨٠، وانظر مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مادة (وجأ)، ص (٧٤٠)، ط ١، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.
- (٤) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب هَلْ يَقُولُ إِنِّي صَائِمٌ إِذَا شَتِمَ، =

والزواج من أهم الضمانات الشرعية التي يدعو إليها الداعية؛ لاتقاء هذه الفتنة، فضلاً عن أنها سنة النبي ﷺ والأنبياء من قبله، وفي الحديث إشارة إلى ضمان آخر لمن لم يستطع النكاح بأن يصوم فإنه وجاء أي حصن حصين، وقاطع للشهوة، وضمنان من الفتنة بالنساء.

٤- ومن الضمانات الشرعية تجاه من وقع في هذه الفتنة، بأن رأى من المرأة ما يعجبه، تطبق ما أرشد إليه النبي ﷺ، مما يذهب ما في نفسه من الفتنة والميل للمرأة التي رآها، ففي حديث جابر رضي الله عنه مرفوعاً: «إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبَلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ وَتُدْبَرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ فَإِذَا أَبْصَرَ أَحَدُكُمْ امْرَأَةً فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ»^(١).

قال القرطبي رحمه الله: («إن المرأة تقبل في صورة شيطان»؛ أي: في صفته من الوسوسة، والتحريك للشهوة؛ بما يبدو منها من المحاسن المثيرة للشهوة النفسية، والميل الطبيعي، وبذلك تدعو إلى الفتنة التي هي أعظم من فتنة الشيطان، ولذلك قال ﷺ: «ما تركت في أمتي فتنة أضر على الرجال من النساء»، فلما خاف ﷺ هذه المفسدة على أمته أرشدهم إلى طريق بها تزول وتنحسم، فقال: «إذا أبصر أحدكم المرأة فاعجبته فليأت أهله»، ثم أخبر بفائدة ذلك، وهو قوله: «فإن ذلك يرد ما في نفسه» ولرد وجهان:

أحدهما: أن المني إذا خرج؛ انكسرت الشهوة، وانطفأت، فزال تعلق النفس بالصورة المرئية. وثانيهما: أن محل الوطء والإصابة

= رقم (١٩٠٤). وأخرجه مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تأقت نفسه إليه ووجد مؤنة واشتغال من عجز عن المؤمن بالصوم، رقم (٣٤٦٤).

(١) تقدم تخريجه ص ٥٩.

متساوٍ من النساء كلهن، والتفاوت إنما هو من خارج ذلك، فليُكْتَفَ بمحلّ الوطء، الذي هو المقصود، ويُغْفَلَ عمّا سواه، وقد دلّ على هذا ما جاء في هذا الحديث في غير «الأم» بعد قوله: «فليأت أهله»، «فإن معها مثل الذي معها»^(١).

قال النووي رحمته الله: (ومعنى الحديث أنه يستحب لمن رأى امرأة فتحركت شهوته أن يأتي امرأته أو جاريتها إن كانت له، فليواقعها؛ ليدفع شهوته وتسكن نفسه ويجمع قلبه على ما هو بصدده قوله رحمته الله «إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان» قال العلماء معناه الإشارة إلى الهوى والدعاء إلى الفتنة بها لما جعله الله تعالى في نفوس الرجال من الميل إلى النساء والالتذاذ بنظرهن وما يتعلق بهن فهي شبيهة بالشيطان في دعائه إلى الشر بوسوسته وتزيينه له ويستنبط من هذا أنه ينبغي لها أن لا تخرج بين الرجال إلا لضرورة وأنه ينبغي للرجل الغض عن ثيابها والإعراض عنها مطلقاً)^(٢).

٥- ومن الضمانات الشرعية لهذه الفتنة، حث الداعية للنساء بشتى الوسائل الحديثة على التمسك بالحجاب الشرعي الذي يجعل المرأة على منهاج العفة والستر، بعيدة عن مظاهر الفتنة والتبرج والتكشف، مجانيةً لمطامع الطامعين بها جرّاء الافتتان بها فيما لو تكشفت، ممثلة الأمر الإلهي للنبي صلّى الله عليه وآله في قوله تعالى: ﴿بِأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّلْأَزْوَاجِ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ

(١) المفهم، القرطبي، تحقيق: يوسف علي بديوي وآخرين ٩٠-٩١.

(٢) شرح صحيح الإمام مسلم، الإمام النووي، ٩/١٧٧.

يُعْرِفَنَّ فَلَا يُؤْذِنَنَّ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾ [الأحراب: ٥٩].

قال السعدي رحمه الله: ﴿يُذْنِبُكَ عَلَيْهِنَ مِنْ جَلْبِيهِنَّ﴾ وهن اللاتي يكن فوق الثياب من ملحفة وخمار ورداء ونحوه، أي: يغطين بها، وجوههن وصدورهن.

ثم ذكر حكمة ذلك، فقال: ﴿ذَلِكَ أَدَّتْ أَنْ يُعْرِفَنَّ فَلَا يُؤْذِنَنَّ﴾ دل على وجود أذية، إن لم يحتجب، وذلك، لأنهن إذا لم يحتجن، ربما ظن أنهن غير عفيفات، فيتعرض لهن من في قلبه مرض، فيؤذيهن، وربما استهين بهن، وظن أنهن إمءاء، فتهاون بهن من يريد الشر. فالاحتجاب حاسم لمطامع الطامعين فيهن^(١).

٦- على الداعية تبصير المجتمع رجالاً ونساءً بخطط الأعداء المتتابعة تجاه المرأة، واتخاذها وسيلة للفتنة، فهم لا يألون جهداً في التنوع بإغرائها وإخراجها من حشمتها وعفافها وأنوثتها، إلى حيث الفتنة ودعوة الشيطان، حيث سخرُوا لهذه المعركة الميزانيات الكبيرة والخطط المتنوعة، تارة بشعار تحرير المرأة، وتارة بشعار حقوق المرأة، ونحوهما من المسميات والهدف واحد، هو جعلها سلعة رخيصة، وكبشاً لانهطاط الأمة بفتح الشهوات وفنون الإغراء، وإلا فالمرأة في ظل الإسلام نالت أعلى درجات الحرية والكرامة والعفة والفضيلة.

فعلى الداعية بيان مراد الأعداء ومواطن شعاراتهم الزائفة تجاه المرأة وفتنتها وآثارها، وما ألحقوا به الأمة من الانفتاح وويلات الشهوات -

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، تحقيق: د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ص ٦٧١.

وقد استطاعوا كما هو مشاهد - عبر القنوات الفضائيات بتنوع أشكالها وبرامجها، وشبكات الاتصال بأنواعها، والأسواق، والصحف والمجلات، وكافة الوسائل السمعية والمرئية والمقروءة.

قال شيخنا ابن عثيمين رحمته الله: (ولهذا كان أعداؤنا أعداء الإسلام بل أعداء الله ورسوله من اليهود والنصارى والمشركين والشيوعيين وأشباههم وأذئابهم وأتباعهم كل هؤلاء يحرضون غاية الحرص على أن يفتنوا المسلمين بالنساء يدعون إلى التبرج يدعون إلى اختلاط المرأة بالرجل يدعون إلى التفسخ في الأخلاق يدعون إلى ذلك بألسنتهم وأقلامهم وأعمالهم والعياذ بالله؛ لأنهم يعلمون أن الفتنة العظيمة التي ينسى بها الإنسان ربه ودينه إنما تكون في النساء)^(١).

وقال أيضاً: (ولذلك نجد أعداءنا وأعداء ديننا أعداء شريعة الله عز وجل، يركزون اليوم على مسألة النساء وتبرجهن، واختلاطهن بالرجال، ومشاركتهن للرجال في الأعمال، حتى يصبح الناس كأنهم الحمير، لا يهمهم إلا بطونهم وفروجهم - والعياذ بالله - وتصبح النساء كأنهن دمي أي: صور لا يهتم الناس إلا بشكل المرأة، كيف يزينونها؟ وكيف يجملونها؟ وكيف يأتون لها بالمجملات والمحسنات وما يتعلق بالشعر وما يتعلق بالجلد ونتف الشعر والساق والذراع والوجه؟ وكل شيء حتى يجعلوا أكبر هم النساء أن تكون المرأة كالصورة من البلاستيك لا يهمها عبادة، ولا يهمها أولاد ولهذا يجب علينا نحن ونحن أمة مسلمة أن نعارض هذه الأفكار، وأن نقف ضدها في كل مكان، وفي كل

(١) شرح رياض الصالحين، محمد العثيمين، تحقيق: أحمد بن عبدالرزاق البكري وآخرين، ٤٨/١.

مناسبة، علماً بأنه يوجد عندنا قوم - لا كثرة الله ولا أنالهم مقصودهم - يريدون هذا الأمر لهذا البلد المسلم المسالم المحافظ؛ لأنهم يعلمون أن آخر معقل للمسلمين هو هذه البلاد التي تشمل مقدسات المسلمين وقبلة المسلمين ليفسدوها، حتى تفسد الأمة الإسلامية كلها فكل الأمة الإسلامية ينظرون إلى هذه البلاد ماذا تفعل؟ فإذا انهدم الحياء والدين في هذه البلاد، فسلام عليهم وسلام على الدين والحياء، لهذا أقول: يا أخواني يجب علينا - شباباً وكهولاً وشيوخاً وعلماء ومتعلمين - أن نعارض هذه الأفكار، وأن نقيم الناس كلهم ضدها، حتى لا تسرى فينا سريان النار في الهشيم فتحرقنا، نسأل الله أن يجعل كيد هؤلاء الذين يدبرون مثل هذه الأمور في نحورهم وأن لا يبلغهم منالهم وأن يكتبتهم برجال صالحين حتى تخدم فتنهم إنه جواد كريم^(١).

رابعاً: فتنة المحبوبات:

المحبوبات هي الأمور التي تميل إليها النفس وتشتهيها مما جعل الله حبه فطرة في النفس البشرية، كالمال - وتقدم - والولد والزوجة والأهل والأقارب والعشيرة، فإذا زاد الميل إليها في قلب المؤمن وقُدِّمت على أمر الله تعالى وفرائضه صارت فتنه، وهذا هو وجه الفتنه بالمحجوبات.

ولقد جاءت نصوص الكتاب والسنة في التحذير من هذه الفتنه ومن

ذلك:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ

(١) شرح رياض الصالحين، محمد العثيمين، تحقيق: أحمد بن عبدالرزاق البكري وآخرين، ٢٤٩/١ - ٢٥٠.

لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَوْا وَتَصَفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾
[التَّغَابُنُ: ١٤]

وقوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢٨]، وقوله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التَّغَابُنُ: ١٥].

عن بُرَيْدَةَ بن الحَصِيب رضي الله عنه قَالَ خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَقْبَلَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ - رضي الله عنهما - عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَغْثَرَانِ وَيَقُومَانِ فَنَزَلَ فَأَخَذَهُمَا فَصَعَدَ بِهِمَا الْمِنْبَرَ ثُمَّ قَالَ: «صَدَقَ اللَّهُ ﴿أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾» [الأنفال: ٢٨] رَأَيْتُ هَذَيْنِ فَلَمْ أَصْبِرْ. ثُمَّ أَخَذَ فِي الْخُطْبَةِ^(١).

عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه، أَيُّكُمْ يَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عَنِ الْفِتْنَةِ، قَالَ: قُلْتُ أَنَا أَحْفَظُهُ كَمَا قَالَ: قَالَ إِنَّكَ عَلَيْهِ لَجَرِيءٌ فَكَيْفَ، قَالَ: قُلْتُ: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ تَكْفُرُهَا الصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ» الحديث^(٢).

فقه الفتنة ومنهج الداعية الشرعي منها:

المتأمل للنصوص السابقة يجد أهمية التحذير من فتنة المحبوبات،

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب الإمام يَقْطَعُ الْخُطْبَةَ لِلْأَمْرِ بِحَدِيثٍ، رقم (١١١١)، وأخرجه ابن ماجه، كتاب اللباس، بابُ لُبْسِ الْأَحْمَرِ لِلرِّجَالِ، رقم (٣٦٠٠)، سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، مكتبة أبي المعاطي، والحديث صححه الألباني، صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، رقم (١١١١)، ٤٣٢/١، ط١، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م.

(٢) تقدم تخريجه ص ٢٥.

فإن الله تعالى سمى الانشغال بالولد والزوجة والأهل فتنة، فهي اختبار وامتحان للعبد؛ لأن من الأولاد والزوجة من لا يأمر بطاعة ولا معروف، ولربما زين المعصية له، فمن انشغل بهذه المحبوبات عن طاعة الله تعالى وأمره، أو عصى الله بسببها أصابته فتنتها، ومن راعى حق الله تعالى وتعامل مع هذه المحبوبات بالشكر والإعانة على الطاعة نجا من فتنتها.

قال القرطبي رحمته الله: (قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي بلاء واختبار يحملكم على كسب المحرم ومنع حق الله تعالى فلا تطيعوهم في معصية الله) (١).

قال ابن كثير رحمته الله: (وقوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: ٢٨] أي: اختبار وامتحان منه لكم؛ إذ أعطاكموها ليعلم أتشكرونه عليها وتطيعونه فيها، أو تشتغلون بها عنه، وتعتاضون بها منه؟) (٢).

ولقد سمى الله تعالى هذه المحبوبات عدواً لما فيها من الصد عن طاعة الله تعالى، فأمر أن نحذرهما على ديننا، أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عن قتادة في قوله: ﴿إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤]، قال: منهم من لا يأمر بطاعة ولا ينهي عن معصية، وكفى بذلك عداوة للمرء أن يكون صاحبه لا يأمر بطاعة ولا ينهي

(١) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين القرطبي، تحقيق: سمير البخاري، ١٤٢/١٨، دار عالم الكتب، الرياض ١٤٢٣، هـ/ ٢٠٠٣ م.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي السلامة، ٤/ ٤٢.

عن معصية، وكانوا يثبطون عن الجهاد والهجرة إلى رسول الله ﷺ^(١).

ويدخل في هذه الفتنة أيضا الفتنة بالأقارب والعشيرة، فقد يفتتن المسلم بحبه لأقاربه وعشيرته حباً يجعله يقدم أوامرهم وتقاليدهم على أوامر الله تعالى، ويجعله بسبب تعصبه لقبيلته وحبه لأقاربه يتمثل عاداتهم ولو خالفت الشرع.

وكذلك تكون الفتنة في الجار بحسب حبه له وعكس ذلك، فبحبه يقدم مصالح جاره ويراعيه وإن خالفت الشرع، أو يكون بينه وبين جاره عكس ذلك من البغضاء والتحاسد والمفاخرة ما يجعله يشتغل بذلك عن طاعة الله تعالى، أو حملة ذلك على تحمل الآثام بالإساءة إليه، ولذا قال ﷺ: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ تَكْفُرُهَا الصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ»^(٢).

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، ٥١٧/١٤، أخرج الترمذي، في كتاب التفسير، باب ومن سورة التغابن، رقم (٣٣١٧) عن ابن عباس: وسأله رجل عن هذه الآية ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِن آتٍ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدُوَّكُمْ لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التَّغَابُنُ: ١٤]. قال: هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا رسول الله ﷺ فلما أتوا رسول الله ﷺ رأوا الناس قد فقهوا في الدين هموا أن يعاقبهم فأنزل الله عز وجل ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِن آتٍ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدُوَّكُمْ لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ الآية، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

قال القرطبي: (قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِن آتٍ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدُوَّكُمْ لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ لا خلاف بين السلف من أهل العلم بتأويل القرآن أن هذه الآيات نزلت بسبب قوم كفار تأخروا عن الهجرة من دار الشرك إلى دار الإسلام بتبسيط أولادهم إياهم عن ذلك) اهـ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: سمير البخاري، ١٤٥/١٨.

(٢) تقدم تخريجه ص ٢٥.

قال ابن حجر رحمته الله: (قال الزين بن المنير: الفتنة بالأهل: تقع بالميل إليهن أو عليهن في القسمة والإيثار حتى في أولادهن، ومن جهة التفریط في الحقوق الواجبة لهن، وبالمال: يقع الاشتغال به عن العبادة، أو بحبسه عن إخراج حق الله، والفتنة بالأولاد: تقع بالميل الطبيعي إلى الولد وإيثاره على كل أحد، والفتنة بالجار: تقع بالحسد والمفاخرة والمزاحمة في الحقوق وإهمال التعاهد)^(١).

والداعية إلى الله تعالى من أشد الناس انتباهاً وحرصاً في التعامل مع هذه الفتن، لاسيما الملازمة له في عيشه كالولد والأهل، فعليه معرفة حق الله تعالى فيهم فلا يظلمهم حقهم من النفقة والتربية والمسؤولية التي استرعاه الله، وبذل النصح لهم، ولا يدفعه حبه لهم إلى مخالفة أمر الله تعالى، إما بإسراف النفقة عليهم، أو بتقديم طاعتهم على أوامر الله جل وعلا، واجتناب معصيته.

وعلى الداعية ألا يدفعه انشغاله بأولاده وأهله إلى ترك ما كان عليه من النوافل والحرص على كثرة التعبد لله تعالى، بدافع الاستجابة لكلمات ربما تُضيّق عليه وقت تعبده، وتخرجه عما كان عليه من الحرص على النوافل والطاعات، إلى الإفراط في ضياع الأوقات بكثرة المخالطة والمجالسة، والانشغال بما لا طائل منه ولا نائل.

قال ابن القيم رحمته الله: (وما أكثر ما فات العبد من الكمال والفلاح بسبب زوجته وولده)^(٢).

(١) فتح الباري، ابن حجر، ٦/٦٠٥.

(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن قيم الجوزية، ٢/١٥، ط٣، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ودار التراث، المدينة المنورة، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

وقال ابن بطلال رحمته الله: (ومن فتنة الأهل أيضاً الإسراف والغلو في النفقة عليهن، والشغل بأمورهن عن كثير من النوافل)^(١).

وقال المناوي رحمته الله: (وأقل إفسادها - أي الزوجة - أن تحمله على تحصيل الدنيا والاهتمام بها وتشغله عن أمر الآخرة، وللمرأة فتنان: عامة وخاصة، فالعامة: الإفراط في الاهتمام بأسباب المعيشة وتغيير المرأة له بالفقر، فيكلف ما لا يطيق، ويسلك مسلك التهم المذهبة لدينه، والخاصة: الإفراط في المجالسة والمخالطة، فتنتلق النفس عن قيد الاعتدال، وتستروح بطول الاسترسال، فيستولى على القلب السهو والغفلة، فيقل الوارد لقلّة الأوراد، ويتكدر الحال لإهمال شروط الأعمال)^(٢).

وعلى الداعية أن يجعل من زوجته وأولاده رافداً له في دعوته والاستمرار فيها، وما كان عليه من نشاط علمي أو دعوي أو خيري، لا أن يكونوا سبباً لضعفه في دعوته بحجة المسؤولية وكثرة الأعباء.

قال النووي رحمته الله: (وفتنة الرجل في أهله وماله وولده ضروب من فرط محبته لهم، وشحه عليهم، وشغله بهم عن كثير من الخير، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥] أو لتفريطه بما يلزم من القيام بحقوقهم وتأديبهم وتعليمهم، فإنه راع لهم ومسئول عن رعيته، وكذلك فتنة الرجل في جاره من هذا فهذه كلها فتن تقتضي المحاسبة)^(٣).

(١) شرح صحيح البخاري، ابن بطلال، ١٣/٤.

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير، الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، ٦٧١/٢، ط ٣، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

(٣) شرح صحيح الإمام مسلم، النووي، ١٧٠/٢.

وعلى الداعية أن يكون خير معين للمدعوين في تحذيرهم من فتنة المحبوبات التي ربما تغرُّ كثيرًا من الناس بل ويخفى عليهم وجه كونها فتنة، ومن جملة ما يتمثل به ويدل مدعويه إليه ما يلي:

١- توضيح كيف تكون هذه المحبوبات فتنة على العبد، وذلك حينما تدفعه محبته لهم للانقياد لمرادهم وطاعتهم في أمور تخالف شرع الله تعالى، كما تقدم بيانه.

قال السعدي رحمه الله: (هذا تحذير من الله للمؤمنين، من الاغترار بالأزواج والأولاد، فإن بعضهم عدو لكم، والعدو هو الذي يريد لك الشر، ووظيفتك الحذر ممن هذه وصفه، والنفوس مجبولة على محبة الأزواج والأولاد، فنصح تعالى عباده أن توجب لهم هذه المحبة الانقياد لمطالب الأزواج والأولاد، ولو كان فيها ما فيها من المحذور الشرعي، ورغبتهم في امتثال أوامره، وتقديم مرضاته بما عنده من الأجر العظيم المشتمل على المطالب العالية والمحاب الغالية، وأن يؤثروا الآخرة على الدنيا الفانية المنقضية، ولما كان النهي عن طاعة الأزواج والأولاد، فيما هو ضرر على العبد، والتحذير من ذلك، قد يوهم الغلظة عليهم وعقابهم، أمر تعالى بالحذر منهم، والصفح عنهم والعفو، فإن في ذلك، من المصالح ما لا يمكن حصره، فقال: ﴿وَإِنْ تَعَفُّواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التَّغَابُنُ: ١٤] لأن الجزاء من جنس العمل^(١).

وينبغي للداعية إيضاح مفهوم العداوة المقصودة في الآية، وأنها ليست عداوة بغضاء ونزاع، بل هي عداوة صادة عن طاعة الله تعالى.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، تحقيق: د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ص ٨٦٨.

قال ابن القيم رحمه الله: (وليس المراد من هذه العداوة ما يفهمه كثير من الناس، أنها عداوة البغضاء والمحادة، بل إنما هي عداوة المحبة الصادقة للآباء عن الهجرة والجهاد وتعلم العلم والصدقة وغير ذلك من أمور الدين، وأعمال البر، كما في جامع الترمذي من حديث إسرائيل حدثنا سماك عن عكرمة عن ابن عباس، وسأله رجل عن هذه الآية: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَّ أَزْوَاجُكُمُ وَأُولَدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التَّغَابُن: ١٤] قال هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة فأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا رسول الله ﷺ، فلما أتوا رسول الله ﷺ، ورأوا الناس قد فقهوا في الدين، هموا أن يعاقبوهم فأنزل الله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَّ أَزْوَاجُكُمُ وَأُولَدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ [التَّغَابُن: ١٤] الآية، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وما أكثر ما فات العبد من الكمال والفلاح بسبب زوجته وولده^(١).

٢- الموازنة بين الحقوق الواجبة تجاه الأهل والأولاد من النفقة والرعاية والتربية على طاعة الله تعالى، وبين كون كثرة المخالطة والاستجابة لجميع مرادهم وإن كانت مخالفة للشرع أو مشغلة للنفس بما لا فائدة فيه مما يجبر للهو والغفلة، وضياح الأعمار والأوقات، مما يكون سبباً في الوقوع بهذه الفتنة، فإن عدم الموازنة في كلا الطرفين خلل يخالف المنهج الصحيح في التعامل مع هذه الفتنة.

٣- أن للعبد مع هذه الفتن أحد موقفين: إما أن يقع في فتنها والميل لها فيفطر بما أمره الله تعالى، وإما أن يسخر هذه المحبوبات في طاعة الله

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن قيم الجوزية، ١٥/٢.

تعالى، ويجعلها زاداً له وطريقاً من طرق الخير، فينشئهم التنشئة الإسلامية الصحيحة الموافقة للهدي الشرعي، فالله تعالى يبتلي عباده بهذه المحبوبات لينظر كيف يعملون؟

قال السعدي رحمته الله: (يخبر تعالى أنه زين للناس حب الشهوات الدنيوية، وخص هذه الأمور المذكورة لأنها أعظم شهوات الدنيا وغيرها تبع لها، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً﴾ [الكهف: ٧] فلما زينت لهم هذه المذكورات بما فيها من الدواعي المثيرات، تعلق بها نفوسهم ومالت إليها قلوبهم، وانقسموا بحسب الواقع إلى قسمين: قسم: جعلوها هي المقصود، فصارت أفكارهم وخواطرهم وأعمالهم الظاهرة والباطنة لها، فشغلتهم عما خلقوا لأجله، وصحبوها صحبة البهائم السائمة، يتمتعون بلذاتها ويتناولون شهواتها، ولا يبالون على أي: وجه حصلوها، ولا فيما أنفقوها وصرفوها، فهؤلاء كانت زادا لهم إلى دار الشقاء والعناء والعذاب، والقسم الثاني: عرفوا المقصود منها وأن الله جعلها ابتلاء وامتحاناً لعباده، ليعلم من يقدم طاعته ومرضاته على لذاته وشهواته، فجعلوها وسيلة لهم وطريقاً يتزودون منها لآخرتهم ويتمتعون بما يتمتعون به على وجه الاستعانة به على مرضاته، قد صحبتوها بأبدانهم وفارقوها بقلوبهم، وعلموا أنها كما قال الله فيها: ﴿ذَلِكَ مَتَكُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ١٤] فجعلوها معبراً إلى الدار الآخرة ومتجراً يرجون بها الفوائد الفاخرة، فهؤلاء صارت لهم زادا إلى ربهم^(١).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، تحقيق: د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ص ١٢٣.

خامساً: فتنة محقرات الذنوب:

وهي الذنوب التي يراها المسلم صغيرة فيحقرها، ولا يبالي بملازمتها لكثرة اقترافها له، فتتوارد عليه الصغائر ولا يأبه بها، مستأنساً بكونها صغائر وأن عنده من المكفرات ما يمحوها، فتجتمع عليه حتى تهلكه.

واحتقار الصغائر والاستمرار على ذلك يجعل على القلب غشاوة تحجبه عن كثير من الطاعات، وتحجزه عن كثير من لذائذ الطاعة وحلاوة والإيمان، ولقد جاءت نصوص عامة في التحذير من التهاون بتعدي حدود الله تعالى، والاستهانة بحرماته، وجاءت نصوص خاصة بمحقرات الذنوب ومن ذلك:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكه»^(١).

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم ومحقرات الذنوب كقوم نزلوا في بطن واد فجاء ذا يعود وجاء ذا يعود حتى أنضجوا خُبزتهم وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه»^(٢).

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن مسعود، ٤٠٢/١، رقم (٣٨١٨)، قال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند: «حسن لغيره» ٦/٣٦٧، مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مؤسسة قرطبة، القاهرة، انظر: الموسوعة الحديثية، المشرف على تحقيقها: الشيخ شعيب الأرنؤوط، ط ١، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند سهل بن سعد، ٣٣١/٥، رقم (٢٢٨٦٠)، والحديث صححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (٣٨٩)، ص (٢٤٥)، وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند: «إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين»، انظر: الموسوعة الحديثية ٣٧ / ٤٦٧ رقم (٢٢٨٠٨).

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ، إِيَّاكَ وَمُحَقَّرَاتِ الْأَعْمَالِ، فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللَّهِ طَالِبًا»^(١).

وبَوَّبَ البخاري رحمه الله في صحيحه بـ (باب مَا يُتَّقَى مِنْ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ) وساق تحته الأثر الصحيح، عَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدْقُ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ إِنْ كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ الْمُؤَبَّاتِ^(٢).

فقه الفتنة ومنهج الداعية الشرعي منها:

للسيطان على العبد مداخل كثيرة يزينها له ويهوّن عليه من شأنها، ويخيل إليه أن مثل هذه الذنوب صغيرة من الصغائر التي لا تضر كثيراً، ويفتح له باب التسامح وفرصة تكفير الذنوب، وأن في الشريعة طاعات كثيرة يستطيع الإتيان بها فتكفر هذه الصغائر، حتى يظل العبد مع هذا التزيين يتعامل مع تلك الصغائر تعامل المستهين بها، المقلل من شأنها، وربما استمر عليها بدافع استصغارها واحتقارها، حتى أصبحت ملازمة له، فيقع فيما حذر منه رسول الله ﷺ، وهو الهلاك، وكم من محروم للطاعة، ومحجوب عن لذتها، حبسته صغائر يحتقرها، اجتمعن حتى أهلكنه.

(١) أخرجه النسائي، كتاب الرقاق، رقم (١١٨١١)، وأخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد، بَابُ ذِكْرِ الذُّنُوبِ، رقم (٤٢٤٣)، وأخرج الحديث الإمام أحمد في مسنده، مسند عائشة، ٧٠/٦، رقم (٢٤٤٦٠)، وقال شعيب الأرناؤوط في تعليقه على المسند: «إسناده حسن»، ٤٢/٦٦٩٠، رقم (٢٥١٧٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب مَا يُتَّقَى مِنْ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، رقم (٦٤٩٢).

وضرب النبي ﷺ مثلاً يوضح مدى تأثير محقرات الذنوب إذا اجتمعن، فكما أن العود الواحد يستهان بأثره في إيقاد نار، وصنع طعام، لكنه مع أعواد أخرى ينضج خبزاً يؤكل، فكذلك المحقرات إذا تتابعت بمجموعها تصير صاحبها إلى الهلاك، وللهلاك أثر دنيوي، بحرمانه من لذة الطاعة والأنس بالله تعالى، وأخروي بالمطالبة بما استهان به ومحاسبته عليها إن لم يكن منها تائباً، ولذا قال ﷺ في الحديث الآخر «إِنَّ لَهَا مِنَ اللَّهِ طَالِبًا».

ولقد كان الرعيل الأول رضي الله عنهم ورحمهم، من أشد الناس بعداً عن صغير المعاصي فضلاً عن كبيرها، وحين امتلأت قلوبهم من التعظيم لله تعالى والمهابة والجلال، استنكروا ما رأوه من جيل ما بعدهم، فهذا أنس رضي الله عنه وأرضاه - يقول لهم: «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ إِنْ كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ الْمُؤَبَّاتِ» أي من المهلكات والكبائر، وقوله هذا يوضح مدى تعظيمهم لحرمان الله تعالى، ومدى بعدهم عن الذنوب صغيرها فضلاً عن كبيرها، وذلك لمعرفتهم إلى ما تؤول إليه وهم يرونها أدق من الشعر.

قال ابن حجر رحمه الله: (أي تعملون أعمالاً تحسبونها هينة وهي عظيمة أو تؤول إلى العظم... وقال ابن بطال رحمه الله: المحقرات إذا كثرت صارت كباراً مع الإصرار، وقد أخرج أسد بن موسى في الزهد عن أبي أيوب الأنصاري قال إن الرجل ليعمل الحسنة فيثق بها، وينسى المحقرات، فيلقى الله وقد أحاطت به، وإن الرجل ليعمل السيئة فلا يزال منها مشفقاً حتى يلقى الله آمناً^(١)).

(١) فتح الباري، ابن حجر، ١١ / ٣٣٠.

والداعية إلى الله تعالى حريٌّ به أن يكون أبعد الناس عمَّا حرَّمه الله تعالى؛ ذلك أنه يدعو الناس لتعظيم الله تعالى، والامتثال لشرعه، والبعد عن موجبات غضبه.

وعلى الداعية أن يحذر من إغواء الشيطان وتهوينه للصغائر في النفس، فيجعل في نفسه من استصغار هذا الذنب، وفتح أبواب المغفرة والرحمة، وتكفير الذنوب، ما يجعله يستهين بما أقبل عليه.

وعلى الداعية أن ينظر لمفهوم المخالفة لشرع الله تعالى بمنظار الإيمان والتقوى، الحاملة لتعظيم الله تعالى، وتعظيم أوامره وحرماته، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْمِ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

وعلى الداعية أن يعلم أن للمعصية ظلمة تحول دونه ودون دعوته والتوفيق والسداد والقبول، وانشراح الصدر، ولذة الدعوة، ومحبة الخلق، وغيرها من ثمرات الطاعة، والتي قد يحرمها إذا استهان بالمعاصي، وتردد عليها.

قال ابن القيم رحمته الله: (لو لم يكن في ترك الذنوب والمعاصي إلا إقامة المروءة، وصون العرض، وحفظ الجاه، وصيانة المال الذي جعله الله قواماً لمصالح الدنيا والآخرة، ومحبة الخلق، وجوار القول بينهم وصلاح المعاش، وراحة البدن، وقوة القلب، وطيب النفس، ونعيم القلب، وانشراح الصدر، والأمن من مخاوف الفساق والفجار، وقلة الهم والغم والحزن، وعز النفس عن احتمال الذل، وصون نور القلب إن تطفئه ظلمة المعصية، وحصول المخرج له مما ضاق على الفساق والفجار، وتيسر الرزق عليه من حيث لا يحتسب، وتيسير ما عسر على أرباب الفسوق والمعاصي، وتسهيل الطاعات عليه، وتيسير العلم والثناء الحسن في

الناس، وكثرة الدعاء له، والحلاوة التي يكتسبها وجهه المهابة التي تلقي له في قلوب الناس، وانتصارهم وحميتهم له إذا أؤذي وظلم، وذبحهم عن عرضه إذا اغتابه مغتاب، وسرعة إجابة دعائه، وزوال الوحشة التي بينه وبين الله، وقرب الملائكة منه، وبعد شياطين الإنس والجن منه، وتنافس الناس على خدمته وقضاء حوائجه وخطبتهم لمودته وصحبته، وعدم خوفه من الموت بل يفرح به لقدمه على ربه ولقائه له ومصيره إليه، وصغر الدنيا في قلبه وكبر الآخرة عنده، وحرصه على الملك الكبير والفوز العظيم فيها، وذوق حلاوة الطاعة ووجد حلاوة الإيمان، ودعاء حملة العرش ومن حوله من الملائكة له، وفرح الكاتبين به ودعائهم له كل وقت، والزيادة في عقله وفهمه وإيمانه ومعرفته وحصول محبة الله له، وإقباله عليه وفرحه بتوبته، وهكذا يجازيه بفرح وسرور لا نسبة له إلى فرحه وسروره بالمعصية بوجه من الوجوه^(١).

وعلى الداعية أن يكون خير دليل لمدعويه في الابتعاد عن فتنة محقرات الذنوب بفعله وقوله، فيحذرهم فتنتها حرصاً وشفقة عليهم، ومن ذلك:

١- الحث على الابتعاد عن الفتن عموماً، وأن من الفتن ما قد يستصغره العبد، ويسعى الشيطان بتهوينه في قلبه حتى يلازمها، وهي فتنة محقرات الذنوب.

٢- التحذير من الوقوع في عاقبة محقرات الذنوب، وتنكب الهلكة التي أخبر عنها النبي ﷺ بقوله: «فإنهن يجتمعن على الرجل حتى

(١) الفوائد، ابن قيم الجوزية، ١/١٥١، ط٢، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٣٩٣ هـ/١٩٧٣ م.

يهلكه».

قال المناوي رحمه الله: (فإن محقرات الذنوب قد تكون مهلكة وصاحبها لا يشعر، قال الغزالي: صغائر المعاصي تجر بعضها إلى بعض حتى تفوت أصل السعادة بهدم أصل الإيمان عند الخاتمة اهـ)^(١).

٣- توضيح أثر الذنوب والمعاصي على حياة العبد وسعادته، وما تورثه من الحرمان - كما تقدّم - والخسران في الدنيا والآخرة^(٢).

قال المناوي رحمه الله في قوله: («متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه» يعني أن الصغائر إذا اجتمعت ولم تكفر أهلكت، ولم يذكر الكبائر؛ لندرة وقوعها من الصدر الأول، وشدة تحرزهم عنها، فأنذرهم مما قد لا يكثرثون به، وقال الغزالي: تصير الصغيرة كبيرة بأسباب منها: الاستصغار، والإصرار، فإن الذنب كلما استعظمه العبد صغر عند الله، وكلما استصغره عظم عند الله؛ لأن استعظامه يصدر عن نفور القلب منه وكراهته له، وذلك النفور يمنع من شدة تأثيره به، واستصغاره يصدر عن الألفة به، وذلك يوجب شدة الأثر في القلب المطلوب تنويره بالطاعة والمحذور تسويده بالخطيئة، وقال الحكيم: إذا استخف بالمحقرات دخل التخلط في إيمانه وذهب الوقار وانتقص من كل شيء، بمنزلة الشمس ينكسف طرف منها، فبقدر ما انكسف ولو كرأس إبرة ينقص من شعاعها وإشراقها على أهل

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، ٤٤٧/٥.

(٢) تقدم في كلام ابن القيم عن آثار البعد عن المعاصي، وكتب ابن القيم تتناول هذا الجانب كثيراً، ومن أراد كتاباً مستقلاً يتناول هذا الموضوع فكتابه الداء والدواء، تكلم باستيفاء عن آثار الذنوب والمعاصي.

الدنيا، وخلص النقصان إلى كل شيء في الأرض، فكذا نور المعرفة ينقص بالذنوب على قدره فيصير قلبه محجوبا عن الله، فزوال الدنيا بكليتها أهون من ذلك، فلا يزال ينقص ويتراكم نقصانه وهو أبله لا ينتبه لذلك حتى يستوجب الحرمان^(١).

٤- أن التهاون بالمعاصي لا يقع إلا من قلب لم يصل لحقيقة التعظيم والإجلال لله تعالى، وتعظيم حرماته، وبذلك تفوته الخيرية الناتجة عن تعظيم حرماته، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْرُ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

قال السيوطي رحمه الله: (أخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ﴾ [الحج: ٣٠] قال: الحرمة الحج والعمرة، وما نهى الله عنه من معاصيه كلها.

وأخرج عبد بن حميد عن عطاء وعكرمة رحمهما الله ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ﴾ قالوا: المعاصي^(٢).

قال ابن كثير رحمه الله: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ﴾ أي: ومن يجتنب معاصيه ومحارمه، ويكون ارتكابها عظيما في نفسه، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠] أي: فله على ذلك خير كثير وثواب جزيل، فكما على فعل الطاعات ثواب جزيل وأجر كبير، وكذلك على ترك المحرمات واجتناب المحظورات^(٣).

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، ٣/١٦٤-١٦٥.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالماثور، السيوطي، ١٠/٤٧١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي السلامة، ٥/٤١٩.

٥- الحذر من نزغات الشيطان وإغوائه العبد، والتدرج في ذلك، وإن إيقاع العبد في محقرات الذنوب هي مرتبة من مراتب الشيطان التي يسعى إليها.

قال ابن القيم رحمته الله: (فإن عجز الشيطان عن هذه المرتبة - أي في إيقاع العبد في الكبائر - نقله إلى المرتبة الرابعة، وهي الصغائر التي إذا اجتمعت فربما أهلك صاحبها، كما قال النبي ﷺ «إياكم ومحقرات الذنوب»... ولا يزال يسهل عليه أمر الصغائر حتى يستهين بها، فيكون صاحب الكبيرة الخائف منها أحسن حالاً منه)^(١).



(١) بدائع الفوائد، ابن القيم الجوزية، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا وآخرين، ٢/ ٤٨٤، ط١، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م.

□ المطلب الثاني □

فتن الشبهات

فتن الشبهات هي القسم الثاني من نوعي الفتن، وهي كل ما يبعث الشك والريبة حول رسالة الشريعة ومرسلها وحاملها ومبلغها، والأمر الغيبية، ونحوها من أصول الدين وفروعه، مما تلبس على العبد أمر دينه بحيث لا يستبين له وجه الحق فيما يعرض له، ولذا عدّ العلماء فتن الشبهات هي الأخطر على قلب المسلم، لما فيها من الالتباس بخلاف الشهوات التي يكون العقل فيها مقراً بارتكاب الخطأ لكن طغى على القلب ما يعلقه بالشهوة، وأما الشبهات فإنه يتيه العبد فيها ويظنها حقاً للالتباس الذي لحق به، ويظل يصارع تلك الظلمات بعد حرمانه من نور الله تعالى الهادي للحق، قال تعالى: ﴿أَوْ كُذِّبَتْ فِي بَحْرِ لُجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَتْ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ لَمْ يَكْدِ بِرَبِّهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

قال ابن القيم رحمته الله: (النوع الثاني، أصحاب مثل الظلمات المتراكمة، وهم الذين عرفوا الحق والهدى، وآثروا عليه ظلمات الباطل والضلال، فتراكمت عليهم ظلمة الطبع، وظلمة النفوس، وظلمة الجهل، حيث لم يعملوا بعلمهم فصاروا جاهلين، وظلمة إتباع الغنى والهوى، فحالهم كحال من كان في بحر لجي لا ساحل له وقد غشيه موج ومن فوق ذلك الموج موج ومن فوقه سحب مظلم، فهو في ظلمة البحر، وظلمة الموج، وظلمة السحاب، وهذا نظير ما هو فيه من الظلمات التي لم يخرجها الله منها إلى نور الإيمان)^(١).

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، أبو عبد الله ابن القيم الجوزية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، ١٥٧/١، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.

ولشدة سواد الفتن عموماً شبهها النبي ﷺ بالليل المظلم لالتباسها، وتأثيرها على قلب المؤمن، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»^(١).

والحديث ينطبق على نوعي الفتن شبهاتها وشهواتها، ودلالة الشهوة بأنه يبيع دینه بعرض من شهوة الدنيا، إلا أن تقلب حال الرجل من الإيمان إلى الكفر والعكس فيه يشير إلى الالتباس الذي يلحقه، والحيرة التي يقع فيها، وعدم استبانة الحق من الباطل، ولذا لا يضمن من وقع في الفتنة الإيمان إلا بمقدار نصف يوم من الصباح إلى المساء، على أن ذكر الصباح والمساء في الحديث ليس مقصوداً لذاته، بل هما كناية عن سرعة التحول فقد يكون التحول بين الصبح والظهر، أو بين الظهر والعصر، فالعبرة بالتحول، وهذا يحدث بأقصر من هذه المدة، وتشبيه الفتن بأجزاء الليل وتأكيد ذلك بالمظلمة كناية عن شدة الفتن وانبهاً لها، وعظم الخوف منها، وضعف الوصول للحق فيها، وكثرة الوقوع في الباطل، وفي هذا غاية التشبيه كما قال تعالى: ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ [يونس: ٢٧]

ومن فتن الشبهات ما يلي:

أولاً: فتنة الشياطين:

والمقصود بها إغواء الشيطان وأعوانه بني آدم وإخراجهم من الطاعة

(١) أخرجه مسلم. كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاھر الفتن، رقم (٣٢٨)

للعصيان، وتزيين الباطل، وتلبيس الحق وذلك بقذف الشبهات في العقول، وفتح الشهوات على القلوب، وتقدّم الحديث عن بعض فتن الشهوات، وللشيطان أيضاً نصيب كبير من فتن الشهوات، إلا أن الشيطان لا يدخل على العبد شهوة ويفتنه بها إلا بعد أن يصرفه بشبهة يلبس بها قلبه تتضمن تزيين الدنيا ولزوم انشغاله وانهماكه بها، بحجة السعي في المعيشة وتحصيل المال ويوهمه بأن المال والمعيشة وما يتصل بهما من الشهوات من ضروريات الحياة ومواكبة العصر وأهله، وهذا التلبيس هو الذي يفتح على العبد باب الشهوات والانصراف عن الآخرة.

وللشيطان في جانب الشبهات حيل ومنافذ شتى، وهو مع كل عبد حسب ما لديه من الإيمان والمعرفة، فيستدرجه من النقطة التي تناسبه وتنطلي عليه حتى يوقعه في الشبهة ليغويه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا حَتَّى يَقُولَ لَهُ مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَتَّهِ»^(١).

ولذا الالتجاء إلى الله تعالى والاستعاذة به من الشيطان هي العاصم من سموم الشيطان ووسوسته وما يبثه من شبهات.

وجاءت نصوص الكتاب والسنة مبينة ما للشيطان من مداخل ونزغات على العبد ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَزَعْنَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٣٦) [فُضِّلَتْ: ٣٦].

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، رقم (٣٢٧٦)، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، رقم (٣٦٢).

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ آيَسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ ^(١) بَيْنَهُمْ» ^(٢).

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ عَرْشَ ^(٣) إِبْلِيسَ عَلَى الْبَحْرِ فَيَبْعُثُ سَرَايَاهُ ^(٤) فَيَفْتِنُونَ النَّاسَ فَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ أَعْظَمُهُمْ فَتْنَةً» ^(٥).

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضْعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ يَبْعُثُ سَرَايَاهُ فَأَذْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْرَلَةً أَعْظَمُهُمْ فَتْنَةً يَجِيءُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا فَيَقُولُ مَا صَنَعْتَ شَيْئًا قَالَ ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ - قَالَ - فَيُذْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ نَعَمْ أَنْتَ». قَالَ الْأَعْمَشُ أَرَاهُ قَالَ: «فَيَلْتَزِمُهُ» ^(٦).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ

- (١) قال ابن الأثير: «(ولكن في التحريش بينهم) أي في حملهم على الفتن والحروب»
- (٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة (حرش)، ص ٢٠٠.
- (٣) أخرجه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبغته سرآياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قريباً، رقم (٧٢٨١).
- (٤) قال النووي: (العرش هو سرير الملك ومعناه أن مركزه البحر ومنه يبعث سراياه في نواحي الأرض) شرح صحيح الإمام مسلم، النووي، ١٥٧/١٧.
- (٥) قال ابن الأثير عن السرية: (هي طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمئة تُبعث إلى العدو، وجمعها سرايا، سُموا بذلك لأنهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم، من الشيء السري النفي، وقيل: سُموا بذلك لأنهم ينفذون سراً وخفية) النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة (سرى)، ص ٤٢٧.
- (٦) أخرجه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبغته سرآياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قريباً، رقم (٧٢٨٣).
- (٧) أخرجه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبغته سرآياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قريباً، رقم (٧٢٨٤).

أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ». قَالُوا وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «وَإِيَّايَ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ»^(١) فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ»^(٢).

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ حَدَّثَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا لَيْلًا. قَالَتْ فَغَرْتُ عَلَيْهِ فَجَاءَ فَرَأَى مَا أَصْنَعُ فَقَالَ: «مَا لَكَ يَا عَائِشَةُ أَغَرْتِ». فَقُلْتُ وَمَا لِي لَا يَغَارُ مِنِّي عَلَى مِثْلِكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَقَدْ جَاءَكَ شَيْطَانُكَ». قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ مَعِيَ شَيْطَانٌ قَالَ: «نَعَمْ». قُلْتُ وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ قَالَ: «نَعَمْ». قُلْتُ وَمَعَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «نَعَمْ وَلَكِنْ رَبِّي أَعَانَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ»^(٣).

فقه الفتنة ومنهج الداعية الشرعي منها:

للشيطان على الإنسان مداخل عدة، فهو لا يفتأ يتربص بالعبد في جميع شؤونته بنزغاته، يزين له الباطل حتى يلبس عليه أمور دينه، تارة في عقيدته وتارة في عبادته، وتارة في معاملاته، وأخرى في أخلاقه وتعامله مع الناس، حتى يوقع العبد في حيرة من أمر شؤونته الخاصة، ونزاع وشقاق بينه وبين إخوانه، فيوسوس في قلبه من أنواع الشرور والآفات ما

(١) قال النووي: «(فأسلم) برفع الميم وفتحها، وهما روايتان مشهورتان، فمن رفع قال: معناه أسلم أنا من شره وفتنته، ومن فتح قال: إن القرين أسلم من الإسلام وصار مؤمناً لا يأمرني إلا بخير، واختلفوا في الأرجح منهما فقال: الخطابي الصحيح المختار الرفع، ورجح القاضي عياض الفتح، وهو المختار، لقوله ﷺ: «(فلا يأمرني إلا بخير)» شرح صحيح الإمام مسلم، النووي، ١٥٧/١٧-١٥٨.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبغته سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قريناً، رقم (٧٢٨٦).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبغته سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قريناً، رقم (٧٢٨٨).

يفسد عليه دينه ودنياه، ولذا فالشيطان أيس أن يرجع العبد المسلم لعبادة الأصنام كما كان من قبل عهد الرسالة، فعمد إلى إيقاع الشحناء والبغضاء والفتن والنزاعات بين الناس بعضهم البعض وذلك بإثارة الشبهات التي تفصل بينهم وتوهن علاقة المسلم بأخيه، وهذا هو التحريش الذي أخبر عنه نبينا ﷺ أنه من عمل الشيطان.

قال النووي رحمه الله: (ومعناه أيس أن يعبد أهل جزيرة العرب ولكنه سعى في التحريش بينهم بالخصومات والشحناء والحروب والفتن ونحوها)^(١).

والشيطان لا يكتفي بما يثيره من العداء ظاهراً، بل له في الباطن سرايا وأعوان وخواص، يمايز بينهم بحسب اجتهادهم في إلقاء الشبهات على قلوب العباد، وبحسب قدرتهم على التفريق والشحناء، فأقربهم منه منزلة أعظمهم فتنة، ذاك الذي يهدم كيان الأسرة المسلمة فيفرق بين الزوجين، قال ﷺ: «فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةٌ أَكْبَرُكُمْ فَتَنَةً يَجِيءُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا فَيَقُولُ مَا صَنَعْتَ شَيْئًا قَالَ ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ - قَالَ - فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ نَعَمْ أَنْتَ» يدنيه ويمدحه ويلتزمه كل ذلك لأنه جاء بفتنة أعظم.

قال المباركفوري رحمه الله: (أي يرسل «سراياه» جمع سرية وهي قطعة من الجيش توجه نحو العدو لتنال منه، والمراد جنوده وأعوانه «يفتنون الناس» بفتح الياء وكسر التاء، أي يضلونهم أو يمتحنونهم بتزيين المعاصي إليهم حتى يقعوا فيها «فأدناهم» أي أقربهم «منه» أي من إبليس «منزلة» أي مرتبة

(١) شرح صحيح الإمام مسلم، النووي، ١٧/١٥٦.

«أعظمهم فتنة» أي أكبرهم إضلالاً «فعلت كذا وكذا» أي أمرت بشرب الخمر والسرقة مثلاً «فيقول ما صنعت شيئاً» أي عظيماً أو معتداً به «ما تركته» أي فلاناً «حتى فرقت بينه وبين امرأته» أي وسوسته، وأوقعت البغض والعداوة بينه وبين زوجته حتى فارقها «فيدنيه منه» أي فيقرب إبليس ذلك المغوي من نفسه^(١).

ولشدة فتنة الشيطان ولزومه للعبد أخبر النبي ﷺ أن مع كل عبد شيطان يغويه، ويستهو به لفعل ما لا يحمد أولاه ولا عقباه.

والداعية إلى الله تعالى ينبغي أن يكون أعرف الناس بمداخل الفتن، وأن الشيطان هو رأس كل فتنة، بل إن وظيفته الأساسية هي نصب الغواية والعداء والإضلال لبني آدم، وعدائه لبني آدم من أول الخلقة بعد أن فتن آدم عليه السلام حتى تسبب في إهباطه من الجنة إلى الأرض، ثم قطع على نفسه العهود والمواثيق بالفتنة للبشر وإغوائهم على مر العصور إلى يوم القيامة، وأنه ستربص بابن آدم في جميع الجهات، ويسوقهم لكل طرق الباطل يشككهم في دينهم ويزين لهم المعاصي، قال الله تعالى مبيناً ذلك عنه: ﴿قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ ثُمَّ لَا يَنبَغِي لَهُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ شُرَكَاءُ فِي مَا ظَنَنَّا أَنْ لَمْ يَصْلُحْ لَهُمْ خِلَافًا ۝ وَمَنْ حَفِظْنَاهُمْ سَتَكُنَّا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشَاءُونَ عَاقِرِينَ ۝﴾ [الأعراف: ١٦-١٧].

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: (اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى قوله: «لَا تَنبَغِي لَهُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ شُرَكَاءُ فِي مَا ظَنَنَّا أَنْ لَمْ يَصْلُحْ لَهُمْ خِلَافًا»، من قبل الآخرة،

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام المباركفوري، ١/١٤٩، ط ٣، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفية، الهند ١٤٠٤، هـ / ١٩٨٤ م.

«ومن خلفهم»، من قبل الدنيا، «وعن أيّمانهم»، من قبل الحق، «وعن شمائلهم»، من قبل الباطل عن ابن عباس قوله: «ثم لآتينهم من بين أيديهم»، يقول: أشكّكهم في آخرتهم، «ومن خلفهم»، أرغبهم في دنياهم، «وعن أيّمانهم»، أشبه عليهم أمر دينهم، «وعن شمائلهم»، أشهّي لهم المعاصي. . . . - وذكر الأقوال بأسانيدھا ثم قال أبو جعفر - وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب، قول من قال: معناه: ثم لآتينهم من جميع وجوه الحق والباطل، فأصدّهم عن الحق، وأحسنّ لهم الباطل. وذلك أن ذلك عقيب قوله: «لأقعدن لهم صراطك المستقيم»، فاخبر أنه يقعد لبني آدم على الطريق الذي أمرهم الله أن يسلكوه، وهو ما وصفنا من دين الله دين الحق، فيأتيهم في ذلك من كل وجهه، من الوجه الذي أمرهم الله به، فيصدّهم عنه، وذلك «من بين أيديهم وعن أيّمانهم»، ومن الوجه الذي نهاهم الله عنه، فيزيّنهم لهم ويدعوهم إليه، وذلك «من خلفهم وعن شمائلهم»^(١).

وإذا عرف الداعية حرص الشيطان على إغوائه والتربص به في جميع الطرق، فليحذر منه في جميع طرق الخير التي يسلكها، وليتذكر الداعية أن فتنة الشيطان من أعظم الفتن وخاصة إذا همّ الداعية بالخير أو دخل به، فهو يشتد عليه حينئذ ليقطعه عنه بكل السبل، فيلقي عليه الشبهات، فيوقعه في العجب أو الرياء تارة، أو يخوفه منهما التخويف الحامل على الانقطاع، أو يهوّن من جدوى دعوته في مجال ما، أو يزيّن له الباطل

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٣٨٣/١٢-٣٤١، ط ١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م. وذكر الطبري الأقوال بأسانيدھا وأطال.

فيظنه صواباً، أو يلبس عليه الحق فيظنه باطلاً ليحمله على تركه، وهكذا يتنوع في مداخله عليه ليقطعه، بعدما كان مستبصراً وعلى جادة الصواب.

وعلى الداعية أن يتأمل في قصص القرآن وما ذكره الله تعالى في كتابه، من قصص أقوام عرفوا الحق وزين لهم الشيطان أعمالهم، فصدّهم عن السبيل وشكّكهم بما عرفوا من الحق، وزين لهم باطلهم حتى رأوه حقاً، حتى أوقعهم في الكفر والتكذيب، قال تعالى عنهم: ﴿وَعَادَا وَثَمُودَا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّن مَّسْكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٨].

قال القرطبي رحمه الله: «(فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) أي عن طريق الحق، «وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ» فيه قولان: أحدهما وكانوا مستبصرين في الضلالة، قاله مجاهد. والثاني: كانوا مُسْتَبْصِرِينَ قد عرفوا الحق من الباطل بظهور البراهين. وهذا القول أشبه، لأنه إنما يقال فلان مستبصر إذا عرف الشيء على الحقيقة. قال الفراء: كانوا عقلاء ذوي بصائر فلم تنفعهم بصائرهم»^(١).

كما أن على الداعية أن يبين للمدعويين فتنة الشيطان ومداخله الخفية على العبد، وتزيينه الباطل، وتلبيسه الحق فيشتبه عليهم، ويدلهم على الضمانات الشرعية الواردة في الكتاب والسنة للوقاية من فتن الشياطين ومن ذلك:

١- الاستعاذة بالله من الشيطان ونزغاته، فإنه ليس للعبد مأمن من فتنة الشياطين وغيرها من الفتن إلا باللجوء إلا الله تعالى، ولذا قال جل وعلا:

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: سمير البخاري، ٣٤٤/١٣.

﴿وَمَا يَزَعْنَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٣٦)

[فُصِّلَتْ: ٣٦]

قال الطبري رحمه الله: (فاستجر بالله واعتصم من خطواته، إن الله هو السميع لاستعاذتك منه واستجارتك به من نزغاته)^(١).

والاستعاذة هي الضمان الشرعي الذي أرشد إليه النبي ﷺ أيضاً بقوله: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا حَتَّى يَقُولَ لَهُ مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَهْ»^(٢).

٢- الانتهاء والبعد عما يوسوسه ويزينه الشيطان في قلب العبد، فلا يستجيب العبد لما يطرأ عليه من نزغات الشيطان بل ينته عن ذلك ليقطع عليه حبل الاستدرجات في الشبهات، ويدل على هذا الضمان الشرعي قول النبي ﷺ في الحديث السابق: «وَلْيَنْتَهْ».

قال ابن حجر رحمه الله: ((فليستعذ بالله ولينته)) أي يترك التفكير في ذلك الخاطر ويستعيذ بالله... فان وقع شيء من ذلك، فهو من وسوسة الشيطان، وهي غير متناهية، فمهما عورض بحجة يجد مسلماً آخر من المغالطة والاسترسال، فيضيع الوقت إن سلم من فتنته، فلا تدبير في دفعه أقوى من الإلتجاء إلى الله تعالى بالاستعاذة به)^(٣).

٣- التأكيد على أن الشيطان عدو، وأن معرفة كونه عدو لا يكفي للنجاة من فتنته، بل لابد من اتخاذه عدواً، وذلك بعدم الاستجابة لنزغاته

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٤٧٣/٢١.

(٢) تقدم تخريجه ص ٨٩.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ٢٧٣/١٣.

والبعد عن شبهاته ومداخله، وأن يكون العبد على أشد الحذر منه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

قال السعدي رحمه الله: (أي: لتكون منكم عداوته على بال، ولا تهملوا محاربته كل وقت، فإنه يراكم وأنتم لا ترونه، وهو دائما لكم بالمرصاد)^(١).

٤- بيان مهمة الشيطان وسعيه الحثيث في إفساد المجتمعات العامة والخاصة، فالشيطان مع المجتمع المسلم ككل أيس من عبادتهم له وما يدعو إليه من عبادة غير الله تعالى، فسعى بالتحريش بينهم.

قال المناوي رحمه الله: (أي يسعى في التحريش، أي في إغراء بعضهم على بعض، وحملهم على الفتن والحروب والشحناء، قال القاضي: والتحريش الإغراء على الشيء بنوع من الخداع... وله من دقائق الوسواس ما لا يفهمه إلا البصراء بالمعارف الإلهية)^(٢).

وللشيطان مع الكيان الأسري الخاص شأن آخر في الفتنة بينه النبي ﷺ بقوله: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَأَذْنَاهُمْ مِنْهُ مَنَزَلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا فَيَقُولُ مَا صَنَعْتَ شَيْئًا قَالَ ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ - قَالَ - فَيُذْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ نَعَمْ أَنْتَ»^(٣).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، تحقيق: د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ص ٦٨٤.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، ٤٥١/٢.

(٣) تقدم تخريجه ص ٩٠.

وتأمل أن الشيطان يسخر لهذه الفتنة الكم والكيف، فهو يبعث سرايا للإفساد والتلبيس على الناس، والسرية عددها كثير، وهو لا يحمد أي كيفية من المفسدات التي تستطيعها سراياه، وإنما يحمد تلك المفسدة التي تفرق بين الزوجين لما يترتب على ذلك من مفسدات ذات عواقب أعظم.

قال المناوي رحمته الله: (هذا تهويل عظيم في ذم التفريق حيث كان أعظم مقاصد اللعين لما فيه من انقطاع النسل وانصرام بني آدم توقع وقوع الزنا الذي هو أعظم الكبائر فسادا وأكثرها معرة كيف وقد استعظمه في التنزيل بقوله: «يتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه»^(١)).

٥- الإتيان بالأذكار المحصنة من الشيطان وفتنته ونزغاته ومن ذلك: قراءة آية الكرسي، لما ثبت في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في قصة حفظه لمال الزكاة ومجيء الشيطان له ثلاث ليال ليأخذ من المال وفيه قال أبو هريرة رضي الله عنه: «لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ أَنْكَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ، قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمَكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا أُوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ فَخَلِّتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ...، الحديث وفيه: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَّا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطَبُ مِنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ»^(٢).

ومن ذلك قراءة آخر آيتين من البقرة، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، ٥١٧/٢.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الوكالة، باب إِذَا وَكَّلَ رَجُلًا فَتَرَكَ الْوَكِيلُ شَيْئًا فَأَجَازَهُ الْمُوَكَّلُ فَهُوَ جَائِزٌ، رقم (٢٣١١).

قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةِ كَفَّتَاهُ»^(١) قال النووي: (قيل: معناه، كفتاه من قيام الليل، وقيل: من الشيطان، وقيل: من الآفات، ويحتمل من الجميع)^(٢).

ومن ذلك قول الذكر الوارد في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ. كَانَتْ لَهُ عَدَلٌ عَشْرٍ رِقَابٍ وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيتُ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ. وَمَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»^(٣).

ومن ذلك ما جاء في كيفية التخلص منه ووسوسته في الصلاة، عن عُمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاءَتِي يَلْبِسُهَا عَلَيَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خِنْزَبٌ فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ وَانْفِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا». قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ عَنِّي»^(٤).

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة، رقم (٥٠٠٩)، وأخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة، رقم (١٩١٦).

(٢) شرح صحيح الإمام مسلم، النووي، ٩١/٦-٩٢.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم (٣٢٩٣)، وأخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم (٧٠١٨).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة. رقم (٥٨٦٨).

٦- ومن الضمانات الشرعية لهذه الفتنة تذكُّر عاقبة هجران فتن الشيطان وجهاد النفس على تركها، والصبر على ذلك، بأن الله تعالى يغفر له جميع الذنوب صغيرها وكبيرها، ويورثه الرحمة التي من لوازمها صلاح الحال، واستقامة الدين والدنيا له، فهو داخل في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التحل: ١١٠].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: (وَهَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التحل: ١١٠]، يدخل في معناها كل من فتنه الشيطان عن دينه أو أوقعه في معصية ثم هجر السيئات وجاهد نفسه وغيرها من العدو وجاهد المنافقين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك وصبر على ما أصابه من قولٍ أو فعلٍ، والله سبحانه وتعالى أعلم^(١)).

ثانياً: فتنة الأئمة المضلين:

وهي ما يتلى به بعض المسلمين - في أقطار العالم الإسلامي - من المتبوعين الذين يسوقون الناس إلى الضلال، إما قهراً من السلاطين المفسدين، أو تلبساً من دعاة الضلالة، لأن الإمام هو الرئيس والمتبوع، ولفظ الأئمة يشمل: إمامة السلطة وإمامة الدين.

قال شيخنا ابن عثيمين رحمته الله: (والمراد بقوله: «الأئمة المضلين»: الذين يقودون الناس باسم الشرع، والذين يأخذون الناس بالقهر

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، تحقيق: أنور الباز، ٢٤٨/١٨.

والسلطان؛ فيشمل الحكام الفاسدين، والعلماء المضلين، الذين يدعون أن ما هم عليه شرع الله، وهم أشد الناس عداوة له^(١).

وهذه الفتن لا سيما فتنة العلماء والدعاة المضلين من أشد فتن الشبهات على قلب المسلم؛ ذلك أن الأمر يأتيه بلباس الدين والحق من دعاة الضلالة، فيظنه حقاً فيتبعهم عليه.

ولقد وردت أدلة تحذر من هذه الفتنة ومن ذلك:

عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ»^(٢) قَالَ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ يَحْذُلُهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ»^(٣).

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ أَنْتِزَاعًا يَتِزَعُّهُ مِنَ النَّاسِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»^(٤).

- (١) القول المفيد على كتاب التوحيد، العلامة محمد بن صالح العثيمين، ١/ ٤٧٨، ط ٢، دار ابن الجوزي، ١٤٢٤هـ.
- (٢) قال المناوي: («إنما أخاف على أمتي الأئمة» أي شر الأئمة (المضلين) المائلين عن الحق المميلين عنه) التيسير بشرح الجامع الصغير، الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، ١/ ٧٢٨.
- (٣) أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، كتاب الفتن، باب الأئمة المضلين، رقم (٢٢٢٩)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٥/ ٢٢٩).
- (٤) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب كَيْفَ يُقْبَضُ الْعِلْمُ، رقم (١٠٠)، وأخرجه مسلم، كتاب العلم، باب رَفَعَ الْعِلْمَ وَقَبَضَهُ وَظَهَرَ الْجَهْلُ وَالْفِتْنُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، رقم (٦٩٧١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ طَالَتْ بِكَ مُدَّةٌ أَنْ تَرَى قَوْمًا فِي أَيْدِيهِمْ مِثْلُ أَذْنَابِ الْبَقَرِ يَغْدُونَ فِي غَضَبِ اللَّهِ وَيَرُوحُونَ فِي سَخَطِ اللَّهِ»^(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَحِذْنَ رِيحَهَا وَإِنْ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا»^(٢).

فقه الفتنة ومنهج الداعية الشرعي منها:

المتأمل لهذه النصوص يدرك مدى عظم هذه الفتنة على الناس، ولذا حصر النبي ﷺ بأداة الحصر (إنما) الخوف من فتنة الأئمة المضلين؛ ذلك أن الأئمة المضلين يحرفون الناس ويصرفونهم عن جادة الحق والاستقامة إلى الضلال والانحراف عن الصراط المستقيم، وبفساد الأئمة يفسد الناس.

فإمام السلطة قد يسوق الناس سوقاً وجبراً بأعوانه الذين معهم سيات يضربون الناس فيسوقونهم إلى الضلال والإكراه على الباطل، أو بما يفتح لهم من أسباب الضلال والفسق والفجور والشر ما يفسد معه حال الناس ودينهم، وإمام الدين المضل يدعو الناس إلى الباطل بلباس الحق، وإلى البدعة بلباس السنة والدين، لاسيما في آخر الأزمان ومع قبض العلماء أو قتلهم، يتصدر الجاهل أمر العامة في الفتوى فيضلونهم بفتواهم، ونشر

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النَّارُ يَدْخُلُهَا الْجَبَّارُونَ وَالْجَنَّةُ يَدْخُلُهَا الضُّعَفَاءُ، رقم (٧٣٧٤).

(٢) تقدم تخريجه ص ٥٨.

البدع، والقول على الله بلا علم.

قال العظيم آبادي رحمته الله: («الأئمة المضلين»: أي الداعين إلى البدع والفسق والفجور)^(١).

وعلى الداعية أن يتقي فتنة الأئمة المضلين المائلين عن الحق، فالسلطان إذا ضل عن العدل وجانب الحق تبعه عوام الناس خوفاً من سلطانه أو طمعاً في جاهه، والإمام في العلم قد يقع في شبهة أو زلة توقعه في الضلال تبعاً لهواه، فيتبعه عوام الناس تقليداً له، أو يتسامح بمتابعة هوى أو حظوة من سلطان ترق عليه دينه، أو معصية يستهين بها فيقتدي به الناس ظناً أن ما فعله حقاً.

وعلى الداعية أن يحذر من أن يكون هو رأساً في الضلال، فيقتدي به المجتمع، أو يكون متبوعاً في محيطه الخاص به، فيغتر الناس بما له من العلم أو العبادة، فيتعبد بما لم يصح، أو يأتي بوصف لعبادة أصلها مشروع لكن وصفها غير وارد، أو يلبس على الناس فيظهر الباطل بلباس الحق وأنه مشروع، ونحو ذلك من سبل الابتداع الذي يهلك الأتباع.

قال شيخنا ابن عثيمين رحمته الله: (حصر الخوف على أمته من الأئمة المضلين: ووجه هذا الحصر أن الأئمة ثلاثة أقسام: أمراء وعلماء وعباد؛ فهم الذين يخشى من إضلالهم لأنهم متبوعون؛ فالأمراء لهم السلطة والتنفيذ، والعلماء لهم التوجيه والإرشاد، والعباد لهم تغيير الناس وخداعهم بأحوالهم؛ فهؤلاء يطاعون ويقتدى بهم، فيخاف على الأمة

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبو الطيب محمد شمس الحق المشهور ب(العظيم آبادي)، تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، ١٢٨٣/٩، ط ٢، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م.

منهم؛ لأنهم إذا كانوا مضلين ضل بهم كثير من الناس، وإذا كانوا هادين اهتدى بهم كثير من الناس^(١).

وعلى الداعية أن يكون رأساً في الصلاح وذلك بالتمسك بالكتاب والسنة والصدور عنهما، فإذا كان الأئمة المضلين هم سبب فساد الناس، فالأئمة الهادين والمصلحين هم سبب تمسك الأمة على جادة الصواب، وهم الذين يجمعون كلمتها، ويصلحون عقيدتها، وكشف ما تشابه عليها، وردها إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة.

وعلى الداعية أن يرشد المدعوين، للأخذ عن أئمة الصلاح، والعلماء الربانين، والرجوع إليهم لاسيما عند الشبه ووجود الأئمة المضلين.

وعلى الداعية أن يدل المدعوين على الضمانات الشرعية حيال هذه الفتنة ومن ذلك:

أولاً: أئمة السلطة:

١- السمع والطاعة لهم، والصبر على ما يجده المسلم من أذى السلطان وظلمه وقهره وإفساده، فإنما عليه ما ظلم وأفسد، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَائِلِ الْحَضْرَمِيِّ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَأَلَ سَلَمَةَ بْنُ يَزِيدَ الْجَعْفِيُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا فَمَا تَأْمُرُنَا فَأَعْرَضَ عَنْهُ ثُمَّ سَأَلَهُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ ثُمَّ سَأَلَهُ فِي الثَّانِيَةِ أَوْ فِي الثَّالِثَةِ فَجَذَبَهُ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ»^(٢).

(١) القول المفيد، ابن عثيمين، ٤٨٨/١.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب في طاعة الأُمراء وَإِنْ مَنَعُوا الْحَقُّوقَ، رقم (٤٨٨٨).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَكَرِهَهُ فَلْيُضِرْ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُفَارِقُ الْجَمَاعَةَ شَبْرًا فَيَمُوتُ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»^(١).

٢- تنبيه السلاطين وتذكيرهم والنصح لهم برفق ولطف عما غفلوا عنه، ولم يغفلهم من حقوق المسلمين، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر حسبما يقتضيه المقام من طريقة مناسبة، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَتَكُونُ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنَكِّرُونَ فَمَنْ عَرَفَ بَرِيءٌ وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ»، قَالُوا أَفَلَا نَقَاتِلُهُمْ قَالَ: «لَا مَا صَلَّوْا»^(٢).

وَعَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا لِمَنْ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»^(٣).

٣- ترك الخروج عليهم ومقاتلتهم للحديث السابق، والسعي لتأليف قلوب الناس لطاعتهم، اتقاء فتنة المقاتلة لهم المحرمة شرعا وعقلا لما فيها من المفسدات الجسيمة.

٤- عدم الرضا أو المتابعة للسلطان على منكراته أو إعانتهم على ظلم الآخرين للحديث السابق، بل يجب الاحتساب عليهم بالحكمة المراعية للمصالح والمفاسد.

٥- عدم تغييرهم بالثناء الكاذب لما في ذلك من الكذب ومناقضة

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلْإِمَامِ مَا لَمْ تَكُنْ مَعْصِيَةً، رقم (٧١٤٣).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب وُجُوبِ الْإِنْكَارِ عَلَى الْأُمَرَاءِ فِيمَا يُخَالِفُ الشَّرْعَ وَتَرَكُوا قِتَالَهُمْ مَا صَلَّوْا وَنَحْوِ ذَلِكَ، رقم (٤٩٠٦).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بَيَانِ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، رقم (٢٠٥).

النصيحة، بل الدعاء الصالح لهم لأنه بصلاحهم يصلح عامة الناس.

ثانياً: أئمة الدين:

- ١- حث المدعوين إلى الرجوع للعلماء الربانيين والدلالة عليهم، إذ قد يفتن الناس بدعاة ضلالة ظناً منهم أنهم على حق، وجهلاً منهم بالعلماء الربانيين المعتصمين بالكتاب والسنة.
 - ٢- التحذير من دعاة الضلالة وبيان جهلهم، وأنهم سبب الفتنة بالدين واختلاط الحق والتلبس بالشبهة، ولذا خافهم النبي ﷺ على أمته فقال: «إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأُئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ»^(١).
 - ٣- النصح للأئمة المضلين وبيان الحق الذي يجب عليهم اتباعه، لقوله ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» «فُلْنَا لِمَنْ قَالَ «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»»^(٢).
 - ٤- بيان ما أخبر به النبي ﷺ، بظهور رؤوس جهال في آخر الزمان يفتنون الناس بغير علم فيوقعوهم في الضلال، وذلك بعد قبض العلماء، قال ﷺ: «حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»^(٣) وتوضيح هذه الأمانة مدعاة للحذر من الأئمة المضلين، وليس من اللازم قبض جميع العلماء لكن ظهور القبض في جملة من العلماء مدعاة لظهور الرؤوس الجهال المضلين للعامة.
- قال بدر الدين العيني رَحِمَهُ اللهُ: (وبين بهذا الحديث أن المراد برفع العلم

(١) تقدم تخريجه ص ١٠١.

(٢) تقدم تخريجه ص ١٠٥.

(٣) تقدم تخريجه ص ١٠١.

هنا قبض أهله وهم العلماء، لا محوه من الصدور، لكن بموت أهله واتخاذ الناس رؤساء جهالا فيحكمون في دين الله تعالى برأيهم، ويفتون بجهلهم، قال القاضي عياض: وقد وجد ذلك في زماننا كما أخبر به عليه الصلاة والسلام، قال الشيخ قطب الدين قلت: هذا قوله مع توفر العلماء في زمانه فكيف بزماننا؟ قال العبد الضعيف: هذا قوله مع كثرة الفقهاء والعلماء من المذاهب الأربعة والمحدثين الكبار في زمانه فكيف بزماننا الذي خلت البلاد عنهم؟ وتصدرت الجهال بالإفتاء والتعين في المجالس والتدريس في المدارس فنسأل السلامة والعافية^(١).

٥- الحث على طلب العلم، والتفقه في الدين ومعرفة الحق بالدليل ففي هذا عصمة من الشبهات ودعاة الشبهات المضلين.



(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين أبي محمد محمود أحمد العيني، ضبطه وصححه: عبدالله محمود محمد عمر، ١٢٥/٢، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

المبحث الثاني

الفتن المقبلة، ومنهج الداعية الشرعي منها

القسم الثاني من أقسام الفتن هي الفتن المقبلة، والتي لا تكون إلا في أواخر الزمن، أو في آخر حياة العبد، فمن هذه الفتن، ما يدركه العبد حتماً كفتنة الممات وفتنة القبر، ومنها ما قد يدركه، وهي الفتن التي تتعلق بآخر الزمان كفتنة الهرج وفتنة الدجال، ولهذه الفتن ضمانات شرعية ومنهج للداعية يسير فيه، ويدل الناس عليه، كل فتنة بحسب المخارج التي جاءت النصوص فيها، وفيما يلي بيان لهذه الفتن ومنهج الداعية الشرعي منها:

أولاً: فتنة الهرج:

فتنة الهرج هي ما يحصل في آخر الزمان من كثرة القتل بين المسلمين وشدته، حتى يصل الحال بأن لا يعرف القاتل فيم قُتل ولا المقتول لم قُتل؟

والهرج في اللغة من معانيه اختلاط الأمور وكثرة القتل وشدته.

قال الزبيدي رحمته الله: (وأصل الهرج الكثرة في الشيء والانتساع، والهرج: الفتنة في آخر الزمان، والهرج: شدة القتل وكثرته، وفي الحديث: «بين يدي الساعة هرج»: أي قتال واختلاط)^(١).

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد الحسيني الملقب بمرتضى، الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، ٢٧٥/٦، دار الهداية. ومثله ذكر ابن منظور في لسان العرب، مادة (هرج)، ٣٨٩/٢.

وقال ابن الأثير رحمته الله: «(بين يدي الساعة هرج) أي: قتال واختلاط، وقد هرج الناس يهرجون هرجا إذا اختلطوا... وأصل الهرج: الكثرة في الشيء والاتساع»^(١).

قال ابن حجر رحمته الله: (وأصل الهرج في اللغة العربية الاختلاط يقال هرج الناس اختلطوا واختلفوا وهرج القوم في الحديث إذا كثروا وخلطوا)^(٢).

ولقد وردت أحاديث توصف فتنة الهرج وتحذر منها، ومن ذلك:

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَأَبِي مُوسَى رضي الله عنهما فَقَالَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ أَيَّامًا يُرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ وَيَنْزِلُ فِيهَا الْجَهْلُ وَيَكْثُرُ فِيهَا الْهَرْجُ وَالْهَرْجُ الْقَتْلُ»^(٣).

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ وَتَظْهَرُ الْفِتْنُ وَيُلْقَى الشُّحُّ وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ». قَالُوا وَمَا الْهَرْجُ قَالَ: «الْقَتْلُ»^(٤).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى

(١) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، مادة (هرج)، ص (١٠٠٥).

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ١٨/١٣.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب ظهور الفتن، رقم (٧٠٦٣)، وأخرجه مسلم، كتاب العلم، باب رَفَعِ الْعِلْمِ وَقَبْضِهِ وَظُهُورِ الْجَهْلِ وَالْفِتْنِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، رقم (٦٩٥٩).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب ظهور الفتن، رقم (٧٠٦١)، وأخرجه مسلم، كتاب العلم، باب رَفَعِ الْعِلْمِ وَقَبْضِهِ وَظُهُورِ الْجَهْلِ وَالْفِتْنِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، رقم (٦٩٦٤).

يَكْثُرُ الْهَرْجُ». قَالُوا وَمَا الْهَرْجُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «الْقَتْلُ الْقَتْلُ»^(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى النَّاسِ يَوْمٌ لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِيمَ قَتَلَ وَلَا الْمَقْتُولُ فِيمَ قُتِلَ» قِيلَ كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ قَالَ: «الْهَرْجُ. الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ»^(٢).

فقه الفتنة ومنهج الداعية الشرعي منها:

الأحاديث السابقة فيها دلالة واضحة على اختلاط الحال على الناس في آخر الزمان، حتى يفضي بهم الأمر إلى القتل بسبب ومن غير سبب، إذ لا يدري القاتل فِيم قَتَلَ ولا المقتول فِيم قُتِلَ، وما ذاك إلا لاختلاط الأمر، والاستهانة بالدماء.

ومما يعرف من الدين بالضرورة عظم جرم القتل، فإهراق دم معصوم من التجني على ضرورة من الضرورات الخمس التي جاء الإسلام بحفظها في نصوص كثيرة من الكتاب والسنة، فقد رتب الشارع الحكيم على الجاني عقوبة دنيوية وأخروية زاجرة مانعة، لكن الفتنة تُغَيِّبُ العقل والدين، ومما جاء في التحذير من القتل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾^(٩٣) [النساء: ٩٣] فرتب على القاتل اللعنة والغضب والعذاب العظيم وطول المكث في النار، بل إن عظم جرم القتل ثابت في

(١) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، رقم (٧٤٣٩).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مَكَانَ الْمَيِّتِ مِنَ الْبَلَاءِ، رقم (٧٤٨٨).

الرسالات السماوية السابقة، فقد بيّن الله تعالى مدى عظم القتل بقوله: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

وكذا جاءت السنة مبيّنة عظم القتل عند الله تعالى، ولعظمها هي أول ما يقضى بين العباد يوم القيامة، عن ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ بِالدِّمَاءِ»^(١) وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: «إِنَّ مِنْ وَرَظَاتِ الْأُمُورِ الَّتِي لَا مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا سَفْكَ الدِّمِ الْحَرَامِ بِغَيْرِ حِلٍّ»^(٢) والأدلة في بيان شدة جرم القتل كثيرة.

والمتأمل للأحاديث السابقة يجد أن القتل مع شدة جرمه، إلا أن الناس سيقعون به افتتاناً، وهي ما تسمى بفتنة الهرج، والنبى ﷺ عرّف الهرج بالقتل، وتسميته صلى الله عليها وسلم لها بالهرج يعطي معنى أبعد إذ أن الهرج يشير إلى اختلاط الأمر واتساعه وكثرته وشدته كما تقدّم، فاللفظ يوحي بأنها فتنة ذات تخليط واختلاف بين الناس، وادعاءات مبهمة، وأخرى كاذبة، وظهور الريبة في ذلك؛ إذ لا يُعرف القاتل لماذا قتل والمقتول من الذي قتله، وهذا يشعر بالفوضى والاختلاط، والاستهانة بالدماء، والوقوع فيها، وخفاء أسباب القتل يُشعر بأن الاقتتال ليس على أمر الدين، إذ لو كان أمر دينياً لكان له أنصار حق يدافعون عنه ويوضحون أسبابه، ولما رتب النبي ﷺ عقوبة النار على القاتل والمقتول، مما يشعر بأن الاقتتال إلى أمور الدنيا أقرب، وقوله ﷺ: «الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ»

(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة، رقم (٦٥٣٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الديات، باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٣]، رقم (٦٨٦٣).

دلالة واضحة على أن هذه الفتنة بين المسلمين، إذ لو كان أحد الطرفين على ضلالة لما استحق قاتله النار، وفيه دلالة أيضا أن الاقتتال على أمر الدنيا لا الدين، إذ لو كان الدين لما استحق العقوبة.

قال ابن حجر رحمته الله: (قال القرطبي فبين هذا الحديث ان القتال إذا كان على جهل من طلب الدنيا أو اتباع هوى فهو الذي أريد بقوله القاتل والمقتول في النار قلت ومن ثم كان الذين توقفوا عن القتال في الجمل وصفين أقل عددا من الذين قاتلوا وكلهم متأول مأجور ان شاء الله بخلاف من جاء بعدهم ممن قاتل على طلب الدنيا)^(١).

والأدلة ظاهرة الدلالة على شدة الفتنة التي اتسمت بكثرة القتل، وشدته، وانبهاهم أسبابه، وذهاب الأمن، وهذا واقع في آخر الزمان متزامناً مع قلة العلم وكثرة الجهل، لقوله ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ أَيَّامًا يُرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ وَيُنْزَلُ فِيهَا الْجَهْلُ وَيَكْثُرُ فِيهَا الْهَرْجُ وَالْهَرْجُ الْقَتْلُ»^(٢).

فعلى الداعية فقه هذه الفتنة بأدلتها، وبيانها للمدعويين، ببيان حالها واشتدادها وكثرتها، واختلاطها، وغموض أسبابها، كما تقدم بيانه.

وعلى الداعية تبصير الناس بعظم جرم قتل النفس المعصومة، وعقوبة ذلك في الدنيا والآخرة، بما تقدم من أدلة وغيرها.

وعلى الداعية أن يرشد المدعويين إلى الضمانات الشرعية عند وقوع هذه الفتنة العظيمة ومن ذلك:

١- الفرار منها، وعن مظانها، خارج أقطارها، لأن البقاء مع الناس

(١) فتح الباري، ابن حجر، ٣٤/١٣.

(٢) تقدم تخريجه ص ١٠٩.

وهم في هذه الحال قد يجرُّ النفس لمشاركتهم القتل، فإن كانت النفس لا تدري لماذا قُتلت ولماذا قُتلت فالأحرى تجنبها مظان هذه الفتنة لئلا تقع في مثل هذه الحال، أو تستحسن القتل بتزيين الشيطان لسبب ما، وعليه فلا أسلم اعتزال مكان هذه الفتنة كما أرشد لذلك نبينا ﷺ وسيأتي.

٢- كسر آلات القتل، وإتلافها، ولهذا أرشد النبي ﷺ، عن أبي بكرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنٌ أَلَا ثُمَّ تَكُونُ فِتْنَةُ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي فِيهَا وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا أَلَا فَإِذَا نَزَلْتُ أَوْ وَقَعْتُ فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ». قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلَا غَنَمٌ وَلَا أَرْضٌ قَالَ: «يَعْمِدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ ثُمَّ لَيَنْجُ إِنْ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ». قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ أُكْرِهْتُ حَتَّى يُنْطَلَقَ بِي إِلَى أَحَدِ الصَّفَيْنِ أَوْ إِحْدَى الْفَتْنَتَيْنِ فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ أَوْ يَجِيءُ سَهْمٌ فَيَقْتُلُنِي قَالَ: «يَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»^(١).

وفي إرشاده ﷺ إلى إتلاف آلة القتل أعظم دلالة على أن النفس تعيش اختلاطاً في الأمر، ربما يجرها إلى أن تقتل حتى وإن كان مستقراً في النفس عدم القتل، ولكن حال الفتنة يختلف، ولذا جعل النبي ﷺ النجاة بإتلاف آلة القتل.

٣- كف اللسان عن مناصرة إحدى الطائفتين، لأن كف اللسان لازم لكف اليد في الضمان الشرعي السابق، فإذا كان العبد مأموراً بكف يده

(١) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب نُزُولِ الْفِتَنِ كَمَا وَقَعَ الْقَطْرِ، رقم (٧٤٣٢).

عن السلاح لئلا يشارك في القتل، فكذا كف اللسان، لما في فتنة الهرج من اختلاط الأمور، ولما للكلمة من إذكاء للقتل وتأيد لأحد الطائفتين.

٤- الانشغال بالعبادة وقت الفتنة، لما في ذلك من الثواب العظيم فهو كالمهاجر في سبيل الله إلى بلد رسول الله، عن مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَدَّهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهَجْرَةِ إِلَيَّ»^(١) والحديث ليس خاصاً بفتنة القتل، وإنما عام في كل فتنة يختلط فيها الأمر على الناس، فالهرج في الحديث المقصود به اختلاط الأمر، ولا شك أن فتنة القتل من أشد الفتن التي يختلط فيها الصواب على الناس، فيحتاج العبد معها إلى الانشغال بالعبادة وبما يقربه من الله تعالى.

قال النووي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «(العبادة في الهرج كهجرة إلي) المراد بالهرج هنا الفتنة واختلاط أمور الناس وسبب كثرة فضل العبادة فيه أن الناس يغفلون عنها ويشغلون عنها ولا يتفرغ لها إلا أفراد»^(٢).

ومما يجدر التنبيه إليه وسبقت الإشارة له، هو أن الضمانات الشرعية السابقة من الفرار إلى البادية أو مكان ما، وكف اليد وإتلاف آلات القتل عند عدم استطاعة السيطرة على النفس، وكف اللسان، إنما يكون في كثرة القتل بين المسلمين لأجل الدنيا، أما القتال للدين وإعلاء كلمة الله تعالى، فلا فرار ولا تولي بل تجب النصرة والمبادرة للجهاد في سبيل الله تعالى، لإعلاء كلمة الله ونصرة دينه.

(١) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب فَضْلِ الْعِبَادَةِ فِي الْهَرْجِ، رقم (٧٥٨٨).

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي، ٨٨/١٨.

ثانياً: فتنة الدجال:

وهي الفتنة التي تكون في آخر الزمان - من أشراط الساعة الكبرى - وهي أعظم وأخطر الفتن على الأمة الإسلامية منذ ولادتها إلى قيام قيام الساعة، ولذا جرى التحذير من المسيح الدجال على لسان جميع الأنبياء لأقوامهم؛ لما لها من الهول العظيم، والفتنة الصارفة عن الدين، وهي فتنة تكون على يد رجل يجعل الله تعالى على يديه من الخوارق يفتتن بها كثير من الناس، كإنزال المطر، وإنبات الأرض، وإحياء الموتى، وإخراج كنوز الأرض، وغيرها من الخوارق كما سيأتي بيانه.

وسمي الدجال مسيحاً؛ لأن إحدى عينيه ممسوحة، أو لأنه يمسح الأرض أربعين يوماً كما سيأتي.

قال ابن الأثير رحمه الله: (وأما الدجال فسمي به؛ لأن عينه الواحدة ممسوحة... وقيل: لأنه يمسح الأرض أي يقطعها)^(١).

والقول الأول هو الأرجح، والأقرب لظاهر قول النبي ﷺ: «إِنَّ الدَّجَالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ»^(٢).

وأما لفظ (الدجال) فأصله: من الدجل وهو الخلط والتمويه.

قال ابن الأثير رحمه الله: (الدجل: الخلط، يقال: دَجَل إذا لَبَسَ ومَوَّه)^(٣).

ومن هذا المعنى سمي الدجال دجالاً؛ لأنه يغطي الحق بالباطل، أو

(١) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، مادة (مسح)، ص ٨٦٧.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذُكِرَ الدَّجَالُ وَصِفَتِهِ وَمَا مَعَهُ، رقم (٧٥٥٢).

(٣) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، مادة (دجل)، ص ٢٩٨.

لأنه يغطي على الناس كفره بكذبه وتمويهه وتلبيسه عليهم، وقيل: لأنه يغطي الأمر بكثرة جموعه، وقيل غير ذلك^(١).

قال بدر الدين العيني رحمته الله: (أما تسميته بالمسيح فلان الخير مُسَح منه فهو مسيح الضلالة وقيل سمي به لأن عينه الواحدة ممسوحة، ويقال: رجل ممسوح الوجه ومسيح، وهو أن لا يبقى على أحد شقي وجهه عين ولا حاجب إلا استوى. وقيل: لأنه يمسح الأرض، أي: يقطعها)^(٢).

وفتنة الدجال فتنة عظيمة لعظمتها جاءت أحاديث كثيرة في بيانها، وبيان صفات الدجال وفتنته، ومن ذلك ما يلي:

صفة الدجال:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أُنْذِرَ أُمَّتُهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ إِلَّا إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ وَمَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَ ف ر» وفي لفظ البخاري: «وَأَنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ»^(٣).

وعنه أيضاً قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الدَّجَالُ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ». ثُمَّ تَهَجَّاهَا كَ ف ر «يَقْرُؤُهُ كُلُّ مُسْلِمٍ»^(٤).

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (دجل)، ٢٣٦/١١، وانظر أشراف الساعة، يوسف بن عبدالله بن يوسف الوابل، ص (٢٧٧)، ط ١٤ دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢١هـ.

(٢) شرح سنن أبي داود، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى الحنفى بدر الدين العيني، تحقيق: أبي المنذر خالد بن إبراهيم المصري، ٩١/٤، ط ١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، رقم (٧١٣١)، أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب ذِكْرِ الدَّجَالِ وَصِفَتِهِ وَمَا مَعَهُ، رقم (٧٥٤٨).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب ذِكْرِ الدَّجَالِ وَصِفَتِهِ وَمَا مَعَهُ، رقم (٧٥٥٠).

وفي حديث حذيفة رضي الله عنه: «وإن الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة»^{(١)(٢)}.

عن ابن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «بينما أنا نائم رأيتني أطوف بالكعبة فإذا رجل آدم سبط الشعر»^(٣) بين رجلين ينطف رأسه ماء - أو يهراق رأسه ماء - قلت من هذا قالوا هذا ابن مريم. ثم ذهب قلت فإذا رجل أحمر جسيم جعد الرأس»^(٤) أعور العين وفي رواية: «أعور العين اليمنى» كأن عينه عنبة طافية. قلت من هذا قالوا الدجال. أقرب الناس به شبها ابن قطن»^(٥).

وفي حديث أبي سعيد رضي الله عنه: «هو عقيم لا يولد له»^(٦).

عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدجال أعور العين اليسرى جفال»^(٧) الشعر معه جنة ونار فواره جنة وجنته نار»^(٨).

- (١) قال ابن حجر: (ظفرة غليظة وهي جلدة تغطي العين وإذا لم تقطع عميت العين) فتح الباري، ٩٨/١٣.
- (٢) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفتيه وما معه، رقم (٧٥٥٢).
- (٣) قال النووي: (وأما السبط فبكسر الباء وإسكانها وهو الشعر المسترسل) شرح مسلم، ١٢٩/١٠، وقال ابن حجر: (سبط الشعر أي ليس فيه تكسر) فتح الباري، ١٢٦/١.
- (٤) قال ابن الأثير: (جعد الشعر هو ضد السبط) النهاية، ابن الأثير ص (١٥٥).
- (٥) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، رقم (٧١٢٨)، أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب في ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال، رقم (٤٤٧).
- (٦) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد، رقم (٧٥٣٤).
- (٧) قال ابن الأثير: (وفي صفة الدجال «أنه جفال الشعر» أي: كثيره) النهاية، ابن الأثير، مادة (جفل)، ص (١٥٧).
- (٨) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفتيه وما معه، رقم (٧٥٥١).

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنِّي قَدْ حَدَّثْتُكُمْ عَنِ الدَّجَالِ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ لَا تَعْقِلُوا إِنَّ مَسِيحَ الدَّجَالِ رَجُلٌ قَصِيرٌ أَفْحَجٌ^(١) جَعْدٌ أَعْوَرٌ مَظْمُوسُ الْعَيْنِ لَيْسَ بِنَاتِيَّةٍ وَلَا جَحْرَاءَ^(٢) فَإِنْ أُلْبِسَ عَلَيْكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»^(٣).

خروج الدجال وفتنته

عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَالِ مِنْهُ مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ أَحَدُهُمَا رَأَى الْعَيْنُ مَاءً أَبْيَضُ وَالْآخَرُ رَأَى الْعَيْنُ نَارًا تَأْجَجُ فَإِذَا أَدْرَكَ أَحَدُ فَلَيَاتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا وَلْيُعْمَضْ ثُمَّ لِيُطَاطِئُ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ وَإِنَّ الدَّجَالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ عَلَيْهَا ظَفْرَةٌ غَلِيظَةٌ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ يَقْرَأُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ»^(٤).

وعنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي الدَّجَالِ: «إِنَّ مَعَهُ مَاءً وَنَارًا فَنَارُهُ مَاءٌ بَارِدٌ وَمَاؤُهُ نَارٌ فَلَا تَهْلِكُوا»^(٥).

عَنْ رَبِيعِ بْنِ حِرَاشٍ قَالَ اجْتَمَعَ حُذَيْفَةُ وَأَبُو مَسْعُودٍ رضي الله عنهما فَقَالَ حُذَيْفَةُ رضي الله عنه: «لَأَنَا بِمَا مَعَ الدَّجَالِ أَعْلَمُ مِنْهُ إِنَّ مَعَهُ نَهْرًا مِنْ مَاءٍ وَنَهْرًا مِنْ نَارٍ

(١) قال ابن حجر: (من الفحج وهو تباعد ما بين الساقين أو الفخذين) فتح الباري، ٩٧/١٣.

(٢) الحجراء عكس الناتئة فالناتئة البارزة، والحجواء العميقة، انظر المرجع السابق.

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، رقم (٤٣٢٢)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٩/ ٣٢٠).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذُكِرَ الدَّجَالُ وَصِفَتِهِ وَمَا مَعَهُ، رقم (٧٥٥٢).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، رقم (٧١٣٠)، أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذُكِرَ الدَّجَالُ وَصِفَتِهِ وَمَا مَعَهُ، رقم (٧٥٥٣).

فَأَمَّا الَّذِي تَرَوْنَ أَنَّهُ نَارٌ مَاءٌ وَأَمَّا الَّذِي تَرَوْنَ أَنَّهُ مَاءٌ نَارٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَأَرَادَ الْمَاءَ فَلْيَشْرَبْ مِنَ الَّذِي يَرَاهُ أَنَّهُ نَارٌ فَإِنَّهُ سَيَجِدُهُ مَاءً. قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ هَكَذَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ^(١).

عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ مَا سَأَلَ أَحَدُ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ الدَّجَالِ أَكْثَرَ مِمَّا سَأَلْتُ قَالَ: «وَمَا يُنْصِبُكَ مِنْهُ إِنَّهُ لَا يَضُرُّكَ». قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّ مَعَهُ الطَّعَامَ وَالْأَنْهَارَ قَالَ: «هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ»^(٢).

وفي رواية له: قَالَ قُلْتُ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ مَعَهُ جِبَالٌ مِنْ خُبْزٍ وَلَحْمٍ وَنَهْرٌ مِنْ مَاءٍ. قَالَ: «هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ»^(٣).

عِمْرَانَ بْنُ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَالِ»^(٤).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَتَلْقَاهُ الْمَسَالِحُ مَسَالِحُ الدَّجَالِ فَيَقُولُونَ لَهُ أَيْنَ تَعْمِدُ فَيَقُولُ أَعْمِدُ إِلَى هَذَا الَّذِي خَرَجَ - قَالَ - فَيَقُولُونَ لَهُ أَوْ مَا تُؤْمِنُ بِرَبَّنَا فَيَقُولُ مَا بِرَبَّنَا خَفَاءً. فَيَقُولُونَ اقْتُلُوهُ. فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَلَيْسَ قَدْ

(١) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصِفَتِهِ وَمَا مَعَهُ، رقم (٧٥٥٧).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الدجال وهو أهون على الله عز وجل، رقم (٧٥٦٥).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الدجال وهو أهون على الله عز وجل، رقم (٧٥٦٦).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بَقِيَّةٍ مِنْ أَحَادِيثِ الدَّجَالِ، رقم (٧٥٨٢).

نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَدًا دُونَهُ - قَالَ - فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَى الدَّجَالِ فَإِذَا رَأَهُ الْمُؤْمِنُ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَذَا الدَّجَالُ الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ فَيَأْمُرُ الدَّجَالُ بِهِ فَيُسَبِّحُ ^(١) فَيَقُولُ خُذُوهُ وَشُجُّوهُ ^(٢) فَيُوسِعُ ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ ضَرْبًا - قَالَ - فَيَقُولُ أَوْ مَا تُؤْمِنُ بِي قَالَ فَيَقُولُ أَنْتَ الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ - قَالَ - فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُؤْشَرُ بِالْمِثْشَارِ ^(٣) مِنْ مَفْرِقِهِ حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَ رَجُلَيْهِ - قَالَ - ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَالُ بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ قُمْ. فَيَسْتَوِي قَائِمًا - قَالَ - ثُمَّ يَقُولُ لَهُ أَتُؤْمِنُ بِي فَيَقُولُ مَا أَرَدْتُ فَيْكَ إِلَّا بِصِيرَةٍ - قَالَ - ثُمَّ يَقُولُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ - قَالَ - فَيَأْخُذُهُ الدَّجَالُ لِيَذْبَحَهُ فَيُجْعَلُ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَى تَرْقُوْتِهِ ^(٤) نُحَاسًا فَلَا يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلًا - قَالَ - فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَيَقْدِفُ بِهِ فَيَحْسِبُ النَّاسُ أَنَّهَا قَذْفُهُ إِلَى النَّارِ وَإِنَّمَا أُلْقِيَ فِي الْجَنَّةِ ». فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «هَذَا أَعْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ» ^(٥).

عن أبي الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ أَخْبَرْتَنِي أُمُّ شَرِيكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَيَفْرَنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَالِ فِي الْجِبَالِ».

(١) فَيُسَبِّحُ: أي يُمَدُّ عَلَى ظَهْرِهِ. انظر شرح صحيح الإمام مسلم، النووي، (٧٣/١٨).

(٢) وَشُجُّوهُ: من الشَّجَّ وهو الجرح في الرأس. انظر شرح صحيح الإمام مسلم، النووي، (٧٣/١٨).

(٣) قال النووي: (والمِثْشَارُ بهمزة بعد الميم وهو الأفصح... ويجوز المِثْشَارُ بالنون وعلى هذا يقال نشرت الخشبة وعلى الأول يقال أشرتها) انظر شرح صحيح الإمام مسلم، النووي، (٧٤/١٨).

(٤) قال النووي: (والتَرْقُوْتَةُ بفتح التاء وضم القاف وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق) انظر شرح صحيح الإمام مسلم، النووي، (٧٤/١٨).

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذِكْرِ الدَّجَالِ وَصِفَتِهِ وَمَا مَعَهُ، رقم (٧٥٦٤).

قَالَتْ أُمُّ شَرِيكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَيُّ الْعَرَبِ يَوْمَئِذٍ قَالَ: «هُمْ قَلِيلٌ»^(١).

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَتَّبِعُ الدَّجَالَ مِنْ يَهُودٍ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ»^(٢).

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطُوهُ الدَّجَالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ وَلَيْسَ نَقَبٌ مِنْ أَنْقَابِهَا إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ تَحْرُسُهَا فَيَنْزِلُ بِالسَّبْخَةِ»^(٣) فَتَرْجُفُ الْمَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ يَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْهَا كُلُّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ»^(٤).

عَنِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّجَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَضَ فِيهِ وَرَفَعَ حَتَّى ظَنَّنَاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ». قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتَ الدَّجَالَ غَدَاةً فَخَفَضْتَ فِيهِ وَرَفَعْتَ حَتَّى ظَنَّنَاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ. فَقَالَ «غَيْرُ الدَّجَالِ أَخَوْفُنِي عَلَيْكُمْ إِنْ يَخْرُجُ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَاجِبُهُ دُونَكُمْ وَإِنْ يَخْرُجُ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَأَمْرُو حَاجِبِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ»^(٥) عَيْنُهُ

(١) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بَقِيَّةٍ مِنْ أَحَادِيثِ الدَّجَالِ، رقم (٧٥٨٠).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بَقِيَّةٍ مِنْ أَحَادِيثِ الدَّجَالِ، رقم (٧٥٧٩).

(٣) قال ابن الأثير: (هي الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تُنبت إلا بعض الشجر) النهاية، ابن الأثير، مادة (سبخ)، ص (٤١٣)، وقال ابن حجر: (هي الأرض الرملية التي لا تنبت لملوحاتها وهذه الصفة خارج المدينة من غير جهة الحرة) فتح الباري، (١٣/١٠٢).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب لَا يَدْخُلُ الدَّجَالُ الْمَدِينَةَ، رقم (١٨٨١)، أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قِصَّةِ الْجَسَّاسَةِ، رقم (٧٥٧٧).

(٥) قال ابن الأثير: (القطط: الشديد الجعودة، وقيل: الحسن الجعودة، =

طَائِفَةٌ كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطْنٍ فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاتَّبِعُوا». قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لَبَّثُهُ فِي الْأَرْضِ قَالَ «أَرْبَعُونَ يَوْمًا يَوْمٌ كَسَنَةٍ وَيَوْمٌ كَشْهَرٍ وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ». قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ قَالَ «لَا أَقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ». قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ قَالَ «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرْتُهُ الرِّيحُ فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ وَالْأَرْضُ فَتُنْبِتُ فَتَرْوِحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتَهُمْ^(١) أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًّا وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ^(٢) ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيُضْبِحُونَ مُمَحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَيَمُرُّ بِالْخَرِيبَةِ فَيَقُولُ لَهَا أَخْرِجِي كُنُوزَكَ. فَتَتَّبِعُهُ كُنُوزُهَا كَيْعَاسِيبِ النَّحْلِ^(٣) ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزَلَتَيْنِ رَمِيَةً الْغَرَضُ^(٤) ثُمَّ

= والأول أكثر النهاية، ابن الأثير، مادة (قطط)، ص (٧٦٠).

(١) قال النووي: (والسارحة هي الماشية التي تسرح أي تذهب أول النهار إلى

المرعى) انظر شرح صحيح الإمام مسلم، النووي، (٦٦/١٨).

(٢) قال النووي: (وأما الذرى فبضم الذال المعجمة وهي الأعالى والأسنمة... وقوله (واسبغة).. أي أطوله لكثرة اللبن وكذا أمده خواصر لكثرة امتلائها من الشبع)

انظر شرح صحيح الإمام مسلم، النووي، (٦٦/١٨).

(٣) قال النووي: (قوله ﷺ «فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل» هي ذكور النحل هكذا فسر بن قتيبة وآخرون، قال القاضي: المراد جماعة النحل لا ذكورها خاصة، لكنه كنى عن الجماعة باليعسوب، وهو أميرها؛ لأنه متى طار تبعته جماعة، والله أعلم) انظر شرح صحيح الإمام مسلم، النووي، (٦٦-٦٧).

(٤) قال النووي في قوله «جزلتين»: (أي قطعتين، ومعنى رمية الغرض أنه يجعل بين الجزلتين مقدار رميته هذا هو الظاهر المشهور) انظر شرح صحيح الإمام مسلم، النووي، (٦٦-٦٧).

يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ^(١) وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَئِينَ إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَحْدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ فَيُطْلَبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بَابٌ لُدٍّ^(٢) فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ...»^(٣).

وفي حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال عن خروج الدجال: «... أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّامِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ لَا بَلَّ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ». وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ^(٤).

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يَخْرُجُ الدَّجَالُ فِي أُمَّتِي فَيَمَكْتُ أَرْبَعِينَ - لَا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا - فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةٌ بَيْنَ مَسْعُودٍ فَيُطْلَبُهُ

(١) قال النووي: (أما المنارة فبفتح الميم وهذه المنارة موجودة اليوم شرقي دمشق... وأما المهرودتان فروى بالبدال المهملة والذال المعجمة... ومعناه

لابس مهرودتين أي ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران وقيل هما شقتان والشقة نصف الملاة) انظر شرح صحيح الإمام مسلم، النووي، (١٨/٦٦-٦٧).

(٢) قال النووي: (هو بضم اللام وتشديد الدال مصروف وهو بلدة قريبة من بيت المقدس) انظر شرح صحيح الإمام مسلم، النووي، (١٨/٦٨).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب ذُكِرَ الدَّجَالُ وَصِفَتِهِ وَمَا مَعَهُ، رقم (٧٥٦٠).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب قِصَّةِ الْجَسَّاسَةِ، رقم (٧٥٧٣).

فِيهِلْكُهُ...»^(١).

فقه الفتنة ومنهج الداعية الشرعي منها:

بيّنت النصوص السابقة أن فتنة الدجال هي من أخوف ما يخافه النبي ﷺ، ذلك أن الله تعالى جعل معه من الصفات والخوارق ما يفتتن الناس به.

فمن صفاته التي جاءت في الأحاديث السابقة:

لونه: أحمر، وجاء في بعض الروايات في غير الصحيحين أنه آدم، والجمع بينهما كما قال ابن حجر رحمه الله: (يمكن أن تكون ادمته صافية ولا ينافي أن يوصف مع ذلك بالحمرة لأن كثيرا من الأدم قد تحمر وجنته)^(٢).
جسمه: هو ضخيم الجسم لقوله في حديث ابن عمر «فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ جَسِيمٌ»، وهو رجل قصير كما جاء في حديث عبادة بن الصامت، وهو عقيم لا يولد له.

شعره: ليس مبسوطة بل جعد الشعر، وكثير لقوله «جُفَالُ الشَّعَرِ».

جهته: مكتوب فيها كلمة (كافر) أو (ك ف ر) يقرأها كل مسلم سواء كان أميا لا يعرف القراءة والكتابة أو كان قارئاً.

عيناه: هو أعور كما جاء في كثير من الأحاديث، واختلفت الروايات أي العينين العوراء، ففي بعض الروايات المتقدمة أنه أعور العين اليمنى وبعضها أنه أعور العين اليسرى، فمنهم من ذهب مذهب الجمع، منهم

(١) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قِصَّةِ الْجَسَّاسَةِ، رقم (٧٥٦٨).

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ٩٧/١٣.

القاضي عياض رحمته الله وجمع بينهما بأن كلا العينين معيبة، فأحدهما وهي اليمنى كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما معيبة بذهاب ضوءها، كأنها عنبة طافية وهي الممسوحة والمطموسة، والأخرى بنتوئها، فوجود العيب في كل عين جعل العور في العينين^(١).

ومن أهل العلم من ذهب مذهب الترجيح: منهم ابن حجر رحمته الله، حيث رجح بأنه أعور العين اليمنى لا اليسرى لاتفاق الشيخين على رواية العين اليمنى.

قال ابن حجر رحمته الله مرجحاً بأن العور في العين اليمنى: (وقد اتفقا عليه من حديث بن عمر فيكون أرجح والى ذلك أشار بن عبد البر لكن جمع بينهما القاضي عياض فقال تصحح الروايتان معا بأن تكون المطموسة والممسوحة هي العوراء الطافئة بالهمز أي التي ذهب ضوءها وهي العين اليمنى كما في حديث بن عمر وتكون الجاحظة التي كأنها كوكب وكانها نخاعة في حائط هي الطافية بلا همز وهي العين اليسرى كما جاء في الرواية الأخرى وعلى هذا فهو أعور العين اليمنى واليسرى معا فكل واحدة منهما عوراء أي معيبة فإن الأعور من كل شيء المعيب وكلا عيني الدجال معيبة فأحدهما معيبة بذهاب ضوءها حتى ذهب ادراكها والأخرى بنتوئها انتهى قال النووي هو في نهاية الحسن)^(٢).

ساقاه: متباعدتان وكذا فخذاه لأنه أفحج كما جاء في حديث عبادة. وبالجمله فإن صفاته غاية في الذم والقبح، والأحاديث كثيرة في بيان

(١) فتح الباري، ابن حجر، ٩٧/١٣.

(٢) المرجع السابق، ٩٧/١٣.

صفاته، تمنع كل إيهام، حتى يُخَيَّل للقارئ لها بأنه لن يخطئ أحد به، إلا أن الفتنة شيء عظيم، وفتنة الدجال من أكبر ما خافه النبي ﷺ على أمته.

قال القرطبي رحمه الله: (وصف النبي ﷺ الدجال وصفاً لم يبق معه لذي لب إشكال ولتك الأوصاف كلها ذميمة تبين لكل ذي حاسة سليمة لكن من قضى الله عليه بالشقاوة تبع الدجال فيما يدعيه من الكذب و الغباوة و حرم اتباع الحق و نور التلاوة فقلوه عليه الصلاة و السلام «إنه أعور و أن الله ليس بأعور» تبين للعقول القاصرة أو الغافلة على أن من كان ناقصاً في ذاته عاجزاً عن إزالة نقصه لم يصلح أن يكون إلهاً لعجزه وضعفه ومن كان عاجزاً عن إزالة نقصه كان أعجز عن نفع غيره وعن مضرتة^(١)).

وجاء في الأحاديث السابقة بيان ما جعله الله تعالى على يدي الدجال من الخوارق التي تفتن الناس ومن ذلك:

فتنته أكبر فتنة: إلى قيام الساعة، لقوله ﷺ: «مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَالِ».

قال النووي رحمه الله: (المراد أكبر فتنة وأعظم شوكة)^(٢).

ولا عجب فإن الله تعالى جعل معه من الخوارق ما يظن بعض الناس معها أنه ربهم، بل من شدة فتنته، ينكر الناس على من يخرج على الدجال كما في حديث أبي سعيد: «فَيَقُولُونَ لَهُ أَوْ مَا تُوْمِنُ بِرَبِّنَا».

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي، تحقيق: الصادق بن محمد إبراهيم، ٣/ ١٢٧٩-١٢٨٠، ط ١، مكتبة دار المنهاج، الرياض. ١٤٢٥هـ.

(٢) انظر شرح صحيح الإمام مسلم، النووي، ١٨/ ٨٧.

يحيي الموتى : من فتنته أنه يميت ويحيي أمام الناس كما في حديث أبي سعيد رضي الله عنه ، حينما خرج عليه العبد الصالح ليبين للناس أنه الدجال : «فَيَقُولُ أَوْ مَا تُوْمِنُ بِي قَالَ فَيَقُولُ أَنْتَ الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ - قَالَ - فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُؤْشَرُ بِالْمُشَارِ مِنْ مَفْرَقِهِ حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ - قَالَ - ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَالُ بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ قُمْ . فَيَسْتَوِي قَائِمًا».

وفي حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه : «ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزَلَتَيْنِ رَمِيَّةَ الْغَرَضِ ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيَقْبَلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ».

معه جنة ونار ، ومعه جبال الطعام : من فتنته أنه يري الناس جنة ونارا ، وأنه يشب ويعاقب بهما ، ومعه أرزاق كثيرة مما يأكله الناس ، ففي الحديث «مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ» وفي حديث آخر : «إِنَّ مَعَهُ مَاءً وَنَارًا فَنَارُهُ مَاءٌ بَارِدٌ وَمَاؤُهُ نَارٌ» وفي أحاديث أخرى أن معه طعام وأنهار ، وجبال من خبز ولحم.

يأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت : حتى تشبع المواشي فتكون على أحسن حال لبناً ومرعى ، ففي حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه : «فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَحْيُونَ لَهُ فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ وَالْأَرْضَ فَتَنْبِتُ فَتَرْوِحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتَهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًّا وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا وَأَمَدَهُ خَوَاصِرَ».

يغير الحال من فقر إلى غنى والعكس من ذلك وتتبعه كنوز الأرض : ففي حديث النواس رضي الله عنه : «ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيُضْبِحُونَ مُمَحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا أَخْرِجِي كُنُوزَكَ . فَتَتَّبِعُهُ كُنُوزُهَا كَيْعَاسِيبِ النَّحْلِ».

مدة بقاءه، وسرعة سعيه في الأرض: فهو يمكث أربعين يوما كما قال النبي ﷺ في حديث النواس رضي الله عنه: «قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لُبُّهُ فِي الْأَرْضِ قَالَ «أَرْبَعُونَ يَوْمًا يَوْمٌ كَسَنَةٍ وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ»، ويقطع الأرض بسرعة عظيمة فهو كما قال ﷺ: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرْتُهُ الرِّيحُ»، ولن تبقى بلدة إلا وطئها الدجال إلا مكة والمدينة، ففي حديث أنس: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطُوهُ الدَّجَالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ» أما جهة خروج الدجال فإنه يخرج من جهة المشرق كما في حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها.

قال ابن حجر رحمته الله: (وأما من أين يخرج فمن قبل المشرق جزما)^(١).

ومن نظر في الخوارق السابقة، أدرك خوف النبي ﷺ على أمته فتنة الدجال، وأدرك عظم هذه الفتنة وأنها الأعظم إلى قيام الساعة، فعلى الداعية الفقه في هذه الفتنة ومعرفة الدجال وما يتعلق به، مما جاءت به السنة المطهرة.

قال ابن العربي رحمته الله: (الذي يظهر على يد الدجال من الآيات من إنزال المطر، والخصب على من يصدقه، والجذب على من يكذبه، واتباع كنوز الأرض له، وما معه من جنة ونار، ومياه تجري، كل ذلك محنة من الله واختبار؛ ليهلك المرتاب، وينجو المتيقن، وذلك كله أمر مخوف، ولهذا قال ﷺ: لا فتنة أعظم من فتنة الدجال)^(٢).

وعلى الداعية تحديث المدعوين بفتنة الدجال، والحذر منها، وبيان

(١) فتح الباري، ابن حجر، ١٣/٩١.

(٢) المرجع السابق، ١٣/١٠٣.

شدة خطورتها وأنها الأعظم إلى قيام الساعة.

وعلى الداعية أن يوضح للمدعوين صفات الدجال - كما تقدم بيانه - ويوضح لهم مدى فتنته، وما جعل الله له من الخوارق التي يفتن بها الناس حتى يظنوا أنه ربهم.

وعلى الداعية أن يدل المدعوين إلى الضمانات الشرعية من فتنة الدجال ومن ذلك:

١- اللجوء إلى الله تعالى، عند فتنة الدجال، فهو الملاذ عند كل نائبة، ولا أعظم من فتنة الدجال، وهو الذي يدل عليه مفهوم قول النبي ﷺ حين خاف الصحابة الدجال وما معه من خوارق تفتن، قال النبي ﷺ: «هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ».

٢- معرفة الله تعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العلی، فإن هذه المعرفة من المنجيات من فتنة الدجال، فالله تعالى له الأسماء الحسنی والصفات العلی، وله الكمال المطلق الذي يليق بجلاله جل وعلا، والدجال له من صفات النقص والعيب، ما يستقبحها البشر في أنفسهم فضلاً عن أن يرضوا مثله ربا، لكنها الفتنة بما معه من الخوارق، وبمعرفة الله تعالى حق المعرفة بأسمائه وصفاته العليا، يكون ضمان من الضمانات الشرعية من فتنة الدجال، وإلى هذا الضمان أشار ﷺ بقوله في حديث أنس رضي الله عنه: «أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»، وفي حديث عبادة رضي الله عنه: «فَإِنْ أُلْبِسَ عَلَيْكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ».

٣- الاستعاذة من فتنة المسيح الدجال، ففي حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، يقول: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَعَوَّذْ مِنْ

أَرْبَعٌ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَفِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ ثُمَّ يَدْعُو لِنَفْسِهِ بِمَا بَدَأَ لَهُ»^(١) وأمره ﷺ بالاستعاذة منه في كل صلاة دليل على عظم فتنته وأن من سبل النجاة الاستعاذة منه، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَسْتَعِيذُ فِي صَلَاتِهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ»^(٢).

٤- الفرار من الدجال وعدم ملاقاته، فإن هذا أدعى للنجاة منه؛ لعدم رؤيته والافتتان بما معه، وقد أخبر النبي ﷺ عن طائفة من الناس يهربون منه للجبال فقال: «لَيَفِرَنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَالِ فِي الْجِبَالِ».

٥- مخالفة أمره في جنته ومائه أواناره، لمن أدركه، فإن هذا من الضمانات التي أرشد إليها النبي ﷺ بقوله في حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَإِذَا أَدْرَكَ أَحَدٌ فَلَيَأْتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا وَلْيَغْمِضْ ثُمَّ لِيَطْأُطِ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ»، وفي حديث ربي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَإِذَا الَّذِي تَرَوْنَ أَنَّهُ نَارٌ مَاءٌ وَأَمَّا الَّذِي تَرَوْنَ أَنَّهُ مَاءٌ نَارٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَأَرَادَ الْمَاءَ فَلْيَشْرَبْ مِنَ الَّذِي يَرَاهُ أَنَّهُ نَارٌ فَإِنَّهُ سَيَجِدُهُ مَاءً».

٦- حفظ عشر آيات من سورة الكهف وقراءتها عليه، ففي بعض الروايات أنها أول عشر آيات من سورة الكهف، وفي بعضها أنها آخر عشر آيات من سورة الكهف، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ»، أخرجه مسلم وقال: «قَالَ شُعْبَةُ مِنْ آخِرِ الْكَهْفِ. وَقَالَ

(١) أخرجه النسائي، كتاب صفة الصلاة، باب التَّعَوُّذُ فِي الصَّلَاةِ، رقم (١٢٣٤)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن النسائي (٣/ ٤٥٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، رقم (٧١٢٩)، وأخرجه مسلم، كتاب المساجد، باب مَا يُسْتَعَاذُ مِنْهُ فِي الصَّلَاةِ، رقم (١٣٥١).

هَمَّامٌ مِنْ أَوَّلِ الْكَهْفِ»^(١).

قال النووي رحمته الله: (سبب ذلك ما في أولها من العجائب والآيات فمن تدبرها لم يفتتن بالدجال وكذا في آخرها قوله تعالى: (٢).

وتقدم في حديث النواس رضي عنه قول النبي ﷺ: «فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ».

٧- سكنى مكة أو المدينة، فقد سبق أن الدجال لا يدخل الحرمين، ففي

حديث أنس رضي عنه المتقدم، قول النبي ﷺ: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطُوهُ الدَّجَالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ وَلَيْسَ نَقَبٌ مِنْ أَنْقَابِهَا إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ تَحْرُسُهَا»، وعن أبي هريرة رضي عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «عَلَى أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ مَلَائِكَةٌ لَا يَدْخُلُهَا الطَّاغُوتُ وَلَا الدَّجَالُ»^(٣)

وعند مسلم من حديث فاطمة بنت قيس رضي عنها الطويل أن الدجال قال لتميم الداري رضي عنه: «فَلَا أَدَعُ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَبَةَ فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلَّاتًا يَصُدُّنِي عَنْهَا وَإِنْ عَلَى كُلِّ نَقَبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةٌ يَحْرُسُونَهَا»^(٤).

(١) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، رقم (١٩١٩-١٩٢٠).

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي، ٩٣/٦.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب لَا يَدْخُلُ الدَّجَالُ الْمَدِينَةَ، رقم (١٨٨٠)، وأخرجه مسلم، كتاب الحج، باب صِيَانَةِ الْمَدِينَةِ مِنْ دُخُولِ الطَّاغُوتِ وَالْدَّجَالِ إِلَيْهَا، رقم (٣٤١٦).

(٤) تقدم تخريجه، ص ١١٥.

ثالثاً: فتنة الممات:

اختلف أهل العلم في المراد بفتنة الممات على قولين:

الأول: هي ساعة العبد الأخيرة في الحياة الدنيا وهي ساعة الاحتضار، وأضيفت هذه الفتنة للممات لقربها منه، وتخصيصها بفتنة مستقلة مع أنها تدخل ضمناً في فتنة المحيا؛ لعظيم شأنها وخطورها، حيث إن الشيطان يتربص بالعبد في هذه اللحظات ليحمله على الجزع والقنوط؛ لأنها ساعة حرجة يختم بها العبد حياته وعليها مدار سعادته وشقائه فيتربص الشيطان به ليظفر بهذه الساعة.

القول الثاني: أن المراد بفتنة الممات ما يجري على الميت بعد موته من سؤال الملكين في قبره عن ربه ودينه ونبيه، وهي الفتنة والاختبار الذي عليه مدار نعيم القبر أو عذابه، وعلى هذا القول تكون فتنة الممات هي فتنة القبر.

قال ابن الجوزي رحمته الله: «(فتنة المحيا والممات) أما فتن المحيا فأكثر من أن تحصر، وأما فتنة الممات فتحتمل شيئين أحدهما: حالة الموت فإن الشيطان يفتن الآدمي حينئذ تارة بتشكيكه في خالقه وفي معاده، وتارة بالتسخط على الأقدار، وتارة بإعراضه عن التهيؤ للقدوم إلى ربه بتوبة من زلة واستدراك لهفوة، إلى غير ذلك والثاني: أنها فتنة القبر بعد الموت»^(١).

ولا يمنع أن تشمل فتنة الممات الأمرين معاً، وإن كانت لساعات الاحتضار أقرب؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قرن فتنة الممات وعذاب القبر في حديث

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي، ٩٢١/١.

واحد مما يدل على التغير، والله تعالى أعلم.

وتعوذُ النبي ﷺ من فتنة المحيا والممات، تعوذُ عام من كل فتنة حال الحياة، ويدخل في ذلك ما تقدم من فتن الشبهات والشهوات، وفتن الدين والدنيا، التي تقدم ذكرها، لكن ذكر بعض الفتن على وجه الخصوص مع هذا العام في نص واحد؛ لمزيد أهميتها، وعظم شأنها، وكذا فتنة الممات فهي مشتملة على فتنة القبر أيضاً.

قال ابن بطال رحمه الله: (فالتعوذ من فتنة المحيا والممات دعاء جامع لمعان كثيرة لا تُحصى)^(١).

قال ابن حجر رحمه الله: (واما فتنة المحيا والممات فقال بن بطال هذه كلمة جامعة لمعان كثيرة وينبغي للمرء ان يرغب إلى ربه في رفع ما نزل ودفع ما لم ينزل ويستشعر الافتقار إلى ربه في جميع ذلك وكان ﷺ يتعوذ من جميع ما ذكر دفعا عن أمته وتشريعا لهم ليبين لهم صفة المهم من الأدعية)^(٢).

قال النووي رحمه الله: (ومعنى فتنة المحيا والممات الحياة والموت واختلفوا في المراد بفتنة الموت فقل فتنة القبر وقيل يحتمل أن يراد بها الفتنة عند الاحتضار وأما الجمع بين فتنة المحيا والممات وفتنة المسيح الدجال وعذاب القبر فهو من باب ذكر الخاص بعد العام ونظائره كثيرة)^(٣).

(١) شرح صحيح البخاري، ابن بطال. ١١٨/١٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ١٧٧/١١.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي، ٨٥/٥.

وفتنة الممات من أهم ما يطلب النجاة منها، فهي خاتمة حياته، وجاءت نصوص تدل على فتنة الممات والتعوذ منها، ومن ذلك:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ». قَالَتْ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيدُ مِنَ الْمَغْرَمِ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ»^(١).

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ هَذَا الدُّعَاءَ كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ يَقُولُ: «قُولُوا اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ»^(٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَعَوَّذْ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَفِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ ثُمَّ يَدْعُو لِنَفْسِهِ بِمَا بَدَأَ لَهُ»^(٣).

فقه الفتنة ومنهج الداعية الشرعي منها:

أضعف حال تمر بالعبد في جسده وروحه حال الممات؛ لأنها حال يودّع فيها الدنيا وما فيها، وفي حال الاحتضار تُنزع منه الروح، والنزع

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام، رقم (٨٣٢)، وأخرجه مسلم، كتاب المساجد، باب مَا يُسْتَعَاذُ مِنْهُ فِي الصَّلَاةِ، رقم (١٣٥٣).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب المساجد، باب مَا يُسْتَعَاذُ مِنْهُ فِي الصَّلَاةِ، رقم (١٣٦١).

(٣) أخرجه النسائي، كتاب صفة الصلاة، باب التَّعَوُّذُ فِي الصَّلَاةِ، رقم (١٢٣٤)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن النسائي (٣/ ٤٥٤).

شديد، إذ أن سكرات الموت اشتدت على خير البرية ﷺ، عن عائشة،
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كَانَتْ تَقُولُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ غُلْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ فَجَعَلَ
 يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ وَيَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ لِلْمَوْتِ
 سَكْرَاتٍ ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ
 يَدُهُ^(١). وفي هذه الحال يحتاج العبد إلى عبادات قلبية عظيمة تحفظ عليه
 نفسه من الهلع والجزع واليأس، فيحتاج إلى الصبر، وحسن الظن بالله
 تعالى، وتغليب جانب الرجاء، ليطمئن قلبه ويخرج من الدنيا على أحسن
 حال، ذلك أن الشيطان يتخذ من هذا الموطن فرصة لإضعاف العبد،
 وتشكيكه في دينه، وقذف اليأس في قلبه، ويحمله على التسخط من
 الأقدار، وصرفه عن التوبة واللجوء إلى الله تعالى، حتى يخرج من الدنيا
 على أسوأ حال، وبهذا تقع فتنة الممات، فينبغي للداعية بيان هذه الفتنة
 وتربص الشيطان في مثل هذه الحال.

كما أنه على الداعية أن بين للمدعوين عظم هذه الفتنة، فلعظمها
 أرشد النبي ﷺ إلى التعوذ منها في آخر كل صلاة، والإرشاد النبوي للتعوذ
 من هذه الفتنة في آخر هذه الشعيرة العظيمة المتكررة على العبد في اليوم
 واللييلة، يشعر بعظم خطرهما فيما لو وقعت.

وعلى الداعية إرشاد المدعوين إلى الضمانات الشرعية من هذه الفتنة،
 ومن ذلك:

١- حرص العبد على أن تكون خاتمته حسنة، لقوله ﷺ في حديث سهل
 الطويل: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ»^(٢) وذلك بالدعاء بحسن

(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب سكرات الموت، رقم (٦٥١٠).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب القدر، باب العمل بالخواتيم، رقم (٦٦٠٧).

الخاتمة، والاجتهاد في العمل حال الحياة والصحة، فإن المستكثر من الطاعة المتمسك بالدين، القريب من الله تعالى يوفقه الله لحسن الختام بأن يختم له بعمله الصالح.

قال ابن حجر رحمته الله: (في آخر حديث أبي هريرة «وإنما الأعمال بالخواتيم» وقع في حديث أنس رضي الله عنه عند الترمذي وصححه «إذا أراد الله بعبده خيرا استعمله قيل كيف يستعمله قال يوفقه لعمل صالح ثم يقبضه عليه» وأخرجه أحمد من هذا الوجه مطولا وأوله «لا تعجبوا لعمل عامل حتى تنظروا بم يختم له» فذكر نحو حديث بن مسعود^(١).

فمن استكثر من الصالحات، وسأل الله الثبات عليها حتى الممات، ووفقه الله لحسن الختام.

قال ابن القيم رحمته الله: (يموت العبد على ما عاش عليه، ويبعث على ما مات عليه، ويعود عليه عمله بعينه فينعم به ظاهرا وباطنا)^(٢).

٢- الاستعاذة من تخبط الشيطان عند الممات، فاستعاذة العبد حال الحياة ضمان له من تخبط الشيطان ونزغاته وتخذيذه إذا حضره الموت، ففي الحديث عن أبي اليسر رضي الله عنه، قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرَدِّي، وَالْهَدْمِ وَالْغَرَقِ وَالْحَرِيقِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِرًا، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لَدِيغًا»^(٣).

(١) فتح الباري. ابن حجر، ٤٩٩/١١.

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، ابن القيم الجوزية، ص (٣٦)، ط ١، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

(٣) أخرجه النسائي في المجتبى من السنن، كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة =

٣- استحضار نعمة الخروج من الدنيا بكلمة التوحيد، فمن عاش موحدًا ومات على ذلك دخل الجنة، عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١) وَعَنْ مُعَاذِ ابْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٢) والمحتضر ساعة احتضاره يمر بكرب شديد، فهو يحتاج إلى من يذكره بكلمة التوحيد، ليموت عليها كما عاش عليها، وتكون هذه الكلمة الأصيلية الجامعة آخر ما يتزود به في هذه الحياة، ويشرع لمن حضر احتضار الميت أن يلقيه كلمة التوحيد على حال تناسبه ولا تجزعه، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقِنُوا مَوْتَكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(٣).

٤- إحسان الظن بالله تعالى من أهم ما يعصم العبد في هذه اللحظات من فتنة الممات؛ لأنه إذا أحسن الظن بربه، استقرت نفسه، وعلم أنه أقبل على خير، وقوي جانب الرجاء عنده، ففي حديث جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(٤)،

= من الترددي والهدم، رقم (٥٥٣١)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن النسائي (١٢ / ٣١).

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب مَنْ لَقِيَ اللَّهَ بِالْإِيمَانِ وَهُوَ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحَرَّمَ عَلَى النَّارِ، رقم (١٤٥).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الجنائز، باب فِي التَّلْقِينِ، رقم (٣١١٨)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٧ / ١١٦).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب تَلْقِينِ الْمَوْتَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، رقم (٢١٦٤).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الْأَمْرِ بِحُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى عِنْدَ الْمَوْتِ، رقم (٧٤١٢).

وإذا أحسن العبد الظن بربه نال ما يأمله ويرجوه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي»^(١).

قال النووي رحمه الله: (قوله عز وجل «أنا عند ظن عبدي بي» قال القاضي قيل معناه بالغفران له إذا استغفر والقبول إذا تاب والإجابة إذا دعا والكفاية إذا طلب الكفاية وقيل المراد به الرجاء وتأميل العفو وهذا أصح)^(٢).

وقال: (قوله سبحانه وتعالى: «أنا عند ظن عبدي بي» قال العلماء معنى حسن الظن بالله تعالى أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه قالوا وفي حالة الصحة يكون خائفاً راجياً ويكونان سواء وقيل يكون الخوف أرجح فإذا دنت أمارات الموت غلب الرجاء أو محضه)^(٣).

٥- تَذَكُّرُ الْمُحْتَضِرِ الْمُؤْمِنِ الْبَشَارَةَ بِالرَّحْمَةِ وَالرِّضْوَانِ وَالْكَرَامَةِ وَالْجَنَّةِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى، عِنْدَهَا سَيَحِبُّ لِقَاءَ اللَّهِ تَعَالَى فَيَحِبُّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، عِبَادَةُ بَنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ، قَالَ: «لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ، وَكَرَامَتِهِ» (وفي رواية لمسلم: بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ) فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ؛ فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حَضَرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ، وَعُقُوبَتِهِ

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَيَعِزُّكُمْ اللَّهُ نَفْسَكُمْ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٢٨]، رقم (٧٤٠٥)، وأخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب الْحَثِّ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، رقم (٦٩٨١)

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي، ٢/١٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي، ٢١٠/١٧.

فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ ؛ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»^(١).

٦- من الضمانات الشرعية أيضاً، أن يُذَكَّرَ المحتضر بمحاسن عمله ليقوى قلبه بذلك، ويزداد إقباله على الله تعالى، وقد ورد عن جملة من السلف من الصحابة والتابعين فعل ذلك مع المحتضرين، ومن ذلك، ما رواه البخاري عن الْمُسَوَّرِ بْنِ مَخْرَمَةَ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا طُعِنَ عُمَرُ رضي الله عنه جَعَلَ يَأْلَمُ فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَيْتَ كَانَ ذَاكَ لَقَدْ صَحِبْتَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُ ثُمَّ فَارَقْتَهُ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ ثُمَّ صَحِبْتَ أَبَا بَكْرٍ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُ ثُمَّ فَارَقْتَهُ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ ثُمَّ صَحِبْتَ صَحْبَتَهُمْ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُمْ وَلَيْتَ فَارَقْتَهُمْ لَتَفَارِقَنَّهُمْ وَهُمْ عَنْكَ رَاضُونَ... الحديث^(٢).

وفي صحيح مسلم، عَنْ ابْنِ شِمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ قَالَ حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ رضي الله عنه وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ. فَبَكَى طَوِيلًا وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ يَا أَبَتَاهُ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِكَذَا أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِكَذَا قَالَ فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ. فَقَالَ إِنَّ أَفْضَلَ مَا نَعُدُّ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ.. الحديث^(٣)، فينبغي ذكر محاسن المحتضر، ليخرج من الدنيا بقلب يحب لقاء ربه، ويتنظر كرمه وفضله.

-
- (١) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، رقم (٦٥٠٧)، وأخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ، رقم (٦٩٩٨).
- (٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مَنَاقِبُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَبِي حَفْصٍ الْقُرَشِيِّ الْعَدَوِيِّ رضي الله عنه رقم (٣٦٩٢).
- (٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب كَوْنِ الْإِسْلَامِ يَهْدِمُ مَا قَبْلَهُ وَكَذَا الْهَجْرَةُ وَالْحُجُّ، رقم (٣٣٦).

رابعاً: فتنة القبر:

وفتنة القبر هي: سؤال الملكين العبد ثلاثة أسئلة: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ وهي الأصول التي عليها حياة المسلم ودينه، والثبات والنجاة من هذه الفتنة لأهل الإيمان، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وفي حديث البراء رضي الله عنه مرفوعاً: «فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيَجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ...» الحديث^(١)، فمن نجا من تلك الفتنة نجا من عذاب القبر.

قال ابن الأثير رحمته الله: «(وَأَنْكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ) يُرِيدُ مَسْأَلَةَ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ، مِنَ الْفِتْنَةِ: الْامْتِحَانِ وَالْإِخْتِبَارِ.

وقد كثرت استِعاذته من فتنة القبر، وفتنة الدَّجَالِ، وفتنة المحيا والممات، وغير ذلك.

ومنه الحديث: «فَبِئْسَ تُفْتَنُونَ وَعَنِّي تُسْأَلُونَ»؛ أي: تُمْتَحَنُونَ بي في

(١) جزء من حديث سيأتي بطوله، أخرجه الإمام أحمد في مسنده وغيره، مسند البراء بن عازب، ٢٨٧/٤، رقم (١٨٥٥٧)، انظر تخريج الشيخ الألباني للحديث في أحكام الجنائز ص (١٥٩)، وفي تخريجه قال: (قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي، وهو كما قال، وصححه ابن القيم في إعلام الموقعين ١ / ٢١٤)، تهذيب السنن (٤ / ٣٣٧)، ونقل فيه تصحيحه عن أبي نعيم وغيره) أحكام الجنائز، محمد ناصر الدين الألباني، ط ٤، المكتب الإسلامي، لبنان، بيروت، ١٤٠٦/١٩٨٦ م.

قبوركم وَيُتَعَرَّفَ إيمانكم بنبوتي^(١).

وفتنة القبر فتنة أخروية فهي أول منازل الآخرة، وحياة البرزخ حياة حتمية على كل عبد، فهو مدرك هذه الحياة لا محالة، وهي المرحلة الفاصلة بين أيام الدنيا ويوم القيامة، وفي أول أيام القبر فتنته التي ينجو منها أهل الثبات، ويزيغ فيها أهل الزيغ والكفر والفجور.

ولقد وردت أحاديث كثيرة في فتنة القبر - مع ما تقدم من نصوص في فتنة الممات - أشهرها حديث البراء بن عازب رضي الله عنه الطويل - وسيأتي - ومما ورد:

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يُشَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾» [إبراهيم: ٢٧]^(٢)

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها في حديث صلاة الكسوف، وفيه: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وإِنَّهُ قَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ...»^(٣).

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَدْعُو بِهِؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ «اللَّهُمَّ فَإِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ شَرِّ

(١) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، مادة (فتن)، ص (٦٩١).

(٢) سورة إبراهيم، آية: ٢٧، والحديث أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿يُشَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾، رقم (٤٦٩٩).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب مَنْ لَمْ يَتَوَضَّأْ إِلَّا مِنَ الْعُشِيِّ الْمُثْقَلِ، رقم (١٨٤)، وأخرجه مسلم، كتاب الكسوف، باب مَا عُرِضَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي صَلَاةِ الْكُسُوفِ مِنْ أَمْرِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، رقم (٢١٤١).

فِتْنَةُ الْغَنَى وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ»^(١).

عن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدِي امْرَأَةٌ مِنَ الْيَهُودِ وَهِيَ تَقُولُ هَلْ شَعَرْتَ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ قَالَتْ فَارْتَأَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: «إِنَّمَا تُفْتَنُ يَهُودٌ». قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها فَلَبِثْنَا لِيَالِي ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «هَلْ شَعَرْتَ أَنَّهُ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ». قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدُ يَسْتَعِيدُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ^(٢).

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فِي جِنَازَةٍ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُثُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ^(٣) مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَحْيِي مَلِكُ الْمَوْتِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ (وفي رواية: «المطمئنة»)، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ. قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا (وفي رواية: حتى إذا خرجت روحه صلى الله عليه كل ملك بين

(١) تقدم تخريجه ص ٥٢.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب، باب اسْتِحْبَابِ التَّعَوُّذِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، رقم (١٣٤٧)، وأخرجه النسائي، كتاب الجنائز، التعوذ من عذاب القبر، رقم (٢٠٦٤).

(٣) قال ابن الأثير: (الحنوط والحناط واحد: وهو ما يُخلط من الطيب لأكفان الموتى وأجسامهم خاصة) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، مادة (حنط)، ص (٢٣٧).

السما والارض، وكل ملك في السماء، وفتحت له أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يعرج بروحه من قبلهم)، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةً عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطِيبٍ نَفْحَةٍ مَسْكٍ وَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ قَالَ: فَيَضَعُدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ، يَعْنِي بِهَا، عَلَى مَالٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتَحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عَلِّيْنِ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى. قَالَ: فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ (وفي رواية: شديدا الانتهار) ف (ينتهرانه)، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ، فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيَنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ. قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّةَ بَصَرِهِ. قَالَ: وَيَأْتِيهِ (وفي رواية: «يمثل له») رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبَشِّرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ (وفي رواية: «ابشر برضوان من الله، وجنات فيها نعيم مقيم»)، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهَكَ الْوَجْهُ يَحْيَى بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحِ (وفي رواية: «فوالله ما علمتك إلا كنت سريعا في إطاعة الله، بطيئا في معصية الله،

فجزاك الله خيراً» (وفي رواية: «ثم يفتح له باب من الجنة، وباب من النار، فيقال: هذا منزل لك لو عصيت، الله، أبد لك الله به هذا فإذا رأى ما في الجنة»)، فيقول: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي، وَمَالِي.

قَالَ: وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ (وفي رواية: «الفاجر») إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعِ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالِ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ (وفي رواية: «غلاظ شداد»)، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ (وفي رواية: «من النار»)، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَحْيِي مَلِكَ الْمَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، أَخْرِجِي إِلَى سَخِطِ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبِ. قَالَ: فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُودُ^(١) مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ (وفي رواية: «فتقطع معها العروق والعصب»)، (وفي رواية: «فيلعنه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء وتغلق أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله ألا تعرج روحه من قبلهم»)، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةً عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنَّ رِيحَ جَيْفَةٍ وَجَدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سَجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتَطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا. ثُمَّ قَرَأَ: فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ (وفي رواية: «فإنه ليسمع خفق نعال أصحابه إذا ولو عنه»)، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ (وفي رواية:

(١) «(السفود) عود من حديد ينظم فيه اللحم ليشوى» المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية، مادة (سفد)، ٤٣٢/١.

«شديداً الانتهار، فينتهرانه»، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسُمُومِهَا، وَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ (وفي رواية: «ويمثل له») رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتَنِ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبَشِّرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعِدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَحْيِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ (وفي رواية: فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا كُنْتُ بَطِيئًا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، سَرِيعًا إِلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ)، (وفي رواية: «فجزاك الله شراً، ثم يقيض له أعمى أصم أبكم في يده مرزبة! لو ضرب بها جبل كان تراباً، فيضربه ضربة حتى يصير بها تراباً، ثم يعيده الله كما كان، فيضربه ضربة أخرى، فيصيح صيحة يسمعه كل شيء إلا الثقلين، ثم يفتح له باب من النار، يمهد من فرش النار»)، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ^(١).

فقه الفتنة ومنهج الداعية الشرعي منها:

الحياة البرزخية، حياة أخروية منها يعرف العبد مصيره، وحاله، فالنعيم المقيم لمن نجا من فتنة القبر وثبت عند السؤال، وجاءت النصوص دالة على هذه الفتنة، ومفرقة بين حال المؤمن ومصيره وبين حال الكافر والفاجر ومصيره، كما في حديث البراء الطويل وغيره. والداعية إلى الله تعالى، ينبغي أن يكون أكثر الناس استعداداً لفتنة

(١) تقدم تخريجه، ص ١٣٣.

القبر، ويعمل لذلك اليوم الأعمال الصالحة من علم وعمل ودعوة، فيكون قدوة يحتذى ويُحتذى من خلاله بالهدي المحمدي الذي معه.

كما أنه على الداعية أن يبين للمدعوين عظم هذه الفتنة، فلعلها كان النبي ﷺ يتعوذ منها، كما في حديث عائشة رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو بِهِؤَلَاءِ الدَّعَوَاتِ «اللَّهُمَّ فَإِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ...»^(١).

وعلى الداعية أن يذكر المدعوين أن فتنة القبر أول منازل الآخرة، وهي المعيار الأولي للنجاة مما بعدها من الحساب والعذاب، فمن استعد لها بالعمل الصالح وابتعد عن معصية الله تعالى استحق النجاة منها ومما بعدها، عَنْ هَانِيٍّ، مَوْلَى عُثْمَانَ، قَالَ: كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ رضي الله عنه إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرِ يَبْكِي حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: تَذْكُرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَلَا تَبْكِي، وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ» قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ»^(٢).

وعلى الداعية إرشاد المدعوين إلى الضمانات الشرعية من هذه الفتنة، ومن ذلك:

١- اللجوء إلى الله تعالى والاستعاذة به من فتنة القبر، فمن أعاده الله

(١) تقدم تخريجه ص ٥٢.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الزهد، رقم (٢٣٠٨)، وأخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد، بابُ ذِكْرِ الْقَبْرِ وَالْبَلَى، رقم (٤٢٦٧)، والحديث حسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٩/ ٢٦٧).

وقاه، وتقدم حديث عائشة رضي الله عنها وفيه أن النبي ﷺ كان يتعوذ من فتنة القبر.

٢- الاجتهاد بدعاء الله تعالى الثبات عند السؤال، فإن هذا من الضمانات الشرعية من هذه الفتنة، فمن ثبته الله تعالى نجا، عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «المُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾» [إبراهيم: ٢٧] (١).

٣- الاجتهاد بالأعمال الصالحة في الحياة الدنيا، والتمسك بالدين حتى يموت العبد على الإيمان، فإن العبد إذا قبض على الإيمان ثبته الله تعالى في فتنة القبر عند السؤال، لحديث البراء رضي الله عنه السابق وفيه سؤال الملكين للمؤمن: «... فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ...» الحديث (٢).

٤- الاستشهاد في سبيل الله تعالى، فلقد ضمن الله تعالى لمن استشهد في أرض المعركة أن يأمن من فتنة القبر، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: «يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ؟ قَالَ: «كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً» (٣).

(١) تقدم تخريجه ص ١٤١.

(٢) تقدم تخريجه ص ١٤٠.

(٣) أخرجه النسائي في المجتبى من السنن، كتاب، باب الشهيد، رقم (٢٠٥٣)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن النسائي (١٩٧ / ٥).

٥- الرباط في سبيل الله تعالى، عَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ وَأُجِرَى عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفِتْنَانُ»^(١).



(١) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرباط في سبيل الله عز وجل، رقم (٥٠٤٧).

الفصل الثاني

الواجبات والضوابط الشرعية لمنهج الداعية عند الفتن

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: الواجبات الشرعية لمنهج الداعية عند الفتن.
- المبحث الثاني: الضوابط الشرعية لمنهج الداعية عند الفتن.

المبحث الأول

الواجبات الشرعية لمنهج الداعية عند الفتن

من شأن الفتن إذا وقعت أن تتشابه الأمور ويكثر الخلط، وتزيغ الأفهام والعقول، عندها يحتاج العبد إلى هدي نبوي ومنهج شرعي يسير فيه، لئلا يقع في شِرَاك الفتنة، ومتى التزم المسلم الواجبات المناطة بالمنهج الشرعي حيال الفتنة الواقعة، أدّى ما عليه، واستحق النجاة؛ لالتزامه وتمسكه بالكتاب والسنة، ذلك أن الاعتصام بالوحي، هو الحبل المتين، والمنهج القويم، الذي لا يزيغ عنه إلا هالك، قال نبينا ﷺ: «.. وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ...» الحديث^(١).

قال الشاطبي رحمه الله: (إلى أن منّ عليّ الرب الكريم الرؤوف الرحيم فشرح لي من معاني الشريعة ما لم يكن في حسابي وألقى في نفسي القاصرة أن كتاب الله وسنة نبيه لم يتركاً في سبيل الهداية لقائل ما يقول ولا أبقيا لغيرهما مجالا يعتد فيه وإن الدين قد كمل والسعادة الكبرى فيما وضع والطلبة فيما شرع وما سوى ذلك فضلال وبهتان وإفك وخسران)^(٢).

فمن تمسك بشرع الله تعالى وما أوجبه حال الفتن، نجا منها، فلا عاصم إلا الله تعالى، ولا نجاة من الفتنة إلا إذا التزم العبد ما أمره به الله تعالى.

(١) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، رقم (٣٠٠٩) أخرأ.

(٢) الاعتصام، أبو إسحاق الشاطبي، ١/٢٥، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: (فلا تزول الفتنة عن القلب إلا إذا كان دين العبد كله لله عز و جل ، فيكون حبه لله ولما يحبه الله ، وبغضه لله ولما يبغضه الله ، وكذلك مولاته ومعاداته)^(١).

ولكمال الشريعة فإنها لم تدع خيراً في الحياة إلا دلت عليه أو على مضمونه، ولا شراً إلا حذرت منه أو مضمونه، ومن ذلك الفتنة المحيطة بالعبد، فلقد جاءت الشريعة ببيان ما يجب على المسلم تجاهها، وهذه الواجبات منها ما هو واجب عيني، يلزم كل مسلم الإتيان به حال الفتنة، داعية ومدعواً، وللداعية في هذا مقام القدوة في المبادرة لهذا الواجب.

ومنها ما هو واجب كفائي، إذا قام به من يكفي سقط عن بقية الأمة، وهو الواجب الكفائي الذي يلزم الدعاة بذل الوسع والجهد فيه، إذ أنه يحتاج فيه من يحمل ميراث الأنبياء وطريقهم للعامة.

وفي هذا المبحث مطلبان:

المطلب الأول: الواجبات العينية المتعلقة بمنهج الداعية عند الفتن.

المطلب الثاني: الواجبات الكفائية المتعلقة بمنهج الداعية عند الفتن.

(١) الزهد والورع والعبادة، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، تحقيق: حماد سلامة، محمد عويضة، ص (٣٩)، ط ١، مكتبة المنار، الأردن.

□ المطلب الأول □

الواجبات العينية المتعلقة بمنهج الداعية عند الفتن

١- استشعار أزمة الفتنة:

إذا نزلت الفتنة بالمسلمين، وشاع خبرها في أوساط المجتمع، كان لزاماً على المجتمع لتوقي الفتنة أن يتخذوا لها سبل الوقاية، ولن يسعى مجتمع ما لذلك حتى يستشعر أزمة الفتنة النازلة.

والمسلمون درجات في استشعار الفتنة وخطورتها، كل بحسب خوفه على دينه وأمته، وبحسب ما يحمل من همٍّ وعزيمة، وثمة طائفة من المسلمين تحيط بهم الفتنة ولا يستشعرون، وربما افتن الواحد منهم وضعف في دينه ودخلته الشهوة أو الشبهة، وانغمس فيها، دون السعي في الضمانات الشرعية الواقية من الفتنة، ذلك لأنه لم يستشعر أزمة الفتنة، وبُعد تأثيرها، وأثرها.

ولقد كان النبي ﷺ، كثيراً ما يذكر الفتن ويضع الصحابة رضي الله عنهم في الحدث ليستشعروا عظمتهم وخطورته فيما لو حلّ، ولربما كانت الفتنة بعيدة الوقوع، لكنّ استشعار الصحابة رضي الله عنهم خطورة الفتنة جعلهم يراجعون النبي ﷺ فيها حتى يجليها؛ لئلا يبقى بعد وقوعها أي ضمان شرعي إلا وقد عرفوه، كل ذلك استشعاراً لخطورة الأزمة النازلة، ولعظيم أثرها في قلوبهم، روى مسلم في صحيحه حديث أبي بكره رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنٌ أَلَا تُمْ تَكُونُ فِتْنَةُ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي فِيهَا وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا أَلَا فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ فَمَنْ كَانَ لَهُ

إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ». قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلَا غَنَمٌ وَلَا أَرْضٌ قَالَ «يَعْمِدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ ثُمَّ لَيَنْجُ إِنْ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ». قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ أُكْرِهْتُ حَتَّى يُنْطَلَقَ بِي إِلَى أَحَدِ الصَّفَيْنِ أَوْ إِحْدَى الْفِتْنَتَيْنِ فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ أَوْ يَجِيءُ سَهْمٌ فَيَقْتُلَنِي قَالَ «يَبُوءُ بِإِيْمِهِ وَإِيْمِكَ وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»^(١).

وَعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه قَالَ ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الدَّجَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَضَ فِيهِ وَرَفَعَ حَتَّى ظَنَّنَاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ». قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتَ الدَّجَالَ غَدَاةً فَخَفَضْتَ فِيهِ وَرَفَعْتَ حَتَّى ظَنَّنَاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ. فَقَالَ: «غَيْرُ الدَّجَالِ أَحَوْفُنِي عَلَيْكُمْ إِنْ يَخْرُجَ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَاجِبُهُ... الحديث وفيه... قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لَبَنُهُ فِي الْأَرْضِ قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا يَوْمًا كَسَنَةٍ وَيَوْمٌ كَشْهَرٍ وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ». قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ قَالَ «لَا أَفَدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ». قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ قَالَ: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَحْيِبُونَ لَهُ فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ وَالْأَرْضَ فَتَنْبُتُ...» الحديث^(٢).

والنصوص في استشعار الصحابة رضي الله عنهم لأزمة الفتنة كثيرة، وهذا ظاهر من تحركهم وتأثرهم وسؤالهم عن الفتنة وأبعادها وضماناتها الشرعية،

(١) تقدم تخريجه ص ٦.

(٢) تقدم تخريجه ص ١٢٢.

لأن من استشعر الأزمة سأل عن الحلول والمخارج منها وهذا ما حدث معهم رضي الله عنهم.

وإذا كان استشعار الأزمة، أمراً لازماً لكل من أراد النجاء منها، لينطلق إلى سبل الوقاية، فإن الداعية أكد في إدارك أبعاد الفتنة، ونشأتها وتأثيرها؛ لأنه القدوة في حمل همّ الدين والأمة، فإذا نزلت الفتنة حمله استشعاره لها، لمعرفة أسباب وقوعها وكيفية الخروج منها.

وعلى الداعية أن يحذر من كل ما يحول دون استشعار الأزمة لغفلة لزمّت قلبه فأماتته، حتى تظل الأزمة تعصف به وبأتمته ولم يحرك ساكناً، فلا انتهى ولا نهى عن منكر، ولا أمر بمعروف، فالركون للدنيا والغرور بما فيها من النعيم الزائل، والانشغال بالمأكل والوظيفة الدنيوية عن الوظيفة الأخروية وظيفه الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - أثناء الفتنة كل ذلك علامة على عدم استشعار الفتنة النازلة، ومن كان هذا شأنه فليحذر من الفتنة والعقوبة على التفريط فيها، حينما يرى الفتنة تعصف به وبأتمته ولا يحرك ساكناً.

قال ابن القيم رحمه الله: (وقد غرّ إبليس أكثر الخلق، بأن حسن لهم القيام بنوع من الذكر والقراءة والصلاة والصيام والزهد في الدنيا والانقطاع، وعظّلوا هذه العبوديات، فلم يحدثوا قلوبهم بالقيام بها، وهؤلاء عند ورثة الأنبياء من أقلّ الناس ديناً، فإن الدين هو القيام لله بما أمر به، فتارك حقوق الله التي تجب عليه أسوأ حالاً عند الله ورسوله من مرتكب المعاصي، فإن ترك الأمر أعظم من ارتكاب النهي من أكثر من ثلاثين وجهاً ذكرها شيخنا رحمه الله في بعض تصانيفه، ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم وبما كان عليه هو وأصحابه، رأى أن أكثر من يشار إليهم

بالدين هم أقل الناس ديناً والله المستعان، وأي دين وأي خير فيمن يرى محارم الله تنتهك وحدوده تضاع ودينه يترك وسنة رسول الله ﷺ يرغب عنها وهو بارد القلب، ساكت اللسان شيطان أخرس، كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق، وهل بليّة الدين إلا من هؤلاء الذين إذا سلمت لهم مآكلهم ورياساتهم فلا مبالاة بما جرى على الدين، وخيارهم المتحزن المتلمظ، ولو نوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله بذل وتبذّل، وجدّ واجتهد، واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وسعه، وهؤلاء مع سقوطهم من عين الله ومقت الله لهم، قد بلوا في الدنيا بأعظم بليّة تكون وهم لا يشعرون، وهو موت القلوب، فإن القلب كلما كانت حياته أتم كان غضبه لله ورسوله أقوى وانتصاره للدين أكمل.

وقد ذكر الإمام أحمد وغيره أثراً أن الله سبحانه أوحى إلى ملك من الملائكة أن اخسف بقريّة كذا وكذا، فقال: يا رب كيف وفيهم فلان العابد، فقال: به فابدأ فإنه لم يتمعر وجهه في يوم قط.

وذكر أبو عمر في كتاب التمهيد، أن الله سبحانه أوحى إلى نبي من أنبيائه أن قل لفلان الزاهد: أما زهدك في الدنيا فقد تعجّلت به الراحة، وأما انقطاعك إليّ فقد اكتسبت به العز، ولكن ماذا عملت فيما لي عليك؟ فقال: يا رب وأي شيء لك عليّ؟ قال: هل واليت فيّ وليّاً أو عاديت فيّ عدواً؟^(١).

وما ذكره ابن القيم رحمه الله: هو نتيجة عدم استشعار، العبد المؤمن لاسيما الداعية لما أَلَمَّ بالمجتمع من فتن تستوجب حق الأمر بالمعروف

(١) إعلام الموقعين، ابن القيم، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، ١٧٦/٢-١٧٧.

والنهي عن المنكر، فكيف يقوم بهذه الشعيرة من لم يستشعر ما نزل به؟ وعليه فإن استشعار النازلة بداية العمل على سبل الوقاية من الفتن، وإنزالها منزلها الحقيقي، والعمل على توقيها، فلا استشعار بوابة الواجبات العينية للداعية عند نزول الفتنة؛ لأنه إذا استشعر النازلة جاء بما يلزمها من واجبات أخرى وعرف الضمانات الشرعية لها.

٢- اللجوء إلى الله بالدعاء والتعوذ به من الفتن:

كل فتنة لها من الوحشة والظلمة وسوء السبيل والعاقبة بحسب حجمها وتعرض صاحبها لها، فمن التجأ إلى الله تعالى أذهب الله عنه كل وحشة، وجعل في قلبه من اليقين والثبات على الحق والمنهج القويم ما يمكنه أن يتجاوز الفتنة بقلب المؤمن المطمئن، وهذا هو حال الأنبياء حال الكرب والشدة والفتنة، فهذا نبي الله يوسف عليه السلام في فتنة امرأة العزيز يلتجئ إلى الله تعالى بقوله: ﴿وَالَا نَصْرَ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْنَ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣]، وقال سبحانه في شأن موسى عليه السلام وقومه حين خشوا على أنفسهم الفتنة: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمُ إِن كُنتُمْ ءَامِنُونَ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [٨٤] فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَحْنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [يونس: ٨٤-٨٦]، ونبينا محمد ﷺ في وقعة بدر حين خشي أن تكون هزيمة المسلمين فتنة تصدُّ بعض من معه عن عبادة الله تعالى فدعا الله تعالى، ففي صحيح مسلم عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا فَاسْتَقْبَلَ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ إِنَّ تَهْلِكَ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدُ فِي

الْأَرْضِ». فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَا دَامَ يَدِيهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ التَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ. وَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَذَاكَ مُنَاشِدَتُكَ رَبِّكَ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبْ لَكُمْ أَنِّي مُبِدِّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾ [الأنفال: ٩] فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ.. الحديث^(١)، ونصوص لجوء الأنبياء لله تعالى وتعوذهم من الفتن كثيرة، ومن ذلك أيضاً تعوذ النبي ﷺ من بعض الفتن، كقوله ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ تُرَدَّنِي إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْقَبْرِ»^(٢)، وقوله: «اللَّهُمَّ فَإِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ»^(٣)، وقوله: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَعَوَّذْ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَفِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ ثُمَّ يَدْعُو لِنَفْسِهِ بِمَا بَدَأَ لَهُ»^(٤)، وقوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ»^(٥)، وفي حديث زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمر النبي ﷺ بالتعوذ من الفتن عامة الظاهرة منها والباطنة فقال لهم: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة

الغنائم، رقم (٤٦٨٧).

(٢) تقدم تخريجه ص ٤٢.

(٣) تقدم تخريجه ص ٥٢.

(٤) تقدم تخريجه ص ١٣٠.

(٥) تقدم تخريجه ص ١٣٤.

مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ». قَالُوا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ». قَالُوا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ^(١).

والمقصود من النصوص السابقة وغيرها، أن يعلم الداعية أهمية صدق اللجوء إلى الله تعالى حال الفتن، وفضل العبادة زمن الفتن - كما سيأتي بيانه - ويحث الناس على ذلك، ويؤكد هذا الحبل الوثيق في حياتهم لاسيما وقت الفتن، فاللجوء بالدعاء والاستعاذة بالله تعالى والتعبد له سلاح المؤمن وجنة المتقي، ومهما بلغ العبد من العلم والعمل فهو ضعيف أمام الفتنة إن لم يتولاه الله تعالى، فكان لازماً للنجاة من الفتن أن يلوذ بمصرف القلوب والأبصار.

ثم إذا كان ما سبق هو لوذ الأنبياء بالله تعالى عند الفتن، فكيف بغيرهم؟ فمن توفيق الله تعالى للعبد أن يلهمه قوة الصلة به والتعبد والتضرع والإنابة إليه، لاسيما عند اختلاط الأمور، وتفشي الفتنة، واضطراب الناس، والتباس الحق، فلا هادي لما اختلف فيه من الحق إلا الله تعالى.

٣- الإمساك عما ليس له به علم:

إن القول بلا علم وحكمة ونظر ثاقب تنكّب عن المنهج القويم، وطريق للوقوع في الفتنة، أو معالجتها بطريق خاطئ، ولئن كان ذلك ممقوتاً في مسائل الناس الدنيوية، فهو أشد مقتاً في مسائل الدين، وفي الفتن أعظم لضيق الحال والزمان، وتسارع المفسدة حال الفتنة.

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عَرْضِ مَقْعَدِ الْمُيْتِ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ عَلَيْهِ وَإِثْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالتَّعَوُّذِ مِنْهُ، رقم (٧٣٩٢).

وإذا كان من الحكمة ألا يحدث المرء بكل ما سمع؛ لئلا يقع في ميزان مختل لقوله ﷺ: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»^(١) فهو في الإمساك عما لا يعلم أولى، ولا سيما في وقت الفتن التي ليس من الحكمة أن يبدي الإنسان رأيه في كل ما يعلم، فكيف بما لا يعلم؟

ولقد توعد الله تعالى من قال بما لا يعلم فقال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

قال السعدي رحمه الله: (أي: ولا تتبع ما ليس لك به علم، بل تثبت في كل ما تقوله وتفعله، فلا تظن ذلك يذهب لا لك ولا عليك، ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ فحقيق بالعبد الذي يعرف أنه مسئول عما قاله وفعله)^(٢).

وقال السعدي رحمه الله: أيضاً في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣] فيدخل في ذلك، القول على الله بلا علم، في شرعه، وقدره... ومن قال: إن الله أحل كذا، أو حرم كذا، أو أمر بكذا، أو نهى عن كذا، بغير بصيرة، فقد قال على الله بلا علم، ومن قال: الله خلق هذا الصنف من المخلوقات، لليلة الفلانية بلا برهان له بذلك، فقد قال على الله بلا علم، ومن أعظم القول على الله بلا علم، أن يتأول المتأول كلامه، أو كلام رسوله، على معان اصطلاح عليها طائفة من طوائف الضلال، ثم يقول: إن الله أرادها، فالحقول على الله بلا

(١) أخرجه مسلم في مقدمته، باب النّهي عن الحديث بكُلِّ ما سمع، رقم (٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، تحقيق: د. عبد الرحمن ابن معلا اللويحق، ص (٤٥٧).

علم، من أكبر المحرمات، وأشملها، وأكبر طرق الشيطان التي يدعو إليها، فهذه طرق الشيطان التي يدعو إليها هو وجنوده، ويبدلون مكرهم وخداعهم، على إغواء الخلق بما يقدرُونَ عليه^(١).

والإمساك عما لا يعلمه العبد من واجبات المنهج القويم عند الفتن، للأدلة السابقة، ولما في القول بغير علم من مفسد أهونها تصوير المخرج من الفتنة تصويراً باطلاً لأنه مبني على قول باطل، ولربما أدّى هذا القول الباطل إلى تفاقم الفتنة، وتضاعف الجهود لإصلاح ما بُني على الخطأ، وأصبح صاحبه سبباً في تشعيب الفتنة، واتساع الصدع، وأشغل المجتمع بما هم في غنى عنه.

والداعية إلى الله تعالى لهذا الأمر أشد حاجة، لاسيما والناس يرجعون إليه في قطره الذي هو فيه، ولربما حمله ذلك على أن يقول بالحدس والظن الذي يظنه، فليحذر الداعية من ذلك وليعلم أن الكلام في الشرع عموماً والفتن على وجه الخصوص لا يسعف معه حدس بل ربما يهلك ويضل.

فعلى الداعية أن يمسك عما لا يعلم، لاسيما مع الأمور العظام التي يحتاج فيها الأمر ليس إلى علم اليقين فقط بل إلى عين اليقين، وليعلم الداعية أن قول (لا أعلم) هي بحد ذاتها علم، وأن هذا نهج السلف الصالح رحمهم الله تعالى، وهو المنهج الشرعي عند جهل أمر ما، عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ بَيْنَمَا رَجُلٌ يُحَدِّثُ فِي كِنْدَةٍ فَقَالَ يَجِيءُ دُخَانٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَأْخُذُ بِأَسْمَاعِ الْمُنَافِقِينَ وَأَبْصَارِهِمْ يَأْخُذُ الْمُؤْمِنِينَ كَهَيْئَةِ الزُّكَّامِ فَفَزَعْنَا فَأَتَيْتُ

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، تحقيق: د. عبد الرحمن ابن معلا اللويحق، ص ٨٠.

ابن مسعود، وَكَانَ مُتَكِبًّا فَغَضِبَ فَجَلَسَ فَقَالَ مَنْ عَلِمَ فَلْيَقُلْ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ فَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ لَا أَعْلَمُ... الحديث^(١)، والأخبار في إمساكهم عما لا يعلمون كثيرة.

قال المناوي رحمته الله: (على العالم إذا سئل عما لا يعلمه أن يقول لا أدري، أو لا أحققه، أو لا أعلمه، أو الله أعلم، وقول المسؤول لا أعلم لا يضع من قدره كما يظنه بعض الجهلة؛ لأن العالم المتمكن لا يضر جهله ببعض المسائل، بل يرفعه قوله لا أدري؛ لأنه دليل على عظيم محله، وقوة دينه، وتقوى ربه، وطهارة قلبه، وكمال معرفته، وحسن نيته، وإنما يأنف من ذلك من ضعف ديانته، وقلت معرفته؛ لأنه يخاف من سقوطه من أعين الحاضرين، ولا يخاف من سقوطه من نظر رب العالمين، وهذه جهالة ورقة دين، ومن ثم نقل (لا أدري) و(لا أعلم) عن الأئمة الأربعة والخلفاء الأربعة، بل عن المصطفى صلوات الله عليه وجبريل عليهما السلام، كما مر في حديث (خير البقاع المساجد) وفي مسند الدارمي موصولا من عدة طرق أن عليا كرم الله وجهه سئل عن مسألة فقال: (لا علم لي بها) ثم قال: (وأبردها على كبدي، سئلت عما لا علم لي به، فقلت: لا أعلم) وفيه: أن رجلا سأل ابن عمر عن مسألة فقال: (لا علم لي بها) فولى الرجل فقال ابن عمر: (نعم ما قال ابن عمر) وأخرج أبوداود في النسخ والمنسوخ وابن مردويه عن خالد بن أسلم: خرجنا نمشي مع ابن عمر فلحقنا أعرابي فسأله عن إرث العمة فقال: (لا أدري) قال: أنت ابن عمر ولا تدري! قال: (نعم اذهب إلى العلماء) فلما أدبر

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾، رقم (٤٧٧٤).

قَبْلَ ابن عمر يديه وقال: (نعم ما قلت)، وأخرج البخاري عن ابن مسعود (من علم شيئاً فليقل به، ومن لم يعلم فليقل الله أعلم، فإن من علم الرجل أن يقول لما لا يعلم الله أعلم)، ورواه الدارمي بلفظ (إذا سئل العالم عما لا يعلم قال: الله أعلم)، وأخرج الهروي عن ابن مسعود (إذا سئل أحدكم عما لا يدري، فليقل: لا أدري، فإنه ثلث العلم)، وأخرج الحازمي في سلسلة الذهب عن أحمد عن الشافعي عن مالك عن ابن عجلان: إذا أخطأ العالم لا أدري أصيب في مقاتله، والأخبار والآثار في هذا كثيرة، وإنما أطلت بإيراد هذه النبذة؛ لما تطابق عليه فقهاء زماننا من التحاشي عن ذلك، والمبادرة إلى الجواب باللسان والقلم كيف كان^(١).

وبعدما يمسك الداعية عما لا يعلم، فعليه أن يتزوّد من العلم بالرجوع إلى العلماء الربانيّين حال الفتنة كما سيأتي.

٤- لزوم العلماء الربانيين واتباعهم:

السير على منهاج النبوة، ونور الحق يحتاج إلى علم يرفع الجهل، ويهدي الحائر في دروب الاختلاط إلى الهدى الشرعي والمنهج القويم، وإذا كان طلب العلم الشرعي من الواجبات الكفائية -كما سيأتي- فإن لزوم العلماء الربانيين من الواجبات العينية التي ينبغي على كل مسلم التمسك بها عند نزول الفتنة؛ ذلك لأن العلماء هم أعلم الناس بالفتنة والمخرج منها، وما يجب تجاهها، وهم الأنصح والأشفق على الأمة من غيرهم، لما علموه من دلالة الكتاب والسنة، وهم أعلم بتقدير المصالح والمفاسد، والترجيح بينها.

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، ٥٠٩/٤.

ولقد أمرنا الله تعالى عند نزول الأمور المهمة بالرجوع لأهل العلم والفضل، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدْعَوْا بِهِٓ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].

قال السعدي رحمه الله: (هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق، وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها)^(١).

وهذا فيه تحذير من الخوض في الفتنة والأمور المهمة اجتهداً بلا علم أو استناد لهوى في النفس، فإن هذا كفيل بالوقوع في الفتنة، ففرق بين رأي أهل العلم وبين رأي العامة حال الفتنة، ومن أدل الشواهد على هذا قصة قارون حين فتن قومه بما معه من متاع ومال فطغى وتكبر وتكبر به وجحد نعمة الله عليه، قال الله عنه وعن عامة الناس الذين فتنوا به: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصاص: ٧٩].

وأما أهل العلم فكان لهم مع هذه الفتنة رأي آخر ونظر شرعي، قال الله عنه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنِ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ [القصاص: ٨٠].

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، تحقيق: د. عبد الرحمن ابن معلا اللويحق، ص ١٩٠.

وبعد وقوع العقوبة على قارون، تجلّت الفتنة للناس عامة وأيقنوا الحق وأن أهل العلم كانوا يدعونهم لما فيه نجاتهم، فحمدوا عاقبة نجاتهم، قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنْ الْمُنتَصِرِينَ﴾ (٨١) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَابُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَّا وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ [القصص: ٨١-٨٢].

فهذا نموذج من النماذج القرآنية المبيّنة أهمية موقف أهل العلم عند نزول الفتنة، والمواقف في نصوص الشريعة كثيرة، إلا أنه من المهم التفريق بين موقف أهل العلم وموقف عامة الناس من الفتنة، وأهمية الرجوع لأهل العلم عند الفتنة، وأنهم الأعلام بها، بينما العامة لا يدركونها إلا بعد وقوعها كما تقدّم في قصة قارون، وكما قرر ذلك السلف رحمهم الله، قال الحسن البصري رحمته الله: (إِنَّ هَذِهِ الْفِتْنَةَ إِذَا أَقْبَلَتْ عَرَفَهَا كُلُّ عَالِمٍ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَرَفَهَا كُلُّ جَاهِلٍ) (١).

فعلى الداعية إدراك أهمية لزوم العلماء الربانيين عند الفتن بفعله وقوله، فهم المرجع له لمعرفة المنهج الشرعي الموافق للكتاب والسنة، ويرشد الناس بقوله لالتزام هذا الأمر وبيّن لهم أهميته، ليأخذ بأيديهم من سبل الحيرة والهلاك إلى الطريق المستقيم والمنهج المستنير بالكتاب والسنة، وأن هذا هو فعل الصحابة رضي الله عنهم، فهذا حذيفة رضي الله عنه لكثرة ترده على رسوله وسؤاله عن الفتن والمخرج منها يقول لمن حوله: «إِنَّ النَّاسَ

(١) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد أبو عبد الله البصري، تحقيق: إحسان عباس، ١٦٥/٧، ط١، دار صادر، لبنان، بيروت، ١٩٦٨م.

كَانُوا يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ»^(١)، وقال في حديث آخر مبيناً أن من منهج الداعية هو التردد على العلماء بسؤالهم ليعرف الصواب: «أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ فَمَا مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا قَدْ سَأَلْتُهُ...»^(٢) ولذا تميّز رضي الله عنه بأخبار الفتن وأسرارها بسبب رجوعه لأعلم الخلق بها رسول الله ﷺ، حتى صار المرجع من الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ في أخبار الفتن والمخرج منها، حتى أن عمر رضي الله عنه الملهم يرجع إليه فيما لم يسمعه من النبي ﷺ.

وهذا النهج الذي سار عليه الصحابة رضي الله عنهم ينبغي للداعية أن يقتفيه، فيصدر عن قول أهل العلم في النازلة، ولا يجتهد رأيه، بل يرجع لأهل العلم الربانيين كما كان السلف رحمهم الله من بعد الصحابة رضي الله عنهم يفعلون، فلقد كانوا يفرعون إلى علمائهم أيام الفتن، ويصدرون عن أقوالهم، ومن أمثلة ذلك، ما فعله يحيى بن يعمر البصري، وحميد بن عبدالرحمن البصري، لما ظهرت فتنة القدرية في عصرهما وصارت لهم مخالفات لأصول أهل السنة والجماعة تقتضي تكفيرهم أو تبديعهم لم يسرعوا في الحكم عليهم بل رجعوا لأهل العلم والفتوى، وهو ابن عمر رضي الله عنهما كما روى مسلم، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ قَالَ كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدْرِ بِالْبُصْرَةِ مَعْبُدُ الْجُهَنِيِّ فَاَنْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمَيْرِيُّ حَاجِّينَ أَوْ مُعْتَمِرِينَ فَقُلْنَا لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدْرِ فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِنِ الْخَطَابِ دَاخِلًا

(١) تقدم تخريجه ص ٢٦.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة، رقم (٧٤٤٧).

الْمَسْجِدَ فَاکْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ فَقُلْتُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قَبْلَنَا نَاسٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ - وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ - وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ لَا قَدَرَ وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنْفُ^(١). قَالَ فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ وَأَنَّهُمْ بُرَاءٌ مِنِّي وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَوْ أَنَّ لَأَحَدِهِمْ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ.. الحديث^(٢).

والنماذج في مراجعة السلف لأهل العلم عند الفتنة كثيرة، تقدم شيء منها^(٣)، والمهم أن يدرك الداعية أهمية هذا الأمر، ويدرك عاقبته فيما لو لم يلتزم به فيأخذ الأمور عن رأيه دون الرجوع لأهل العلم، فيصدر فعله وقوله عن رأيه وعاطفته، فيستحسن مخرجا من الفتنة يظنه صواباً فيوقعه فيما لا يحمد عقباه، ويندم عليه بعد ذلك، وفي الواقع شواهد لذلك.

بل على الداعية أن يستغل وجود العلماء الربانيين فيختلف إليهم، ويوجه المدعوين للأخذ عنهم، والحذر من الأئمة المضلين الذين سيختلف إليهم الناس في آخر الزمان فيضلونهم، كما أخبر النبي ﷺ حيث قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ

(١) أنف: بضم تين: أي مستأنف لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى، وهذا قول غلاة القدرية، لا جميعهم، فهم يعتقدون أن الأفعال تحت اختيار العبد ليس لله تعالى فيها علم ولا قضاء وقدر. انظر النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، مادة (أنف)، ص ٥٠.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامه الساعة، رقم (١٠٢).

(٣) تقدم إيراد نماذج لذلك في التمهيد، مبحث: عناية السلف بالمنهج الشرعي عند الفتن.

بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَاًلًا فَسُئِلُوا فَأَقْتَرُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا» والحديث متفق عليه^(١)، وتقدّم الحديث عن فتنة الأئمة المضلين^(٢).

وليعلم المسلم والداعية على وجه الخصوص أن هذا الواجب وهو لزوم العلماء الربانيين يتضمن ثلاثة أمور:

أولاًها: الرجوع إلى الحق بعد تبين الصواب، وهذا مما ينبغي حمل النفس عليه، وسدّ باب الهوى المفضي للاستكبار على الحق، وإذا كان هذا الأمر مهم في كل قضية يتبين فيها الحق، فإن ذلك في وقت الفتن أشد أهمية، وأولى بالمبادرة؛ ذلك أن طبيعة الفتن لا تحتمل التأخير، والتهاون في مثل هذا يفضي إلى مفاسد لا تحمد عقباها.

والرجوع إلى الحق سمة في الصادقين من عباد الله تعالى عامة، والدعاة من طلبة العلم والعلماء، هم الأولى بذلك فهم لا يترددون في الرجوع إلى الحق متى ما استبان لهم ذلك، ومما كتبه عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: «لَا يَمْنَعُكَ قَضَاءٌ قَضَيْتَهُ بِالْأَمْسِ رَاجَعْتَ فِيهِ نَفْسَكَ وَهَدَيْتَ فِيهِ لِرُشْدِكَ أَنْ تُرَاجِعَ الْحَقَّ فَإِنَّ الْحَقَّ قَدِيمٌ وَإِنَّ الْحَقَّ لَا يُبْطِلُهُ شَيْءٌ وَمُرَاجَعَةُ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي فِي الْبَاطِلِ..»^(٣).

(١) تقدم تخريجه ص ١٠١.

(٢) انظر الفصل السابق، الفتن الحاضرة، فتن الشبهات، فتنة الأئمة المضلين والضمانات الشرعية تجاهها.

(٣) أخرجه البيهقي، كتاب آداب القاضي، باب من اجتهد ثم رأى أن اجتهاده خالف نصاً أو إجماعاً أو ما في معناه رده على نفسه وعلى غيره، رقم (٢٠١٥٩)، وكتاب عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري قوّه شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة ٨/٢٠٠، واستدل به ابن القيم في «إعلام الموقعين» في عدة مواضع منها: (٦٣/١)، (١٣٠/١).

قال الحافظ ابن رجب رحمته الله: (كان أئمة السلف المجمع على علمهم وفضلهم يقبلون الحق ممن أوردته عليهم وإن كان صغيراً ويوصون أصحابهم وأتباعهم بقبول الحق إذا ظهر في غير قولهم)^(١).

ثانيها: تثبيت العلماء على الحق، من لوازم اتباعهم، وهذا من نصرتهم وتأييدهم، لاسيما في الفتن النازلة على المجتمع والتي تكون الأنظار فيها منصبة على علماء ثبتوا على الحق، فإن من شأن الفتن التمحيص، ومن شأن الحق قلة الأتباع، والعلماء في مثل هذا يحتاجون إلى من يلقي في قلوبهم كلمة طيبة، تكون لهم قوة وثباتاً في وجه الفتنة والباطل الذي معها، والعالم بشر يتأثر بالضغوطات التي تنصب عليه، لكن ما معه من الحق يكون سداً منيعاً لهذه الضغوطات، فإذا أضيف إلى ذلك كلمة أو فعلاً أو مناصرة أو بياناً أيّاً كان نوع هذا التثبيت زاده ذلك ثباتاً وقوة، ومتى كان التثبيت لهذا العالم صادقاً كان له أثر في قلبه وإن صدر من أحد عامة الناس، ومن الشواهد في ذلك: قصة الإمام أحمد حينما ابتلي بفتنة القول بخلق القرآن، حينما حمل هو ومحمد بن نوح إلى بغداد مقيدين، قال ابنه صالح بن أحمد: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: صِرْنَا (في مسيرهم إلى بغداد) إِلَى الرَّحْبَةِ، وَرَحَلْنَا مِنْهَا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، فَعَرَضَ لَنَا رَجُلٌ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ؟ فَقِيلَ لَهُ: هَذَا. فَقَالَ لِلْجَمَالِ: عَلَى رِسْلِكَ. ثُمَّ قَالَ: يَا هَذَا، مَا عَلَيْكَ أَنْ تُقْتَلَ هَا هُنَا، وَتَدْخُلَ الْجَنَّةَ؟ ثُمَّ قَالَ: أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهَ، وَمَضَى.

(١) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، ٨٤/١، ط ٢، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م.

فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَقِيلَ لِي: هَذَا رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ رِبْعَةٍ يَعْمَلُ الشَّعْرَ فِي
الْبَادِيَةِ، يُقَالُ لَهُ: جَابِرُ بْنُ عَامِرٍ، يُذَكَّرُ بِخَيْرٍ...

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: مَا سَمِعْتُ كَلِمَةً مُنْذُ وَقَعْتُ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَقْوَى
مِنْ كَلِمَةِ أَعْرَابِيٍّ كَلَّمَنِي بِهَا فِي رَحْبَةِ طَوْقٍ، قَالَ: يَا أَحْمَدُ، إِنَّ يَقْتُلَكَ
الْحَقُّ مَتَّ شَهِيداً، وَإِنْ عِشْتَ عِشْتَ حَمِيداً، فَقَوَّى قَلْبِي^(١).

ثالثها: الحذر من الوقوعة في العلماء، وهذا مما يتضمنه إيتابهم؛ لأن
التنقص منهم يجعل العامة يستهينون بما معهم من الحق، ويكون به نزع
ثقة الأمة بعلمائها، وفتح الباب للرؤوس الجهال الذين أخبر عنهم النبي
ﷺ التصدر للناس، فيُطَلَّب الحق من غير أهله، فيقع الضلال والإضلال
كما أخبر النبي ﷺ بقوله: «اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ
عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»^(٢)، وَتَنَقَّصُ العلماء مما انتشر عند بعض العامة
والدعاة في هذه الأزمان بحجة بيان الحق، والحق أن هؤلاء خلطوا بين
بيان الحق بالدليل والنهج القويم، وبين القدح في أهل العلم والنيل منهم
بطريق مباشر وغير مباشر، وإذا كانت الوقوعة بعامة الناس كبيرة من كبائر
الذنوب، فهي في العلماء أشد جرمًا لما يترتب عليها من المفساد وضياع
الحق بالاستهانة بأهله، وعدم الثقة بهم.

ولا يعني ما سبق عدم وقوع العالم بزلّة وأنه معصوم، كلا، فما زال
العلماء يخطئون ويزلّون، لكن لا يعني خطأ العالم استباحة عرضه

(١) سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق:
مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، ٢٨٦/٢١، مؤسسة الرسالة، لبنان،
بيروت.

(٢) تقدم تخريجه ص ١٠١.

والتنقص منه، فلا تلازم بين بيان الحق والوقية بأهل العلم، ويعرف هذا كل من تجرّد للحق، فهو سيتبع الحق، دون الوقية ممن عرفوا بإتباع الحق، ومنهم من يقع في أهل العلم بحجة أنهم لم ينصروا الحق، أو لم يكن لهم قول في بعض الفتن لاسيما الفتن الكبيرة، ولربما كان العالم ممن لم يتضح له الأمر، أو لم تترجح له مصلحة النازلة من مفسدتها، فإن الديانة والحال هذه وجوب التوقف حتى يتبين له الأمر، وقد جاءت النصوص بغموض بعض الفتن، ومنها ما يجعل الحلّيم حيراناً، فإن استحضار مثل هذه الأحوال لأهل العلم من الأهمية بمكان.

٥- الصبر:

أوسع العطايا التي يمتن الله تعالى بها على العبد وأفضلها خُلُق الصبر، ففي الصحيحين من أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «وَمَنْ يَصْبِرْ يُصْبِرْهُ اللَّهُ وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ»^(١)؛ لأن الصبر جامع الأخلاق الفاضلة، ولأن الظفر والنجاة قرينة للصبر، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ﴾ [الشَّح: ٥-٦]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: (قد ذكر الله الصبر في كتابه في أكثر من تسعين موضعاً، وقرنه بالصلاة في قوله: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥] وجعل الإمامة في الدين موروثاً عن الصبر واليقين بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، فإن الدين كله علم بالحق وعمل به،

(١) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، رقم (١٤٦٩)، وأخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر، رقم (٢٤٧١).

والعمل به لا بد فيه من الصبر؛ بل وطلب علمه يحتاج إلى صبر^(١).

وإذا كان هذا هو شأن الصبر بالجملة، فالصبر عند الفتن أكد من غيرها، وأعظم أجراً، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ»^(٢) وقال ﷺ: «إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ»^(٣).

قال المباركفوري رحمته الله: («كَالْقَابِضِ» أي كصبر القابض في الشدة ونهاية المحنة... قال الطيبي: المعنى كما لا يقدر القابض على الجمر أن يصبر لإحراق يده، كذلك المتدين يومئذ لا يقدر على ثباته على دينه لغلبة العصاة والمعاصي وانتشار الفسق وضعف الإيمان، وقال القارئ: الظاهر أن معنى الحديث كما لا يمكن القبض على الجمرة إلا بصبر شديد وتحمل غلبة المشقة كذلك في ذلك الزمان لا يتصور حفظ دينه ونور إيمانه إلا بصبر عظيم)^(٤).

(١) أمراض القلب وشفائها، شيخ الإسلام ابن تيمية، ص (٥٤)، ط ٢، المطبعة السلفية، مصر، القاهرة، ١٣٩٩هـ.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الفتن، رقم (٢٢٦٠)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٥/ ٢٦٠).

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، رقم (٢٥٠٧)، وأخرجه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، رقم (٤٠٣٢)، وحسنه ابن حجر في فتح الباري (١٠/ ٥١٢)، وصححه الألباني في عدة مواضع منها صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، رقم (٣٨٨/ ٣٠٠)، ط ١، دار الصديق، ١٤٢١هـ.

(٤) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، محمد بن عبدالرحمن المباركفوري، ٦/ ٥٣٩، دار الفكر.

فالداعية إلى الله تعالى يحتاج إلى الصبر على ما نزل من المكروه، أو أصابه من الخوف والضيق مع الفتنة التي تهز دينه ودعوته، وهو يحتاج إلى صبر يجعله يتمسك بالعبادات ويكثر اللجوء إلى الله تعالى.

والداعية إلى الله تعالى يحتاج للصبر على ما يراه من تصرفات الناس وقت الفتن، التي إن لم تؤثر على دينه، أثرت على دعوته، أو أورثت انصراف الناس عنه، أو مضايقته في دعوته، فيصبر على ذلك ويصبر على هداية الناس، ويصبر على انتظار النتائج، ويصبر على الوحدة والقلّة في المناصرة، ولا يجعل للشيطان عليه سبيلاً فيدبّ فيه روح الضعف أو الكسل أو اليأس لما يراه من الحال، بل يواجه ذلك بروح الصبر والمصابرة والتفاؤل وحسن اللجوء والظن بالله تعالى.

وليعلم الداعية أن الصبر هو وصية النبي ﷺ لمن بعده عند الضيق والشدة والفتنة، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَكَرِهَهُ فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُفَارِقُ الْجَمَاعَةَ شَبْرًا فَيَمُوتُ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»^(١) وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَهُ»^(٢) فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ»^(٣).

قال ابن حجر رحمه الله: (قوله «فاصبروا حتى تلقوني على الحوض» أي

(١) تقدم تخريجه ص ١٠٥.

(٢) قال ابن حجر: (أثره بضم الهمزة وسكون الشاء وبفتحهما أيضاً، قال الأزهري: هو الاستئثار، أي يستأثر عليكم بأمور الدنيا، ويفضل عليكم غيركم) فتح الباري، ابن حجر، ٧٤/١.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب فضل دور الأنصار، رقم (٣٧٩٢)، وأخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب الأمر بالصبر عند ظلم الأولاد واستئثارهم، رقم (٤٨٨٥).

يوم القيامة، وفي رواية الزهري حتى تلقوا الله ورسوله فإني على الحوض، أي اصبروا حتى تموتوا، فإنكم ستجدونني عند الحوض، فيحصل لكم الانتصاف ممن ظلمكم، والثواب الجزيل على الصبر^(١).

وليعلم الداعية أنه يحتاج أثناء الفتنة إلى صبر يسلك فيه طريق السلامة، فهو يحتاج إلى صبر عن الفتنة ليتجنبها، وصبر على الفتنة إذا ابتلي بها، وبهذا يحفظ دينه ويحقق السعادة التي أرشد إليها النبي ﷺ بقوله: «إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتْنُ إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتْنُ إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتْنُ وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهَا»^{(٢)(٣)}.

والصبر من الأخلاق العظيمة الجامعة للخير، المانعة للشر ومنها الفتن، ومتى تمسك العبد بهذا الخلق وحمل نفسه على التصبر وظهر صدقه في طلب هذا الخلق، صبره الله تعالى كما تقدم «وَمَنْ يَصْبِرْ يُصْبِرْهُ اللَّهُ».

وكم يحتاج العبد للصبر لاسيما مع توالي الفتن وتكاثرها كلما تقدم الزمان، فمن أنجع العلاج وأخيره عند الفتن خلق الصبر، وهذا ما أرشد إليه نبينا ﷺ كما نقله أنس رضي الله عنه حين شكا الناس فتنة الحجاج بالقتل

(١) فتح الباري، ابن حجر، ٥٢/٨.

(٢) فَوَاهَا: أي فواعجبا له! وما أحسن فعله!، وتأتي للتلهف على حصول هذا الأمر، والتعجب أظهر هنا؛ لأن سياق الحديث في الثناء والمدح، قال الخطابي: (واهاً كلمة معناها التلهف وقد يوضع أيضاً موضع الإعجاب بالشيء فإذا قلت ويهاً كان معناها الإغراء) معالم السنن، أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابي البستي، ٤/ ٣٤٢، ط١، المطبعة العلمية، سوريا، حلب، ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م.

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب الفتن، باب في النّهي عَنِ السّعي في الْفِتْنَةِ، رقم (٤٢٦٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، رقم (٢٥١٧).

والظلم والاستبداد، عَنِ الرَّبِيرِ بْنِ عَدِيٍّ قَالَ أَتَيْنَا أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ فَشَكَّوْنَا إِلَيْهِ مَا نَلْقَى مِنَ الْحَجَّاجِ فَقَالَ اضْبِرُّوا، فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرُّ مِنْهُ حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ^(١).

فإذا تخلَّق الداعية بخُلُق الصبر عند الفتن، نال الثمرة بالنجاة من الفتن وحقق السعادة التي أخبر عنها النبي ﷺ في الحديث السابق: «إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتْنِ إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتْنِ»، ونال بشارات ثلاث وعدها الله تعالى الصابرين بقوله ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧]، فوعده الله تعالى الصابرين بعد صلاته عليهم، بأن يرحمهم ويهديهم، وما أحوج العبد في أيام الفتن للرحمة والهداية، عندها لا خوف عليه من الفتنة.

٦- الفرار من الفتن وترك أرضها:

عندما يَدْلِهِمْ على المسلمين أمر مقلق، وتختلط فيه الآراء من كل حَدَب، ويعيش المرء في حيرة الالتباس، ويتفقد جانب الصواب، يأتي دور الداعية إلى الله تعالى، بدلالة الناس إلى الصواب، والهدي القويم، ومن الهدي القويم الذي أرشد إليه الشارع الحكيم، الفرار من الفتن، وترك أرضها إذا اقتضى الحال ذلك. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتَّبِعُ بِهَا

(١) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب لَا يَأْتِي زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرُّ مِنْهُ، رقم (٧٠٦٨).

شَعَفَ^(١) الْجِبَالَ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ^(٢) وإرشاد النبي ﷺ عن الفتن وأنها ستبلغ هذه الحال وأن الفرار منها هو الضمان الشرعي المناسب اتخاذها، دليل على أن الفرار من الواجبات التي ربما تتحتم على العبد للحفاظ على دينه لئلا يقع في الفتنة، إذ لا نجاة من الفتنة إلا بالفرار منها.

وعن أبي بكرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنٌ أَلَا تُمْ تَكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي فِيهَا وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا أَلَا فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ»^(٣).

وحدث النبي ﷺ على الفرار عند الفتنة بيّن أهمية حفاظ المسلم على دينه، وأنه رأس ماله في الحياة وهو الأولى بالتقديم والحفاظ والرعاية من لوازم الحياة الأخرى، فهو يفارق وطنه وعيشه إلى مكان يحفظ فيه دينه، وهذا حينما يختلط الأمر على الناس، وتزداد الحيرة في تمييز الصواب حتى على العقلاء فكيف بالجهال؟ فتشتد المعضلات، ويردّ على العبد من الشبه ما يسلبه دينه وهو لا يشعر، فيصبح المرء مؤمناً ويمسي كافراً، حينها الفرار قبل إدراك هذه الحال هو الضمان الأمثل للحفاظ على الدين، فعلى الداعية أن يرشد الناس لهذا الضمان الذي أرشد إليه النبي ﷺ، فهو الأصل في حال عامة الناس أن يفروا بدينهم عن الفتن، فيرشداهم إلى أصل الفرار من الفتن وعدم السعي لها، ولك أن تتأمل كيف

(١) قال ابن حجر: (شعف الجبال: أي رؤوسها وأطرافها)، فتح الباري ١/١٣٩.

(٢) أخرجه البخاري. كتاب الإيمان، باب: مَنْ الدِّينِ الْفِرَارُ مِنَ الْفِتَنِ، رقم (١٩).

(٣) تقدم تخريجه ص ٦.

صَوَّرَ النبي ﷺ أحوالاً دقيقة مبالغاً في تأثير الفتنة بين الأحوال مع تقاربها حيث قال في الحديث السابق: «تَكُونُ فِتْنَةُ الْقَاعِدِ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي فِيهَا وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا»، مما يدل على أهمية البعد قدر الإمكان عن الفتنة وعدم الاستشراف لها، لأن من تعرَّض للفتنة وخالطها حريٌّ بأن يكون ضحيتها، وهذا التحذير من النبي ﷺ من المهم مراعاته حال الفتنة حيث قال في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «سَتَكُونُ فِتْنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي وَمَنْ يُشْرِفَ لَهَا تَسْتَشْرِفُهُ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً، أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ»^(١) فعلى الداعية تحذير الناس من التعرض للفتنة والاستشراف لها، وتذكيرهم بدقة مداخل الشيطان في مثل هذه الأحوال، فلربما استشرف عبد الفتنة بحجة الاطلاع. أو اعتقاد صبره على الفتنة، أو استطاعته دفعها، وليس كذلك فيشرف للفتنة فيقع في حبالها، وهذا من آثار الخلطة وعدم الفرار من الفتنة، وهذا في حق المسلمين عامة.

أما الداعية إلى الله تعالى فقد يكون البقاء وخلطة الناس في حقه أفضل وأعظم أجراً، بل يستدعي الأمر أحياناً إلى أن يكون بقاءه وعدم فراره واعتزاله واجباً؛ لقول النبي ﷺ - كما تقدم - : «إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَضْبُرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَضْبُرُ عَلَى أَذَاهُمْ»^(٢).

ذلك أن حاجة الناس حال الفتنة للداعية ماسة، فهم بحاجة إلى من

(١) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، رقم (٧٠٨١).

(٢) تقدم تخريجه ص ١٧٢.

يخالطهم ويصحح مسارهم، ويحل مشكلاتهم ومعضلاتهم، ويردُّ الشبهات التي تَرُدُّهم، فالمسؤولية على الداعية حال الفتنة أعظم أجراً وقربةً عند الله تعالى، لما له من الأثر الفاعل في تقويم ديانة الناس عند اختلاط الأمور، وتثبيت الناس على الحق ودلالتهم عليه، لينجو بدينهم من الفتن بدلالة الداعية لهم لسلوك طريق الحق والمنهج الشرعي القويم، والأخذ بالضمانات الشرعية حال الفتنة، التي منها الفرار منها.

وما تقدَّم هو في حق الداعية المتمسك بدينه، الذي عنده من حصيلة الإيمان والعلم ما يميِّز به الحق ويرشد إليه، لكن من كان دون ذلك وخاف على نفسه الفتن، فقد يكون الفرار من الفتنة في حقه أفضل كما هو حال عامة الناس.

وهذا ينبنى على مسألة مهمة: هل الخلطة أفضل حال الفتنة أم العزلة؟ ولهذه المسألة أدلة تؤيد الحالين وهي كما يلي:

أ- أحاديث تحث على العزلة:

١- حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتَّبِعُ بِهَا شَعْفَ^(١) الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ»^(٢).

٢- حديث أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنٌ أَلَا تُمْ تَكُونُ فِتْنَةُ الْقَاعِدِ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي فِيهَا وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا أَلَا فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ

(١) قال ابن حجر: (شعف الجبال: أي رؤوسها وأطرافها)، فتح الباري ١/١٣٩.

(٢) تقدم تخريجه ص ٦.

بِإِيلِهِ وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ»^(١).

٣- حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ فَقَالَ «رَجُلٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِمَالِهِ وَنَفْسِهِ» قَالَ ثُمَّ مَنْ قَالَ «مُؤْمِنٌ فِي شُعْبٍ مِنَ الشُّعَابِ يَعْبُدُ اللَّهَ رَبَّهُ وَيَدْعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ»^(٢).

٤- حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ رَجُلٌ مُمَسِكَ عِنَانَ فَرَسِهِ^(٣) فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ^(٤) كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَرْعَةً^(٥) طَارَ عَلَيْهِ يَبْتَغِي الْقَتْلَ وَالْمَوْتَ مَطَانَةً، أَوْ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ فِي رَأْسِ شَعْفَةٍ^(٦) مِنْ هَذِهِ الشَّعَفِ أَوْ بَطْنِ وَادٍ مِنْ هَذِهِ الْأَوْدِيَةِ يُقِيمُ الصَّلَاةَ وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْيَقِينُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فِي خَيْرٍ»^(٧).

(١) تقدم تخريجه ص ٦.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب أَفْضَلُ النَّاسِ مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، رقم (٢٧٨٦)، وأخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب فَضْلِ الْجِهَادِ وَالرِّبَاطِ، رقم (٤٩٩٤).

(٣) قال ابن حجر: (قوله عنان فرسه بكسر أوله أرى لجامها) فتح الباري، ابن حجر، ١٥٦/١.

(٤) أي يسارع على ظهره. انظر شرح صحيح الإمام مسلم، النووي، ٣٤/١٣.

(٥) قال النووي: «كلما سمع هَيْعَةً وهي الصوت عند حضور العدو وهي بفتح الهاء وإسكان الياء، و«الفَرْعَةُ» بإسكان الزاي وهي النهوض إلى العدو المرجع السابق.

(٦) قال النووي: «(أو رجل في غنيمة في رأس شعفة» الغنيمة بضم الغين تصغير الغنم أي قطعة منها، والشعفة بفتح الشين والعين أعلى الجبل) المرجع السابق.

(٧) أخرجه مسلم، بنفس الكتاب والباب السابقين، ح (٤٩٩٧).

ب- أحاديث تحت على الخلطة:

١- الأحاديث العامة الكثيرة في الحث على الجماعة ولزومها، وكذا الحث على شهود جماعة المسلمين في كثير من العبادات، كصلاة الجماعة والعيدين والاستسقاء وعبادة المرضى وشهود الجنائز، وحلق الذكر، والجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصلة الرحم ونحوها من النصوص العامة، فإن فضلها وأجرها ثابت حتى في زمن الفتن.

٢- حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال رضي الله عنه: «إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ»^(١).

ما تقدّم هي أشهر النصوص في المسألة، والحديث هنا إنما هو حال الفتنة، وأما من غير فتنة فالأصل في الإسلام الجماعة، والأصل في المسلم الاختلاط بالناس ومعاشرتهم، كما أن تعاليم الإسلام وعباداته تحضه على ذلك، فكثير من العبادات متعلقة بالجماعة كما تقدّم، والانعزال عنها تقصير بالحقوق وتفويت للفرائض، وترجيح الخلطة على العزلة في غير الفتنة هو مذهب جماهير السلف والعلماء، وحملوا أحاديث العزلة على حال الفتنة والخوف على الدين، وبهذا تجتمع الأدلة السابقة^(٢).

قال الخطابي رحمته الله: (والعزلة عند الفتنة سنة الأنبياء وعصمة الأولياء

(١) تقدم تخريجه ص ١٧٢.

(٢) في مسألة أفضلية الخلطة والعزلة في غير زمن الفتنة خلاف وأدلة وأقوال أخرى غير ما ذكر يطول سوقها، والحديث في هذه الدراسة عما يتعلق بزمن الفتنة.

وسيرة الحكماء الألباء والأولياء فلا أعلم لمن عابها عذرا^(١).

وقال النووي رحمته الله: (قوله رحمته الله «ثم مؤمن في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره» فيه دليل لمن قال بتفضيل العزلة على الاختلاط وفي ذلك خلاف مشهور فمذهب الشافعي وأكثر العلماء أن الاختلاط أفضل بشرط رجاء السلامة من الفتن ومذهب طوائف أن الاعتزال أفضل وأجاب الجمهور عن هذا الحديث بأنه محمول على الاعتزال في زمن الفتن والحروب أو هو فيمن لا يسلم الناس منه ولا يصبر عليهم أو نحو ذلك من الخصوص وقد كانت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وجماهير الصحابة والتابعين والعلماء والزهاد مختلطين فيحصلون منافع الاختلاط كشهود الجمعة والجماعة والجناز وعيادة المرضى وحلق الذكر وغير ذلك)^(٢).

ويُفهم من كلام النووي رحمته الله أن العزلة لعامة الناس حال الفتنة تتأكد في حق صنفين:

الأول: من خاف على دينه الفتنة، فإنه يعتزل صيانة لدينه من الفتنة، وهذا ظاهر وصريح في الأحاديث السابقة الآمرة بالاعتزال حال الفتنة.

والثاني: من كان ذا بأس شديد ويُخشى على الناس من شره وبطشه وبأسه، فمثله لو استخدم بأسه لألحق بالناس ضرراً وفتنة تطيش بهم، ويدل عليه قول النبي ﷺ: «مُؤْمِنٌ فِي شُعْبٍ مِنَ الشُّعَابِ يَعْبُدُ اللَّهَ رَبَّهُ وَيَدْعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ».

(١) العزلة، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي، ص (٨)، ط ٢، المطبعة السلفية، مصر، القاهرة، ١٣٩٩هـ.

(٢) شرح مسلم، النووي، ٣٤/١٣.

وأما الداعية فالخلطة بالنسبة له ضرورة لما يترتب عليه حال الفتنة، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة للمنهج السليم حال الفتنة، وبيان المخارج الشرعية من الفتن، وكل ذلك يستلزم المخالطة، كما كان يخالط النبي ﷺ قريشاً والقبائل في العهد المكي، ويعرض عليهم دعوته، وكذلك فعل مع أهل الطائف مع ما كان عليه الناس من فساد الحال، وضلال المعتقد، وجاهلية العادات، وتراكم الظلمات، إلا أنه ﷺ خالطهم ودعاهم لما فيه نجاتهم، وهكذا ينبغي للداعية عند الفتن، حتى وإن ترتب على ذلك أذية عليه حساً أو معنى، فإن للصبر على هذا إدراك للفضل العظيم الذي أراده النبي ﷺ بقوله: «إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ»^(١).

وخلطة الداعية للناس حال الفتنة يختلف حكمها باختلاف ما يترتب عليه، من فرضية العين أو الكفاية، فربما لا تزول أو تخفُّ الفتنة أو المنكر إلا به، فتتحمم المخالطة عليه تحتماً عينياً لا يجوز له العدول عنه، وإلا صار حال الناس ذو اختلاط واختلاف واضطراب، وتولى الناس حال الفتنة من يتكلم بغير علم، ومن يهدي لضلالة، فخلطة الداعية مهمة بحسب الأحوال والأشخاص، وعلى الداعية مراعاة ذلك وفقهه، وكل ما تقدّم إنما هو مع أمن الداعية على نفسه الفتنة.

قال ابن حجر رحمه الله: (وقال النووي: المختار تفضيل المخالطة لمن لا يغلب على ظنه أنه يقع في معصية، فإن أشكل الأمر فالعزلة أولى، وقال غيره يختلف باختلاف الأشخاص).

(١) تقدم تخريجه ص ١٧٢.

فمنهم من يتحتم عليه أحد الأمرين ومنهم من يترجح، وليس الكلام فيه، بل إذا تساويا فيختلف باختلاف الأحوال، فإن تعارضاختلف باختلاف الأوقات:

فمن يتحتم عليه المخالطة: من كانت له قدرة على إزالة المنكر، فيجب عليه إما عيناً، وإما كفاية بحسب الحال والإمكان.

وممن يترجح: من يغلب على ظنه أنه يسلم في نفسه إذا قام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وممن يستوي: من يأمن على نفسه ولكنه يتحقق انه لا يطاع...^(١).

فإذا تقرر ما تقدم فإن على الداعية أن يدرك ما يلي:

١- أن الأصل في حقه الخلطة حال الفتنة، لما يترتب عليه من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وتحذير الناس من الفتنة، وبيان الضمانات الشرعية منها، وتثبيت الناس على الحق، وتحذيرهم من الفتنة في دينهم، وما إلى ذلك من لوازم الدعوة إلى الله تعالى، وينبغي أن تكون خلطته دعوة إلى الله تعالى سواء خالط الناس في مجالسهم أو في أسواقهم أو أماكن تجمعهم، أو انفرد بأحدهم في أي مكان كان، لأن شأن الفتنة يستدعي استدعاء جميع كواامن الطاقة في الدعوة إلى الله تعالى.

(١) فتح الباري، ابن حجر، ٤٣/١٣.

وفي الموسوعة الفقهية: (ذَهَبَ الْعُلَمَاءُ إِلَى أَنَّ أَفْضَلِيَّةَ الْعُرْلَةِ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ وَفَسَادِ النَّاسِ، إِلَّا أَنَّ يَكُونَ الْإِنْسَانُ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَى إِزَالَةِ الْفِتْنَةِ، فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ السَّعْيُ فِي إِزَالَتِهَا بِحَسَبِ الْحَالِ وَالْإِمْكَانِ) الموسوعة الفقهية الكويتية، صادرة عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ٨٣/٣٠، ط٢، الكويت، دار السلاسل.

٢- إذا خاف الداعية على دينه من فتنة ما، فلم يأمن نجاته منها، فإن حاله حال عامة الناس في اعتزال الفتنة والفرار بالدين عنها، ومما تتأكد فيه العزلة وتكون فيه واجبة لا يجوز العدول عنها، حين لا يبقى للمسلمين إمام ولا جماعة، فيعيش الناس في اضطراب واختلاط لا يسكن؛ وتكثر الفرق التي تدّعي الحقّ معها؛ لعدم وجود الرأس الذي يحتكمون إليه، وينطلقون منه، فإن الفرار بالدين من محيط الفتنة والمحافظة على العقيدة أوجب من البقاء مع الفتنة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، يدلُّ على هذا ما ثبت في صحيح البخاري، من حديث حُذِيفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه يَقُولُ كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٌّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ قَالَ «نَعَمْ» فَقُلْتُ هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ قَالَ «نَعَمْ وَفِيهِ دَخْنٌ». قُلْتُ وَمَا دَخْنُهُ قَالَ «قَوْمٌ يَسْتَنُونُ بغيرِ سُنَّتِي وَيَهْدُونَ بغيرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ». فَقُلْتُ هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ قَالَ «نَعَمْ دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا». فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا. قَالَ «نَعَمْ قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِالسِّنَتَيْنَا». قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ قَالَ «تَلْزِمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ». فَقُلْتُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةً وَلَا إِمَامًا قَالَ «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعْصُ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»^(١).

(١) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، رقم (٧٠٨٤)، وأخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، رقم (٤٨٩٠).

٣- قد يواجه الداعية في دعوته حال الفتنة، ما يعارضه في عمله أو علمه أو فكره، ممن يتربص به وبدعوته، أو يواجه عدم قبول الناس للحق الذي معه، أو يواجه أذىً حسيّاً أو معنوياً لدعوته، فليتذكر أن للأنبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوتهم حال كهذه الحال، وأن الصبر على الأذى لا سيما وقت الفتن مطلب مهم عند المخالطة، وأنه بهذا على طريق الاقتداء بالأنبياء، وينال الخيرية التي أخبر عنها النبي ﷺ بقوله: «إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ»^(١).

٤- أنه مع القول بأفضلية الخلطة له على نحو التفصيل السابق، إلا أنه لا بد له من عزلة، يتزود فيها، ويجدد فيها همته، ويراجع فيها نفسه وأسلوبه في الدعوة وما وجّه إليه من انتقاد، ويلتمس فيها خضوعه وإنابته وصلاح قلبه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (لا بد للعبد من أوقات ينفرد بها بنفسه في دعائه وذكره وصلاته وتفكره ومحاسبة نفسه وإصلاح قلبه)^(٢).

ولتلميذه ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ كلام في ضابط الخلطة وما يُحَمَّد ويُدْم منها، حيث قال: «والضابط النافع في أمر الخلطة: أن يخالط الناس في الخير، كالجمعة والجماعة والأعياد والحج وتعلم العلم والجهاد والنصيحة، ويعتزلهم في الشر وفضول المباحات، فإذا دعت الحاجة إلى خلطتهم في

(١) تقدم تخريجه ص ١٧٢.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، تحقيق: أنور الباز، ٤٢٦/١٠.

الشر ولم يمكنه اعتزالهم: فالحذر الحذر أن يوافقهم، وليصبر على أذاهم فإنهم لا بد أن يؤذوه إن لم يكن له قوة ولا ناصر. ولكن أذى يعقبه عز ومحبة له وتعظيم وثناء عليه منهم، ومن المؤمنين ومن رب العالمين، وموافقتهم يعقبها ذل وبغض له ومقت وذم منهم، ومن المؤمنين ومن رب العالمين، فالصبر على أذاهم خير وأحسن عاقبة وأحمد مآلاً، وإن دعت الحاجة إلى خلطتهم في فضول المباحات فليجتهد أن يقلب ذلك المجلس طاعة لله إن أمكنه، ويشجع نفسه ويقوي قلبه، ولا يلتفت إلى الوارد الشيطاني القاطع له عن ذلك بأن هذا رياء ومحبة لإظهار علمك وحالك ونحو ذلك، فليحاربه وليستغن بالله، ويؤثر فيهم من الخير ما أمكنه، فإن أعجزته المقادير عن ذلك، فليسل قلبه من بينهم كسل الشعرة من العجين، وليكن فيهم حاضراً غائباً، قريباً بعيداً، نائماً يقظاناً، ينظر إليهم ولا يبصرهم، ويسمع كلامهم ولا يعيه؛ لأنه قد أخذ قلبه من بينهم ورقى به إلى الملاء الأعلى يسبح حول العرش مع الأرواح العلوية الزكية، وما أصعب هذا وأشق على النفوس، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، فبين العبد وبينه أن يصدق الله تبارك وتعالى ويديم اللجأ إليه، ويلقي نفسه على بابه طريحاً ذليلاً..^(١).

٧- حفظ اللسان في الفتنة:

حينما يحل بالمجتمع أمر ما، فإن الإنسان مفطور على التحدث عما ألم به، إلا أن حفظ اللسان إلا عن الخير من مقامات الإيمان العظيمة التي قال فيها النبي ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ

(١) مدارج السالكين، ابن القيم، ٤٥٥/١، ٤٥٦.

لِيَصْمُتَ»^(١)، وهذا حث وتفضيل على قول الخير أو حفظ اللسان بالصمت في أحوال الناس الطبيعية، أما في وقت الفتنة فإن حفظ اللسان يترتب عليه النجاة من الوقوع فيها، قال ﷺ: «مَنْ صَمَتَ نَجَا»^(٢) وهذا محمول على وقت الفتن والشرور عند العلماء، إذ النجاة تقتضي ذلك.

والصمت حال الفتن هو الأصل، إذ أن السلامة مقرونة به، إلا لمن كان عنده مزيد علم فالسلامة أن يبين شرع الله تعالى في ذلك، أما إذا لم يكن كذلك فحفظ اللسان هو النجاة، وذلك أن العبد وقت الفتنة ربما تكلم بكلمة فكانت سبباً في إذكاء نار الفتنة، أو انحراف من حوله عن جادة الصواب والمنهج القويم، لاسيما مع التباس الحق بالباطل، واضطراب الناس كما هو حال الفتنة، ولربما كلمة أسالت دماً، وأعقبت ندماً، فالعبد إن لم يستطع على دلالة الناس للخير، فلا يكن رأساً في الشر، ويتبنى رأياً بكلمة تفوّه بها حال الفتنة، وليسعه الصمت ففيه نجاته، وسلامته من الندامات.

قال أبو حاتم رحمه الله: (الرافق لا يكاد يُسَبِّق، كما أن العَجَل لا يكاد يَلْحَق، وكما أن من سكت لا يكاد يندم، كذلك من نطق لا يكاد يسلم،

(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب حِفْظِ اللِّسَانِ، رقم (٦٤٧٥)، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الْحَثُّ عَلَى إِكْرَامِ الْجَارِ وَالصَّيْفِ وَلُزُومِ الصَّمْتِ إِلَّا مِنَ الْخَيْرِ وَكَوْنِ ذَلِكَ كُلِّهِ مِنَ الْإِيمَانِ، رقم (١٨٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند عبدالله بن عمرو، ١٥٩/٢، رقم (٦٤٨١)، وأخرجه الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، ح (٢٥٠١)، قال ابن حجر: "رواته ثقات" فتح الباري، ٣٠٩/١١، والحديث صححه الألباني، في صحيح وضعيف سنن الترمذي (١/٦)، وحسنه شعيب الأرناؤوط في تعليقه على المسند.

والعَجَل يقول قبل أن يعلم، ويجب قبل أن يفهم، ويَحْمَد قبل أن يُجَرَّب، ويَدُم بعد ما يحمد، يعزم قبل أن يفكر، ويمضي قبل أن يعزم، والعَجَل تصحبه الندامة وتعتزله السلامة، وكانت العرب تُكْنِي العجلة أم الندامات^(١).

والصمت حال الفتنة مما ينبغي أن يتفطن له الداعية إلى الله تعالى ويمثله، حينما تحلُّ بالأمة الأمور العظام المؤثرة على ديانة الناس، فلا ينبغي له التهاون في إبداء رأيه، فليس كل رأي يُجْهَر به، ولا كل ما يصلح للقول يصلح أن يقال عند كل أحد، لاسيما وقت الفتنة التي تستحث الألسن على الحديث وكثرة القيل، بل يجب على الداعية أن يرفع الأمور إلى العلماء الراسخين - كما تقدَّم - ويستلهم منهم نهج السلف الصالح تجاه هذه الفتنة، ليسلم هو بدينه، ويدل الناس على النهج القويم الذي فيه نجاتهم.

أما إذا كان لدى الداعية علمٌ ودلالة مبنية على الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة في هذه الفتنة التي أَلَمَّت بالناس، فإن الصمت لا يتنزل في حاله، بل النجاة في حقه هي الكلام بدليل ويقين، وإخراج الناس من متاهات الفتنة التي غشيتهم إلى نور الحق والنهج السليم تجاه هذه الفتنة، وصمته عن هذا النهج تنكُّب عن الصراط، وتعرُّض للوعيد الذي قال الله تعالى فيه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان البستي أبو حاتم، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ص (٢١٦)، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

٨- كف اليد في الفتنة:

كما أن حفظ اللسان من الواجبات العينية على الداعية حال الفتنة، فكفُّ اليد واجباً عينياً من باب الأولى، ذلك أن التهاون في كف اليد تسيل معه الدماء، ويختلط معه أمر الناس، ويزداد تحريض الشيطان فيها، فيقوم معه الانتصار للنفس والأخذ بالثأر.

وإذا وقعت الفتنة وازداد شرها، أسرع النفوس لإعمال اليد في الفتنة من حيث لا تشعر، سواء كان ذلك بالسلاح أو ما دونه، ولذا أرشد النبي ﷺ إلى كسر السيوف في الفتنة ودقها لئلا تعمل فقال: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنٌ أَلَا تُمْ تَكُونُ فِتْنَةُ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي فِيهَا وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا أَلَا فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ وَمَنْ كَانَ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ وَمَنْ كَانَ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ». قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلَا غَنَمٌ وَلَا أَرْضٌ قَالَ «يَعْمِدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ ثُمَّ لِيَنْجُ إِنْ اسْتَطَاعَ النِّجَاءَ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ»^(١).

وكف اليد في الفتنة عصمة منها، وحقن لدماء بريئة، وصدُّ لنفوس الأعداء التي تبث غوائل الشيطان بين المجتمع، فعلى الداعية إدراك ذلك، وإرشاد الناس لمغبة بسط اليد في الفتنة، وليكن له في السلف رحمهم الله من الصحابة والتابعين أسوة حسنة، فيدعو الناس للنهج القويم الذي كان عليه السلف الصالح، وقصص كف اليد الواردة عند القتال في موقعة الجمل وصفين شاهدة على ذلك.

(١) تقدم تخريجه ص ٦.

□ المطلب الثاني □

الواجبات الكفائية المتعلقة بمنهج الداعية عند الفتن

١- الإقبال على طلب العلم والتفقه والتعليم:

من الواجبات الكفائية طلب العلم الشرعي، إذ هو ليس فرضاً على جميع الناس، بل ولا يستطيعونه، فلا يستطيعه إلا طائفة في كل مجتمع، ولذا أمر الله تعالى هذه الطائفة المستطاعة مبيناً دورهم في التعلم والتعليم فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانُ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢] وأولى الناس بالقيام بهذا الفرض الكفائي الداعية إلى الله تعالى؛ لأن كثيراً من عامة الناس يرجعون إليه في أمور دينهم بحسب حاجتهم، ولا أعظم حاجة من وقت الفتن، فكان هو الأحرى بالتفقه في دين الله تعالى.

ولا تخفى النصوص الكثيرة في شرف العلم وأهله، وفضل صرف العمر فيه، وفي تعليمه، فإذا كانت تلك النصوص مطلقة في كل وقت لشرف العلم، فهي في وقت الحاجة إليها أعظم شرفاً وأجراً، ومن ذلك زمن الفتن التي أيامه كقطع الليل المظلم، فيحتاج الداعية فيها إلى نور العلم الذي يعرف به المنهج الشرعي القويم، ويدل الناس عليه.

ومن تأمل الواقع الذي نعيشه، يرى تضارب بعض الأقوال في الفتن العارضة، نتيجة تلك الآراء المبنية على غير علم وهدى فتتجت أعمالاً يردّها الشرع بأدلة واضحة البيان، لكنها خفيت عن صاحب الرأي المجرد عن العلم والهدى، وعليه فالداعية يحتاج إلى علم في دين الله تعالى يكون

له زاداً يوم تضطرب الأفهام وتزيغ العقول، فينطلق بعلم من الله تعالى وهبه إياه يكون له ثباتاً ولغيره دلالة إلى الرشد والنهج القويم، فهذا أبو بكرة رضي الله عنه يقول: قَدْ نَفَعَنِي اللَّهُ بِكَلِمَةٍ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَيَّامَ الْجَمَلِ بَعْدَ مَا كِدْتُ أَنْ أَلْحَقَ بِأَصْحَابِ الْجَمَلِ فَأُقَاتِلَ مَعَهُمْ قَالَ: لَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ أَهْلَ فَارِسَ قَدْ مَلَكَوا عَلَيْهِمْ بَنَاتٍ كَسَرَى قَالَ: «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَوْ أَمَرَهُمْ امْرَأَةٌ»^(١).

وَلَمَّا سَارَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، رضي الله عنه إِلَى مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه بِالْكَتَائِبِ قَالَ عَمْرُو ابْنُ الْعَاصِ لِمُعَاوِيَةَ رضي الله عنه أَرَى كِتَابَةً لَا تُؤَلِّي حَتَّى تُدْبِرَ أُخْرَاهَا قَالَ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه مَنْ لِيذَرَارِي الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: أَنَا، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ رضي الله عنه وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَمُرَةَ رضي الله عنه نَلْقَاهُ فَنَقُولُ لَهُ الصُّلْحَ قَالَ الْحَسَنُ رضي الله عنه، وَلَقَدْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَةَ رضي الله عنه قَالَ بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ، جَاءَ الْحَسَنُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»^(٢).

فانتفع أبو بكرة رضي الله عنه بكلمة سمعها من رسول الله ﷺ بعد أن كاد يدخل في فتنة قتال، وانتفع الحسن رضي الله عنه بحديث بلغه عن رسول الله ﷺ فكفَّ عن القتال، ورضي بالصلح، والمواقف على مثل هذا في عهد الصحابة ومن بعدهم كثيرة، ومظاهر أهمية العلم في الواقع شاهدة، وويلات انعدامه فيما مرَّ من أحداث معاصرة ظاهرة، فالعلم الشرعي

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى كِسْرَى وَقَيْصَرَ، رقم (٤٤٢٥).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الصلح، باب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ إِنَّ ابْنِي هَذَا لَسَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، رقم (٧١٠٩).

كشَّافٌ لأمر الفتن، وبه يُعرَف الدين ويُميَّز بين الحق والباطل، كما قال الخبير بالفتن حُذَيْفَةُ رضي الله عنه: «لَا تَضُرُّكَ الْفِتْنَةُ مَا عَرَفْتَ دِينَكَ، إِنَّمَا الْفِتْنَةُ إِذَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ فَلَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا تَتَّبِعُ، فَتِلْكَ الْفِتْنَةُ»^(١).

٢- معرفة الداعية مصادر الفتن وأسبابها:

بعد أن يكون لدى الداعية معرفة علمية شرعية، لابد أن يتلمس مصادر وأسباب الفتن المقدَّرة على الخلق، ويتأمل الحُكْم الإلهية منها، ويتصوَّر ما قد يقع في الحياة من أقدار الفتن مستلهماً ذلك من أحداث التاريخ في الفتن السابقة التي جاء ذكرها في الكتاب والسنة، وأسباب ومصادر ما يقع في واقعه من فتن، فيربط أحداث الواقع بالسابق، ويعتبر بها، والاعتبار بأخبار من سبق هدي نبوي، فيستفيد منها ويتكون عنده تصور جلي، ومعالم واضحة لأسباب الفتن ومصادرها.

والداعية إن فعل ذلك استطاع أن يتخذ المواقف الصحيحة من الفتن، وبيانها بشكل شمولي؛ لأنه انطلق من علم شرعي مستمد من الكتاب والسنة، معتبراً بأخبار الفتن الواقعة في أخبار من سبق، فتتكون عنده رؤية متكاملة لأسباب الفتن المباشرة وغير المباشرة، ومصادرها الحقيقية والمتوهَّمة.

والنصوص الشرعية جاءت ببيان مصادر الفتن بالجملة، وأن مصدر الفتن التي تقع على الأمة المسلمة إما أن يكون مصدراً داخلياً في الأمة، أو خارجياً، والمصادر الخارجية مرجعها للداخلية في الأصل، لعموم

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الفتن، باب مَنْ كَرِهَ الْخُرُوجَ فِي الْفِتْنَةِ وَتَعَوَّذَ مِنْهَا، رقم (٣٨٤٤٧)، وانظر فتح الباري، ابن حجر، ٤٩/١٣.

النصوص الشرعية كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقوله: ﴿أَوَلَمْآ أَصَابَكُمْ مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، وقوله: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الرّوم: ٤١].

والفتن تصدر عن أسباب كثيرة، ترجع لأسباب رئيسة:

منها: مخالفة شرع الله تعالى، ومخالفته أساس كل فتنة، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، فلا تكاد تتأمل فتنة من الفتن السابقة واللاحقة إلا وتجد عدم الاستجابة لشرع الله تعالى أول أسبابها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [٢٤] وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٤-٢٥]، والله تبارك وتعالى عَظَفَ الأمر باتقاء الشبهة على الأمر بالاستجابة لله تعالى ولرسوله ﷺ مما يدل على التلازم بينهما، فمن خالف شرع الله تعالى حِيلَ بينه وبين قلبه ثم لا يأمن بعدها على نفسه الفتنة.

ومنها: ضعف الولاء والبراء، فضعف الولاء بين المؤمنين، والبراء من الكافرين، أحد الأسباب الرئيسة لظهور الفتن.

فالله تعالى جعل بين المؤمنين رَحِمَ الأخوة فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وبين النبي ﷺ، هذه الرَحِمَ بين المؤمنين كما أنزلها الله تعالى، وبين لهم صورة التلاحم بينهم بقوله ﷺ: «مَثَلُ

الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحِمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»^(١).

والنصوص في بيان هذا المعنى متضافرة من الكتاب والسنة، مما يدل على الولاء والحقوق المشتركة فيما بينهم مهما تباعدت أقطارهم وتباينت أجناسهم فتقوى لِحَمَتِهِمْ وشوكتهم، وتعمهم رحمة الله تعالى التي من آثارها النجاة من الفتن، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]، ويوم أن يضعف هذا الحبل المتين والعقيدة التي هي أصل عند أهل السنة والجماعة، صار المجتمع عُرضَةً للفتن؛ لأن عدم ولاء المؤمنين بعضهم لبعض يُفضي للتقاطع والتدابير والتقاتل ونحوها من صور الافتراق التي تنافي أصل الجماعة التي حثَّ عليها ديننا الحنيف، وكذا حين يضعف جانب البراء من المشركين، فإنه يحصل بين أوساط المؤمنين من الاختلاف واختلاط الحق، والوهن، وتسلب الأعداء، ونزع البركة، ونحوها مما هو مُؤَذِّنٌ بفتنةٍ وفسادٍ كبير، قال تعالى بعد ذكر موالة المؤمنين للمؤمنين من المهاجرين والأنصار: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣].

قال ابن كثير رحمته الله: (إن من الفساد في الأرض اتخاذ المؤمنين الكافرين أولياء، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب رَحْمَةِ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ، رقم (٦٠١١)، وأخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ، رقم (٦٧٥١).

تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ [الأنفال: ٧٣] ^(١).

وقال السعدي رحمه الله: ﴿تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣] فإنه يحصل بذلك من الشر ما لا ينحصر من اختلاط الحق بالباطل، والمؤمن بالكافر، وعدم كثير من العبادات الكبار، كالجهاد والهجرة، وغير ذلك من مقاصد الشرع والدين التي تفوت إذا لم يتخذ المؤمنون وحدهم أولياء بعضهم لبعض ^(٢).

ومنها: قلة العلم وظهور الجهل، والجهل من أخطر الأسباب التي تفتك بالأفراد والأمم، ذلك أن العبد إذا تصرف فيما يعتريه عن جهل كان حرياً بالآلا يهْدَى للصواب، فكيف بأزمان الفتن التي تتطلب علماً وإدراكاً للواقع؟ ولذا قرن النبي ﷺ بين قبض العلم وظهور الجهل وبين الفتن في قوله ﷺ: «يُقْبِضُ الْعِلْمُ وَيُظْهَرُ الْجَهْلُ وَالْفِتْنُ وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ» قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْهَرْجُ؟ فَقَالَ هَكَذَا بِيَدِهِ فَحَرَفَهَا كَأَنَّهُ يُرِيدُ الْقَتْلَ ^(٣).

والم تأمل للفتن الواقعة يجد الجهل عاملاً فاعلاً فيها، والأمثلة في ذلك كثيرة، ومن ذلك الافتتان بقبور الصالحين وبناء المساجد والتنافس في تشييد الأضرحة عليها حتى أصبحت مزارات مشهورة تُقصد لتفريج الكربات، وتسهيل الصعاب، وشفاء المرضى، وطلب الأرزاق والأولاد وإلى غير ذلك من الخرافات الواقعة، مع ثبوت النصوص الصريحة

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي السلامة، ١/١٨١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، تحقيق: د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ص (٣٢٧).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس، رقم (٨٥).

الصحيحة المتضافرة في النهي عن هذه الفتنة، لكنه الجهل يُعمي البصائر عن إدراك الحقائق، عن جُنْدَب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «... أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِهِمْ مَسَاجِدَ أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِنِّي أَنهَاكُمُ عَنْ ذَلِكَ»^(١).

وإذا فسدت عبادة المرء فأى هدف حقق في الحياة، وما جرّه لذلك إلا الجهل، ولذا السلف رحمهم الله يقولون: (احذروا فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون فهذا يشبه المغضوب عليهم، الذين يعلمون الحق ولا يتبعونه وهذا يشبه الضالين الذين يعملون بغير علم)^(٢).

وما أخذت فتن الشبهات مأخذها ممن زاغ قلبه إلا جرّاء الجهل الذي أعمى البصيرة عن إدراك الحقيقة، حتى صار كما قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧].

ومنها: التهاون في الفاحشة إذا ظهرت، فإن هذا مما يؤدي إلى انتشار كثير من فتن الشهوات، وفساد الخلق، وانعدام الحياء، وتوسع الفواحش باتساع عدد العصاة، ويتسع عدد العصاة بالسكوت عن الفواحش إذا ظهرت، حتى تعمّ الفتنة المجتمع بأسره، وفي الفتن أسباب عدّة تختلف باختلاف الفتنة، منها أسباب عامة وأخرى خاصة.

(١) أخرجه مسلم، كتاب المساجد، باب النَّهْيِ عَنْ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ عَلَى الْقُبُورِ وَاتِّخَاذِ الصُّورِ فِيهَا وَالنَّهْيِ عَنْ اتِّخَاذِ الْقُبُورِ مَسَاجِدَ، رقم (١٢١٦).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. ناصر عبدالكريم العقل، ١١٩/١، مكتبة الرشد، الرياض.

٣- إشاعة الوعي بين المدعوين:

إذا حلَّت الفتنة في مجتمع ما، اختلف تناوُل الناس لها، فمنهم من يدرك أبعادها، ومنهم من لا يعرف شيئاً عنها، ومنهم من ليس لديه إدراك شامل، ومنهم من إدراكه للفتنة فيه خلل، ومنهم من يعتمد على ما يتسامعه الناس في مجالسهم ويبني عنده فكرة عن الأزمة التي مرَّت إلى غير ذلك من الأحوال، والاختلاف في كيفية تصور الأزمة يعطي اختلافاً في الوعي والتناوُل.

وأحداث الفتن الأصل في أخبارها تحري الدقة والتثبت والتروّي - كما سيأتي - ومتى كان الوعي فيه خللاً، أو لم يكن ثمة وعي البتة، كانت أرض الأزمة خصبة في فسو الفتنة وتأثيرها.

ولقد عرف الصحابة رضي الله عنهم أهمية إشاعة الوعي، فكان موضوع الفتنة وآثارها مشاعاً في مجالسهم، ويحدثون الناس به، ومن ذلك ما كان في مجلس عمر رضي الله عنه من تدارس الفتنة نوعها والمخرج منها، وتفاوت عظمتها، عن حذيفة رضي الله عنه قَالَ كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ رضي الله عنه فَقَالَ أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ الْفِتْنََ فَقَالَ قَوْمٌ نَحْنُ سَمِعْنَاهُ. فَقَالَ لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ قَالُوا أَجَلْ. قَالَ تِلْكَ تُكْفِرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَذْكُرُ الْفِتْنََ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ قَالَ حُذَيْفَةُ فَأَسْكَتَ الْقَوْمُ فَقُلْتُ أَنَا. الْحَدِيثُ ^(١)، وكذا حذيفة رضي الله عنه كان يجالس أصحابه ويشيع بينهم ما يجب تجاه الفتن، عَنْ سُبَيْعِ بْنِ خَالِدٍ قَالَ أَتَيْتُ الْكُوفَةَ فِي زَمَنِ فُتِحَتْ تُسْتَرُّ أَجْلُبُ مِنْهَا بَغَالًا فَدَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا صَدْعٌ مِنَ الرِّجَالِ وَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ تَعْرِفُ إِذَا رَأَيْتَهُ أَنَّهُ مِنْ رِجَالِ أَهْلِ الْحِجَازِ قَالَ قُلْتُ مَنْ هَذَا

(١) تقدم تخريجه ص ٢٥.

فَتَجَهَّمَنِي الْقَوْمُ وَقَالُوا أَمَا تَعْرِفُ هَذَا؟ هَذَا حُذِيفَةُ بْنُ الْيَمَانِ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ حُذِيفَةُ إِنَّ النَّاسَ كَانُوا يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ فَأَحْدَقَهُ الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقَالَ إِنِّي قَدْ أَرَى الَّذِي تُنْكِرُونَ إِنِّي قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ هَذَا الْخَيْرَ الَّذِي أُعْطَانَا اللَّهُ أَيْكُونُ بَعْدَهُ شَرٌّ كَمَا كَانَ قَبْلَهُ قَالَ «نَعَمْ»، الحديث^(١).

وإشاعة الوعي في الفتنة وما يجب تجاهها في مجالس الناس، من الواجبات الكفائية التي لا يمكن أن يقوم بها غير الداعية إلى الله تعالى. ومن الوعي الذي يلفت الداعية الناس إليه: ماهية الفتنة وحجمها وأثرها، وما يجب تجاهها.

ومن الوعي: استشعار بُعد العبد عن الله تعالى وحاجته إليه، واعترافه بذنبه وتقصيره.

ومن الوعي: الحذر من أعداء الدين الظاهرين، والمتسترين من المنافقين ممن يستغل الأزمة ليطعن الأمة من خلفها، وإن ظهر متباكياً على ما حلَّ بها، فإن نفاقه يجعله يظهر بالنهار ما لا يبطنه بالليل، كما فعل المنافقون مع النبي ﷺ، فإنهم بعد انتصاره في غزوة بدر، أظهروا ولائهم للمسلمين وقربهم حتى كأنهم منهم، ولكن حين حلت الأزمات طعنوا في الدين، فحين أصيب المسلمون في غزوة أحد، ظهر ما كانوا يبطنون، ففضحهم الله تعالى في سورة آل عمران، وحين أصيب المسلمون في الخندق فضحهم الله تعالى كما في سورة الأحزاب، وفي أزمة الإفك فضحهم الله تعالى في سورة النور، وهكذا يكونون في كل أزمة وفتنة

(١) تقدم تخريجه ص ٢٧.

تلحق بالمسلمين إشاعة الوعي بشأنهم مما يستوجب الحذر، ويُؤمّن معه الخطر.

ومن الوعي: الوعي بمظاهر الضعف الإيماني عند العبد، وكيف ينهزم أمام الفتنة التي حلّت به، وماذا ينبغي أن يفعله من الضمانات الشرعية كما تقدّم بيانه.

ومن الوعي: الوعي بمظاهر الضعف العلمي تجاه الشُّبه الملقاة على عقل العبد، وماذا ينبغي أن يفعله من الضمانات الشرعية كما تقدّم بيانه.

ومن الوعي: الوعي بمواطن الضعف والقوة، والمشكلات التي ربما تطرأ في الفتنة، وتأثيرها على العبد سلباً أو إيجاباً بحسب سلامة تعامله مع الفتنة على المنهج الشرعي القويم.

ومن الوعي: الوعي بحقيقة النصر، ومعناه، وشموله، وسبيله، والثبات في طريقه حتى لو ضاق، فإنه مصيره إلى سعة، وحِكم الله تعالى في تأخر النصر، أو تحقيق بعضه، وكل ما يتعلق به.

ومن الوعي: الوعي بالابتلاء، والحكمة منه، وفوائده، وبيان قصص الأنبياء والسابقين فيه.

ومن الوعي: الوعي بسنن الله تعالى في المحن، وعاقبة الصبر، وألطف الله تعالى عند المحن.

وبالجملة فإن على الداعية إشاعة كل ما يتعلق بالفتن مما يحتاجه الناس لمواجهة الفتنة وفقّ منهج شرعي صحيح يحفظ لهم دينهم ويؤمنهم مما أصابهم.

٤- تغيير المنكر:

الفتنة مهما اختلفت في نوعها وحجمها، إذا لم تجد من يُخَمِّدُهَا فإنها تنتشر، ويكثر واردوها وأصحابها، ومن أهم ركائز الدين التي جاءت نصوص الشريعة مجمعة على وجوبها ركيزة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصوص في بيان وجوبها وأهميتها وفضلها من الكتاب والسنة متضافرة، فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ومن السنة قول النبي ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١).

وفي الآية مدح الله تعالى الأمة واستحقت الخيرية لقيامها بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ أن نفعها متعدّد وبها تُحَفِظُ الأمة من الفتنة المفضية للهلاك.

قال القرطبي رحمه الله: (قوله تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠] مدح لهذه الأمة ما أقاموا ذلك واتصفوا به، فإذا تركوا التغيير وتواطئوا على المنكر زال عنهم اسم المدح ولحقهم اسم الذم، وكان ذلك سببا لهلاكهم)^(٢).

قال ابن كثير رحمه الله: (ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩]^(٣).

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْإِيمَانِ، رقم (١٨٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: سمير البخاري، ١٧٣/٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي السلامة، ١٠٣/٢.

وتغيير المنكر بمستوياته الثلاثة المتقدمة في الحديث واجب عينيّ يجب على كل فرد من أفراد الأمة المكلفين، فليس أحد منهم معذور بترك الإنكار القلبي، وأما الإنكار باليد واللسان فكلٌّ بحسب استطاعته.

ولمّا كانت الفتن من شأن ردها وتغييرها ووعظ الناس وتحذيرهم منها يحتاج إلى علم وبيان وحكمة، كان الدعاة إلى الله تعالى أولى الناس بهذا البيان وأحراهم للقيام بهذا الواجب الكفائي، ولما صار في المسلمين من يحرص على المنكر وينشره ويحميه ليبقى، حلّت بالأمة فتن كثيرة، واضطرابات متنوعة، ونوافذ متعددة لبيث أهل النفاق والإلحاد شهواتهم وشبهاتهم، فصارت التبعة على الدعاة إلى الله تعالى ثقيلة، والقيام بهذا الواجب ألزم، والتخلي عنه سبب في تفشي الفتنة في أوساط المسلمين، ومعلوم أن الفتنة وما يترتب عليها من عذاب إذا حلّت لا تصيب الظالمين فقط، بل تعمّ الظالمين وغيرهم، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥].

قال السعدي رحمه الله: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ بل تصيب فاعل الظلم وغيره، وذلك إذا ظهر الظلم فلم يغير، فإن عقوبته تعم الفاعل وغيره، وتقوى^(١) هذه الفتنة بالنهي عن المنكر، وقمع أهل الشر والفساد، وأن لا يمكنوا من المعاصي والظلم مهما أمكن^(٢).

فعلى الداعية استشعار هذا الواجب وأهميته في ردّ الفتنة عن الأمة،

(١) أي اتقاء هذه الفتنة يكون بالنهي عن المنكر.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، تحقيق: د. عبد الرحمن ابن معلا اللويحق، ص ٣١٨.

وعليه استحضر الهدى الشرعي في تطبيق واجب التغيير في الفتنة^(١)، وكل نهج على خلاف النهج الشرعي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد يفضي إلى فتنة أكبر وأعم.

٥- حث المدعوين على العبادة واللجوء إلى الله في الفتنة:

العبادة من أهم المهمات التي ينبغي للناس الانشغال بها والإكثار منها عند الفتن، ذلك أنها عصمة بالله تعالى، ولجوء إليه، واعتراف بالضعف، وطلب للحفظ من الفتن، ولذا النبي ﷺ أمر أزواجه بالعبادة حين أخبرهم بالفتن فقال بعدما استيقظ ليلة فزعاً: «سُبْحَانَ اللَّهِ مَاذَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْخَزَائِنِ وَمَاذَا أَنْزَلَ مِنَ الْفِتَنِ مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الْحُجُرَاتِ - يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ - لِكَيْ يُصَلِّيْنَ رَبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ»^(٢) ففي الصلاة مناجاة العبد ربّه أن يكشف ما أَلَمَّ به، واعتصام بالله تعالى أن يحفظه من كل ما يحول بينه وبين دينه، وللعبادة في الفتن فضل خاص ستأتي الإشارة إليه.

وإرشاد النبي ﷺ للعبادة في الفتن، دليل على أنها عصمة وطمأنينة للعبد، ونجاة من غوائل الفتن ووحشتها.

والداعية إلى الله تعالى وارث الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - في العلم وأكثر الناس اقتداء بهم، فلئن كان الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام

(١) ومما ينبغي للداعية مراعاته فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن ذلك الشروط التي ذكرها العلماء عند تغيير المنكر وهي: أن يكون المنكر محرماً قطعاً، وأن يكون ظاهراً، وأن يكون مقدوراً على تغييره، وألا يفضي تغييره إلى ما هو أنكر منه.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب ظهور الفتن، رقم (٧٠٦٩).

- أعبد الناس، وأثنى الله تعالى عليهم بذلك، وأمرهم بأن يستحثوا أقوامهم للعبادة بقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [التَّحَلُّ: ٣٦]، فالداعية إلى الله تعالى أولى الناس بهذه المهمة، قولاً وعملاً، فينبغي له أن يتفرغ للعبادة ملازماً لها، قائماً بين يدي الله تعالى متضرعاً له أن يثبتته على الدين ويعينه على تحمل أعباء الدعوة والقيام بها على أكمل وجه، فيدعو الناس إلى دين الله تعالى وعبادته كما كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وتقدّم كيف قرن النبي ﷺ الإخبار بالفتن بدعوة أزواجه للعبادة فيها.

ولمّا كانت أيام الفتن أيام انشغال وغفلة بما يجري فيها عن العبادة والقرب من الله تعالى، كان من واجبات الداعية الكفائية دعوة الناس للعبادة، وتذكيرهم بفضلها وأثرها وأهميتها، وعِظَم أجراها، لاسيما وقت الفتن حيث قال ﷺ: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرَجِ كَهَجْرَةِ إِلَيَّ»^(١)، وسبب كون العبادة في الفتن فضلها عظيم كهجرة إلى النبي ﷺ، هو انشغال الناس عنها، ولذا هم في الفتن أحوج فيمن يذكرهم بالعبادة ويدلهم عليها وفضلها.

قال النووي رحمه الله: (المراد بالهرج هنا الفتنة واختلاط أمور الناس وسبب كثرة فضل العبادة فيه أن الناس يغفلون عنها ويشغلون عنها ولا يتفرغ لها إلا أفراد)^(٢).

(١) تقدم تخريجه ص ١١٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي، ٨٨/١٨.

٦- التوازن في تناول الفتنة النازلة بين الأمن والخوف:

وهذا من الواجبات الكفائية الهامة في طرح الداعية وتناوله لفتنة ما ، فإنه من الخطأ تناول الفتنة تناولاً مبيتاً يشعر السامع بأن ما نزل مجرد خبر فيه غرابة ما يلبث أن يزول، عندها لا يستشعر الناس الفتنة ولا يأخذوا بمخارجها وضماناتها الشرعية، كما أنه من الخطأ إشاعة الخوف والهلع في قلوب المؤمنين وإرجافهم وكأن ما نزل بهم لا نجاة لهم منه، فإن ذلك يوهن النفوس، ويضعف القوى، ويذهب ريح التأهب والاستعداد، وكأنهم هلكوا، وهذا مما يقع فيه بعض الدعاة إلى الله من غير قصد، أو بقصد تهويل الأزمة لتأخذ من قلوبهم مأخذاً يجعلهم يحسنوا الاستعداد.

ولا يخفى أن من صفات المنافقين تحيُّن الفرص لبث الرعب في قلوب المسلمين، وتهويل المقام بحرب إعلامية، تبث في النفوس الهلع لتخور قواها، وتيأس من جدوى المدافعة والثبات.

ولو تأمل الداعية إلى الله تعالى منهج النبي ﷺ في أمر الأمن والخوف، لوجد عين التوازن بينهما حسب ما يقتضيه المقام، فقد كان النبي ﷺ يحدّثهم عن الفتنة حتى كأنها ستقع بهم حالاً فيتأهبوا لها، ففي حديثه عن فتنة الدجال في حديث النّوّاس بن سَمْعَانَ قَالَ ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَعَ حَتَّى ظَنَّنَاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ». قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتَ الدَّجَالَ غَدَاةً فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَعْتَ حَتَّى ظَنَّنَاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ. فَقَالَ «غَيْرُ الدَّجَالِ أَخَوْفُنِي عَلَيْكُمْ إِنْ يَخْرُجَ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ». الحديث^(١)، فهو

(١) تقدم تخريجه ص ١٢١.

ﷺ حَدَّثَهُمْ عَنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ حَتَّى بَلَغَ بِهِمْ مِنْ قُوَّةِ أَخَذِ الْحَزْمِ وَالِاسْتِعْدَادِ أَنْ ذَهَبُوا يَبْحَثُونَ عَنْهُ، وَحِينَ يَبْلُغُ بِأَصْحَابِهِ مِنَ الْفَزَعِ وَالْهَلَعِ لِأَمْرِ مَا، يَعِيدُ ﷺ تَوَازَنَ الْأَمْرَ عِنْدَهُمْ، فِيهِ صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ فَرَعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَأَنْطَلَقَ النَّاسُ قَبْلَ الصَّوْتِ فَاسْتَقْبَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ سَبَقَ النَّاسَ إِلَى الصَّوْتِ وَهُوَ يَقُولُ: «لَنْ تُرَاعُوا لَنْ تُرَاعُوا»^(١) «وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ..»^(٢).

وفي غزوة الأحزاب حين تحزبت أحزاب الكفر على المؤمنين، واشتدت الأزمة بالمؤمنين وبلغت مبلغها، وصوّر القرآن شدة الأزمة والخوف الذي بلغ الحناجر، فقال تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا ۝ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝﴾ [الأحزاب: ١٠-١١] كان ﷺ يعلقهم بالله تعالى ويبث روح التفاؤل في نفوسهم، ويذكرهم بوعد الله تعالى لهم ونصره، فانعكس ذلك على الصحابة فازداد إيماناً واطمئناناً وتسليماً، قال الله تعالى عنهم: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ۝﴾ [الأحزاب: ٢٢].

قال ابن كثير رحمه الله: (أي هذا ما وعدنا الله ورسوله من الابتلاء والاختبار والامتحان الذي يعقبه النصر القريب)^(٣).

(١) وهو بمعنى النهي أي لا تراعوا، أي لا تفزعوا والروع هو الفزع، انظر النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، مادة (روع)، ص (٣٨٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب حُسْنِ الْخُلُقِ وَالسَّخَاءِ وَمَا يُكْرَهُ مِنَ الْبُخْلِ، رقم (٦٠٣٣).

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي السلامة، ٦/٣٩٢.

وقال السعدي رحمته الله: ﴿هَٰذَا لَكِ الْيَوْمَ الْفِتْنَةُ الْعَظِيمَةُ﴾ ﴿وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١١] بالخوف والقلق، والجوع، ليتبين إيمانهم، ويزيد إيقانهم، فظهر - والله الحمد - من إيمانهم، وشدة يقينهم، ما فاقوا فيه الأولين والآخرين، وعندما اشتد الكرب، وتفاقمت الشدائد، صار إيمانهم عين اليقين، ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَسَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢] ^(١).

وهكذا ينبغي للداعية مع الفتن أن يوازن بين خطاب الأمن والخوف للناس، والمنهج القويم في التوازن بينهما ينطلق من أهل العلم والفهم والحل والعقد، فعلى الداعية الرجوع إليهم في تصوّر الفتنة وتناولها كما ينبغي.

٧- اجتناب الجدل والتحزب الذي ربما يطرأ وسط الدعاة:

من طبيعة الفتن إذا وقعت، والأزمة إذا نزلت، أن يتناولها الدعاة بحثاً عن خطوات النجاة منها، ويضيق وقت الاستدراك فيها، واختلاف الحكم على الأحداث وارد فيها، وبالتالي فمكائد الشيطان في التفريق ونشوء الاختلاف والفرقة بين المسلمين لاسيما الدعاة متنوعة، ومداخله خفية.

والله تعالى أمرنا بالاجتماع ونبذ الفرقة، فقال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

والنصوص في الحث على الاجتماع والنهي عن الافتراق والتدابير متضافرة، ولذا من الأصول المهمة بين المسلمين لاسيما وقت الأزمات

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، تحقيق: د. عبد الرحمن ابن معلا اللويحق، ص ٦٥٩.

والفتن لزوم الجماعة وإمامهم كما سيأتي بيانه.

ولقد جعل الله تعالى الاجتماع من مواطن القوة المؤثرة في أي عمل للخير، كما أن الافتراق والتحزب سبب في الضعف والفشل، وفرصة للأعداء في نيل مآربهم فقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

قال السعدي رحمه الله: (فأخبر أن ائتلاف قلوب المؤمنين وثباتهم وعدم تنازعهم سبب للنصر على الأعداء، وأنت إذا استقرأت الدول الإسلامية وجدت السبب الأعظم في زوال ملكها ترك الدين والتفرق الذي أطمع فيهم الأعداء وجعل بأسهم بينهم)^(١).

فأول من نحتاج إلى الالتفاف حولهم ورص الصف معهم هم العلماء الربانيون والعاملون معهم من الدعاة الصادقين، والمجاهدين في سبيل الله، وكلما كانت القيادات الموجهة أقل، كانت الوحدة والجماعة أكثر، أما قيادات العمل والتفعيل والتنفيذ فهذه من طبيعتها أن تكثر لتستوعب الأمة، لكن الكلام عن القيادات الموجهة للمنهج القويم حيال الفتنة، والمنظرة لواقع الأمة، فإذا تحقق ذلك كان بالمقدور تنظيم الصف يداً واحدة هي يد الجماعة، تنطلق بأهداف واحدة وقوى متحدة، وإن تخلل ذلك آراء تخالف رأي الجماعة أو ترى في أمر ما رأياً آخر، فهذه سنة الحياة في اختلاف الآراء مادامت غير مؤثرة تأثيراً بالغاً في العمل أثناء الفتنة وكانت في دائرة الاجتهاد المحمود الذي يحتمله النص ولا يؤثر في مفهوم الجماعة، إلا أنه من الآراء ما يبلغ حدّ الشذوذ الذي ينتج معه

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، تحقيق: د. عبد الرحمن ابن معلا اللويحق، ص ١٢٦.

انشقاق في وحدة الصف وتفرقة له فهذا هو المذموم والذي ينبغي التنبيه له قبل الوقوع، والمعالجة له بعد الوقوع.

فإن اختلاف القلوب وتفرقها من شأنه أن يحدث خللاً في الصف، لاسيما وقت الفتن، والتي أخبرنا النبي ﷺ، عن قلوب تُغيّرُها الفتن، فتفارق ما كانت عليه من الصفاء واتباع الحق، فأشار إليها النبي ﷺ بالدّخن الذي يعقب وقوع الفتنة، فليحذر الداعية أن يكون مقصوداً بذلك، عن حذيفة رضي الله عنه بن اليمان يقول كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت يا رسول الله إنا كنا في جاهليّة وشرّ فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير شرّ قال «نعم» فقلت هل بعد ذلك الشرّ من خيرٍ قال «نعم وفيه دخن». قلت وما دخنه قال «قومٌ يستنون بغير سُنّي وبهْدُون بغير هُدًى تعرّف منهم وتُنكروا» الحديث^(١).

قال النووي رحمه الله: (والمراد - بالدّخن - هنا أن لا تصفو القلوب بعضها لبعض ولا يزول خبثها ولا ترجع إلى ما كانت عليه من الصفا)^(٢).

وعليه فإنه من المهم أن يعرف الداعية فقه الاختلاف وأدبه، وفقه الأخوة وما يحتملها، وأدب النصح، والتصحيح، وبيان الحق والصبر على ذلك، وليجتهد في تقريب وجهات النظر المحتملة، وتصحيح المفاهيم المجانبة للصواب، فإن لم يستطع فليجتهد بالدعاء والضراعة إلى الله تعالى أن يقرب القلوب، ويجمع الكلمة على الحق.

وليحذر الداعية إلى الله تعالى من الوقوعة بأهل العلم، أو تصنيف

(١) تقدم تخريجه ص ١٨٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي، ٢٣٦/١٢.

الدعاة وتفريقهم والوقية فيهم، فضلاً عن إلقاء التهم بالتكفير والتفسيق والتبديع والضلال، أو يطعن في دينه وعدالته بمجرد مخالفته له، ويتساهل في هذا، فإن هذا ليس أمراً سهلاً يطلق معه الداعية ما يشاء من الألفاظ والألقاب، وودَّ الشيطان لو ظفر بهذا لاسيما وقت الفتن، فتنشأ معه التحزبات والتفرقة، ولا يعني هذا أن تكون كلمة الحق تشمل كل أحد ولو خالفها، وإنما المقصود السعي للتصحيح بلا تجريح، والنصح بلا فضح، والدعوة لمنهج الحق بالحق، وبيان الخطأ والرد عليه بالدليل، والشفقة على المخالف بدعوته للحق والدعاء له بالهداية عند المخالفة، لا أن تكون عبارات التفرقة والتحزيب هي المسيطرة على الخلاف إذا وقع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: (إني من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معيّن إلى تكفير وتفسيق ومعصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة، وفاسقاً أخرى، وعاصياً أخرى، وإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها: وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية، وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر ولا بفسق ولا معصية)^(١).



(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، تحقيق: أنور الباز، ٢٩٩/٣.

المبحث الثاني

الضوابط الشرعية لمنهج الداعية عند الفتن

إن مما ينبغي العناية به معرفة الضوابط المتعلقة بالفتن، لكون ذلك يتعلق بمنهج الداعية عند الفتن، فبعد معرفة الداعية ما يجب عليه عينياً وكفائياً، بقي أن يعرف الضوابط المتعلقة بذات الفتنة ووقتها وثبوتها، وما تختص به، وهذا ما يُميّز الواجبات عن الضوابط، فمثلاً معرفة (أن الأصل في إنزال أخبار الفتن على الواقع الرد)، هذا ضابط من ضوابط الفتن وأوقاتها، لا واجب يتعلق بالداعية.

والضوابط هي مما يتعلق بفقه الفتن الفقه الشرعي الذي ينبغي للداعية معرفته، وفقه التعامل مع الفتن باب من أبواب الدين، له أحكامه ومنهجه القويم، ومن ذلك الضوابط المتعلقة به، المستمدة من الكتاب والسنة، وسأذكر بعض الضوابط المهمة في فقه المنهج الشرعي عند الفتن، فمن ذلك:

الضابط الأول: الاعتصام بالكتاب والسنة عصمة من كل فتنة:

وهذا الضابط جماع الضوابط كلها، بل كل ما يتعلق بالمنهج الشرعي عند الفتن داخل فيه ومتفرع عنه، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]، وقال النبي ﷺ: «... وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ...» الحديث^(١).

(١) تقدّم تخريجه ص ١٥١.

وعن العَرَبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «... فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(١).

ونصوص الاعتصام بالكتاب والسنة ضمناً وصراحةً كثيرة، بل عماد الدين والاستقامة يكون بالتمسك بهذين الأصلين، ولذا جاء الحث على التمسك بهما؛ لأنهما نجاة للعبد وعصمة له من الزلل والانحراف، وهما البرهان والدليل لكل تائه وحيران، وبهما العصمة من ظلمات الهوى والجهالة والفتن، وكلما كان العبد لهما ألزم كلما استنار قلبه وانجلت عنه الشكوك والأوهام والضلالات وازداد اطمئناناً وأمناً.

وما ضلَّ مَنْ ضلَّ بفتن الشهوات أو الشبهات إلا لأنه لم يتحصَّن بهذا الحصن المنيع، وكل شبهة في القلب أو شهوة إنما هي بقدر بُعْدِ العبد عن حبلى الله تعالى الذي أمرنا به بقوله: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وما نجا أحد إلا بعدما لجأ إلى الله تعالى وتمسك بهدي نبيه ﷺ، فحَسُنَ قَصْدُهُ، واستعان بربه، وفَوَّضَ الأمر له، وأخلص في علمه وعمله، واستفاضت الأدلة على أن من اعتصم بالكتاب والسنة حقاً فسيظفر بالعصمة من حبائل الشيطان وغوائل النفس وظلمات الفتن، فلن تضره فتنة إلى يوم القيامة، ومن جميل ما ذكره ابن القيم عن معنى الاعتصام وما

(١) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في لزوم السُّنَّةِ، رقم (٤٦٠٩)، وأخرجه الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، ح (٢٦٧٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٦٠٧).

يستلزم ونوعيه قوله: «... واتصال الاعتصام: تصحيح القصد، ثم تصفية الإرادة، ثم الحال... فاتصال الاعتصام مقام الإيمان... فقد قال الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعَمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعَمَ النَّصِيرُ﴾ (٧٨) [الحج: ٧٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١٠١) [آل عمران: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٤٦]، وقال: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، فالاعتصام به نوعان:

- ١- اعتصام توكل واستعانة، وتفويض، ولجأ، وعياذ، وإسلام النفس إليه والاستسلام له سبحانه.
- ٢- والثاني اعتصام بوحيه، وهو تحكيمة دون آراء الرجال ومقاييسهم ومعقولاتهم وأذواقهم وكشوفاتهم ومواجيدهم، فمن لم يكن كذلك، فهو مُنْسَلٌّ من هذا الاعتصام، فالدين كله في الاعتصام به وبحبله، علماً، وعملاً، وإخلاصاً، واستعانة، ومتابعة، واستمراراً على ذلك إلى يوم القيامة^(١).

وجعل الإسلام عصمة النفس والمال مقيّدة بالاعتصام بالكتاب والسنة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»^(٢).

(١) مدارج السالكين، ابن القيم، ٣/٣٢٣.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، رقم (١٣٥)، وأخرجه البخاري من حديث ابن عمر في كتاب الإيمان، باب ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾، رقم (٢٥).

وعصمة النفس والمال في الحديث هي حق للعبد ولو لم يمثّلها إلا ظاهراً، فالله يتولى سريره، أما عصمة القلوب من فتن الشبهات والشهوات وغوائل النفس فلا تكون إلا لمن جاء بحق الاعتصام على أكمل وجه، وبقدر اعتصامه تكون نجاته.

وأما الداعية إلى الله تعالى فإنه مما ينبغي أن يتنبه له في هذا الضابط أنه كلما كان استقاؤه من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه ودلالة الناس على الاعتصام بهما كان التوفيق والقبول حليفه، وكلما ابتعد عن هذين المصدرين وأصبح يتلقى من مصادر أخرى كانت دعوته على غير منهاج الأنبياء، فعليه أن يمثّلها قولاً وعملاً، ويحث الناس على التمسك بهما، ثم ليعلم الدعاة بأنه لا اجتماع على كلمة الحق إلا بالاعتصام بالكتاب والسنة، وما تباينت طُرُق الدعاة إلى الله تعالى في واقعنا إلا لتباين المصادر، وتفاوت مقدار الأخذ بالكتاب والسنة، ومن هنا نشأت الفرقة والاختلاف في الطرح الدعوي، ودخلت الأهواء حيث وجدت سبيلاً لها لبُعد الداعية عن المصدرين الأساسيين، وعندها تتنافر القلوب والأنفس، وتنشأ الفرقة والتناحر والشتات والفوضى والاختلاف التي هي أصل من أصول الفتن، كل ذلك لعدم الاعتصام بما أمر الله تعالى حيث قال: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

قال القرطبي رحمه الله: (فأوجب تعالى علينا التمسك بكتابه وسنة نبيه، والرجوع إليهما عند الاختلاف، وأمرنا بالاجتماع على الاعتصام بالكتاب والسنة اعتقاداً وعملاً، وذلك سبب اتفاق الكلمة، وانتظام الشتات الذي يتم به مصالح الدنيا والدين، والسلامة من الاختلاف، وأمر بالاجتماع

ونهى عن الافتراق الذي حصل لأهل الكتابين، هذا معنى الآية على التمام^(١).

الضابط الثاني: التبيين والتثبت في معرفة وثبوت أخبار الفتن الحاضرة:

التبيين والتثبت مبدأ قرآني مع الأنباء لاسيما التي يحتملها عدم الوقوع، أو أن يكون حاملوها ممن لا يوثق بأخبارهم، وهو مبدأ يذب عن الأعراض، ويقطع القيل والقال، ويضع الحدث في موضعه الأصلي، بلا زيادة ولا نقصان، وبلا تهوين ولا إرجاف، وهذا ما تحتاجه أنباء الفتن.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَلٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَهَلَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحُجَرَات: ٦]، قرأ الجمهور (فتبينوا) وقرأ حمزة والكسائي (فتثبتوا)^(٢) والمراد الدقة وعدم العجلة والتبصر في الأمر الواقع، والخبر الوارد حتى يتضح ويظهر.

ومن شأن الفتن وأخبارها أن يعترئها الغموض والالتباس والحيرة واختلال الموازين فتستلزم الدقة في تصويرها، ونقل الأخبار جزافاً بلا تبيين ولا تثبت يؤدي إلى أضرار كبيرة، في تصوّر الفتنة، وفي تناولها، وفي توجيه الناس حيالها، لأن أخبار الفتن متعلقة بعموم الأمة، وعدم التثبت سيرهقها كثيراً، ويكلفها من وقتها وجهدها ومالها ما تكون في غنى عنه فيما لو تثبتت، ولذا الأصل في الأخبار المتعلقة بالفتن عدم ثبوتها إلا بعد التبيين.

ومن تأمل فتنة الإفك، يدرك أهمية هذا الضابط بجلاء، فالله تعالى أرشد المؤمنين إلى اليقين الذي عندهم وهو أنه كما يتيقنوا من خيرية

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: سمير البخاري، ١٦٤/٤.

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: سمير البخاري، ٣٣٧/٥.

أنفسهم، فخيرية أمهات المؤمنين وطهارتهن وشرفهن أولى، وردّ الأخبار من غير تثبت، فقال تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢] وأمرهم بعدها بالتثبت في مثل هذه الأقوال بالأحكام المعروفة فقال: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النور: ١٣].

وبعدها بآية، وصف حالهم من سرعة نقل الخبر وتلقيه وإشاعته من غير تثبت وعلم، ومغبة ذلك وأنه تصرف مذموم ويؤدي إلى أمر عظيم فقال تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥].

ومن طبيعة الإنسان الإذاعة بالأمر ونشره، لاسيما مع كثرة وسائل الإعلام الناقلة للأخبار في واقعنا من صحف ومجلات ومواقع إلكترونية، بل من أبرز المحطات الإعلامية وأكثرها في واقعنا اليوم المواقع الإخبارية، بالإضافة إلى كثرة القيل والقال ونقل الأخبار وتحليلها في مجالس الناس اليوم، وعدم تحرّي الدقة لاسيما في نقل أمور الخوف التي تحيط بالأمة وهذا يؤدي إلى خلل في التصوّر ومن ثم خلل في التناول والمعالجة، وكم تضرر أناس وانعكست مفاهيم، واختلت موازين جرّاء نقل أخبار فتن مرّت بالأمة من غير تثبت ولا تبيين.

ولقد أنكر الله تعالى وكره الإذاعة بأمور الخوف بين الناس من دون تمحيص لها وتبيين فقال: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، فأمر الله تعالى بردّ الأمر إلى أهل الحل والعقد لئلا تذاع أخبار الخوف جزافاً، فهم الأعلام بما يذاع وما لا يذاع، ومن أمور

الخوف الجديرة بالتمحيص والدقة أخبار الفتنة التي تحلُّ بالامة.

قال ابن كثير رحمته الله: في تفسير الآية: (إنكار على من يبادر إلى الأمور قبل تحققها، فيخبر بها ويفشيها وينشرها، وقد لا يكون لها صحة)^(١).

وقال السعدي رحمته الله: (هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق. وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردُّونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها. فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطا للمؤمنين وسرورا لهم وتحريزا من أعدائهم فعلوا ذلك. وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحة، أو فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد على مصلحته، لم يذيعوه، ولهذا قال: (لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة.

وفي هذا دليل لقاعدة أدبية وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يولَّى مَنْ هو أهل لذلك ويجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ. وفيه النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه، هل هو مصلحة، فيُقَدِّم عليه الإنسان؟ أم لا فيحجم عنه؟^(٢).

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي السلامة، ٢/ ٣٦٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، تحقيق: د. عبد الرحمن ابن معلا اللويحق، ص ١٩٠.

وعليه فإن العبد والداعية على وجه الخصوص يتحرى الدقة فيما يتعلق بأخبار الفتن الحاضرة بالتيين والثبوت، وينبغي أن يراعي ما يلي:

- ١- عدم التسرع والاستعجال في الحكم على الأشياء بمجرد وصول خبرها دون تثبت، لئلا يحصد ثمرة عجلته فيندم، إما بفتوى خاطئة، أو بفقد صديق، أو تكثير عدو، أو بفقد ثقة الناس به ونحو ذلك.
- ٢- إدراك أنه ليس كل ما يُسمع يقال، لاسيما في أخبار الفتن فإنه سيسمع كثيراً؛ لخوض الناس فيها، ولقد أخبر النبي ﷺ أن من حدّث بكل ما سمع فلن يسلم من الكذب، لعدم دقة ما يقال، فقال ﷺ: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»^(١)، بل يفقد الداعية بذلك إحدى مقومات الثقة والقدوة، قال عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا يَكُونُ الرَّجُلُ إِمَامًا يُقْتَدَى بِهِ حَتَّى يُمَسِكَ عَنْ بَعْضِ مَا سَمِعَ»^(٢).

- ٣- مراعاة المصلحة والمفسدة في طرح أخبار الفتن الواقعة، فليس كل ما يُعلم يُقال، وليس كل ما يُقال، يُقال عند كل أحد، وإنما المراد في الإذاعة بأخبار الخوف ومنها الفتن هم أهل الحل والعقد، كما تقدّم في الآية، وللعلامة ابن سعدي كلام نفيس في هذا تقدّم إirاده. فأخبار الفتن حتى بعد التثبت ليس كلها يصلح أن تُقال عند العامة، بل من الأخبار ما لا يقال إلا للخاصة، لسلامة فهمهم وحسن تناولهم لما وقع، وهذا الشأن كان مما يراعيه الصحابة رضي الله عنهم فكانوا يراعون الزمان، والمكان، والحال، والعقول، والأفهام، ففي

(١) أخرجه مسلم في المقدمة، رقم (٧).

(٢) أخرجه مسلم في المقدمة، رقم (١٢).

صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كُنْتُ أَقْرِئُ رَجُلًا مِنْ الْمُهَاجِرِينَ مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فَبَيْنَمَا أَنَا فِي مَنْزِلِهِ بِمَنَى وَهُوَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي آخِرِ حَجَّةٍ حَجَّهَا إِذْ رَجَعَ إِلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَالَ لَوْ رَأَيْتَ رَجُلًا أَتَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْيَوْمَ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَلْ لَكَ فِي فُلَانٍ يَقُولُ لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ لَقَدْ بَايَعْتُ فُلَانًا فَوَاللَّهِ مَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا فَلْتَةً فَتَمَّتْ فَعَضِبَ عُمَرُ، ثُمَّ قَالَ إِنِّي إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَقَائِمُ الْعَشِيَّةِ فِي النَّاسِ فَمُحَذِّرُهُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَعْصِبُوهُمْ أُمُورَهُمْ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَفْعَلْ فَإِنَّ الْمَوْسِمَ يَجْمَعُ رَعَاةَ النَّاسِ وَغَوَّاءَهُمْ، فَإِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَغْلِبُونَ عَلَى قُرْبِكَ حِينَ تَقُومُ فِي النَّاسِ وَأَنَا أَخْشَى أَنْ تَقُومَ فَتَقُولَ مَقَالَةً يُطِيرُهَا عَنْكَ كُلُّ مُطِيرٍ، وَأَنْ لَا يَعُوهَا، وَأَنْ لَا يَضْعُوهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا فَأَمْهَلُ حَتَّى تَقْدَمَ الْمَدِينَةَ فَإِنَّهَا دَارُ الْهَجْرَةِ وَالسُّنَّةِ فَتَخْلُصَ بِأَهْلِ الْفِقْهِ وَأَشْرَافِ النَّاسِ فَتَقُولَ مَا قُلْتَ مُتَمَكِّنًا فَيَعِيَ أَهْلُ الْعِلْمِ مَقَالَاتَكَ وَيَضْعُونَهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا فَقَالَ عُمَرُ أَمَا وَاللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَأَقُومَنَّ بِذَلِكَ أَوَّلَ مَقَامٍ أَقُومُهُ بِالْمَدِينَةِ... الحديث^(١).

وفي مقدمة صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةٌ»^(٢).

٤- مما يتعلق بأخبار الفتن، التعلق بالرؤى المنامية في إثبات خبر الفتنة أو خبر يتعلق بالفتنة، وهذا مما شاع إيرادَه لاسيما في زماننا،

(١) أخرجه البخاري، كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب رَجْمِ الْحُبْلَى مِنْ الرِّثَا إِذَا أُخْصِنَتْ، رقم (٦٨٣٠).

(٢) مقدمة صحيح مسلم، رقم (١٤).

والحق أن الأخذ بهذا على الإطلاق لا يصح، وردّه على الإطلاق لا يصح أيضاً؛ لأن الرؤى من مبشرات النبوة التي أخبر بها ﷺ بقوله: «إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مَبَشِّرَاتِ النَّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تَرَى لَهُ»^(١).

وعليه فإن الرؤيا يُعتَبَرُ بها ويستأنس بأخبارها، ولا يُجزم ويُقطع بصحتها، وهذا بعد تحقق ثلاثة شروط:

أولها: أن يكون تفسير الرؤى من قِبَل عالم شرعي موثوق بدينه وعلمه.

ثانيها: أن يكون العالم الشرعي ممن اشتهر بقدرته على تأويل الرؤى.

ثالثها: ألا يعارض تفسير الرؤيا منقولاً شرعياً مما جاء بالكتاب والسنة، بحيث أن الرؤيا لا تصادم المنقول ولا تعارضه.

فإذا توفرت الشروط فإنه يُؤخذ بالرؤيا استثناساً، فقد تكون دليل خير تجلب التفاؤل، وقد تكون دليل شر توجب الحذر، إلا أنه لا يُجزم بوقوعها، ولا يُبنى عليها أحكام شرعية.

قال الشاطبي رحمه الله: (وعلى الجملة فلا يُستدل بالرؤيا في الأحكام إلا ضعيف المنّة، نعم يأتي المرئي تأنيساً، وبشارة، ونذارة، خاصة بحيث لا يقطعون بمقتضاها حكماً، ولا يبنون عليها أصلاً، وهو الاعتدال في

(١) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب التَّهَيُّ عَنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، رقم (١١٠٢)، وأخرجه البخاري عن أبي هريرة بلفظ «لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ قَالُوا وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ قَالَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ»، كتاب التعبير، باب المبشرات، رقم (٦٩٩٠).

أخذها حسبما فهم من الشرع فيها والله أعلم^(١).

الضابط الثالث: أصل الانتماء في الفتن للجماعة ولزوم السمع والطاعة في المعروف:

الانتماء تحت مظلة الجماعة ولزوم السمع والطاعة في المعروف من الضوابط المهمة، إذ به تجتمع الكلمة، وتقوى الشوكة، وينقض تخطيط الأعداء ومنافقي الأمة، ويضعف كيد الشيطان، ويأمن العبد على دينه ونفسه وماله وعرضه، ولقد جاءت النصوص الكثيرة دالة على هذا الضابط، ومن ذلك:

١- عن حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه يَقُولُ كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةً أَنْ يُدْرِكَنِي فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٌّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ قَالَ: «نَعَمْ» فَقُلْتُ هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ قَالَ: «نَعَمْ وَفِيهِ دَخْنٌ». قُلْتُ وَمَا دَخْنُهُ قَالَ: «قَوْمٌ يَسْتَنْتُونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ». فَقُلْتُ هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ قَالَ: «نَعَمْ دُعَاءٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا». فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا. قَالَ: «نَعَمْ قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا». قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ قَالَ: «تَلْزُمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ». فَقُلْتُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةً وَلَا إِمَامًا قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعُضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»^(٢).

(١) الاعتصام، الشاطبي، ١/ ٢٦٤.

(٢) تقدم تخريجه ص ١٨٤.

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصْبَةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصْبَةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصْبَةً فَقُتِلَ فَقَتْلُهُ جَاهِلِيَّةٌ وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ»^(١).

٣- عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خِيَارُ أَيْمَتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَشِرَارُ أَيْمَتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ». قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ فَقَالَ «لَا مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وَلَايِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»^(٢).

وفي لفظ: «خِيَارُ أَيْمَتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَشِرَارُ أَيْمَتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ». قَالُوا قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ قَالَ «لَا مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ لَا مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ إِلَّا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالِ فَرَأَهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَلْيَكْرِهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»^(٣).

٤- عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَاثِلٍ الْحَضْرَمِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَأَلَ سَلَمَةَ بْنَ يَزِيدَ الْجُعْفِيَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، رقم (٤٨٩٢).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب خيار الأئمة وشراهم، رقم (٤٩١٠).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب خيار الأئمة وشراهم، رقم (٤٩١١).

يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا فَمَا تَأْمُرُنَا فَأَعْرِضَ عَنْهُ ثُمَّ سَأَلَهُ فَأَعْرِضَ عَنْهُ ثُمَّ سَأَلَهُ فِي الثَّانِيَةِ أَوْ فِي الثَّالِثَةِ فَجَذَبَهُ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ وَقَالَ «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ»^(١).

٥- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَكْرَهُهُ فَلْيُضِرِّ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُفَارِقُ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَيَمُوتُ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»^(٢).

٦- عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَتَكُونُ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ فَمَنْ عَرَفَ بَرِيءٌ وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ، قَالُوا أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ قَالَ: «لَا مَا صَلَّوْا»^(٣).

هذه الأحاديث نصّ في هذا الضابط عند الفتنة، وإلا فنصوص لزوم الجماعة والسمع والطاعة العامة كثيرة، ومن تأمل أصول مسائل الاعتقاد وأصول العبادات وفروعها يجد حرص الإسلام على الاجتماع وعدم الفرقة، فبه يقوى جانب التآزر والتناصح والتعاون، والقوة والنصر على الأعداء والاجتماع في الأمة المسلمة، فهو أصل من أصول الإسلام؛ لأن الجماعة رحمة والفرقة نقمة على الأمة، ولذا جاءت النصوص بلزوم الجماعة وتحريم الخروج على أهلها وقادتها؛ جمعاً للكلمة، وحمايةً للأمة من فتنة التفرق والاختلاف التي تجرّ معها التناحر والتقاتل والانقسام الذي عانت منه الأمة في سالف عصرها ولا زالت تعيش في آثاره، حتى شغلها عن قيادة الأمم، وسيادتها، وتوحد اعتقادها، فظهرت الانحرافات

(١) تقدم تخريجه ص ١٠٤.

(٢) تقدم تخريجه ص ١٠٥.

(٣) تقدم تخريجه ص ١٠٥.

العقدية والأهواء والنحل المتباينة، وانشغل أتباع الأمة عن نصرتها، وانكبت مطامع الأعداء عليها، ولذا فتنة التفرق من الفتن التي ينطوي تحتها جملة من الفتن وآثارها، فكان لزاماً إدراك أهمية الانتماء للجماعة ولزوم الطاعة بالمعروف لولاة المسلمين، التي تضافرت الأدلة على بيانه، وبناء على النصوص السابقة فإن هذا الضابط يتعلّق به ما يلي:

١- أن الأصل لزوم جماعة المسلمين، والدخول تحت رايته، وهو أصل من أصول الإسلام.

٢- أن الأصل عدم الخروج على إمام المسلمين، ولزوم السمع والطاعة له في غير معصية، وحرمة الخروج عليه.

ويدل على هذين الأصلين: حديث حذيفة رضي الله عنه المتقدم فيمن أدرك الفتن وفيه: " قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ قَالَ «تَلْزُمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ» ، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً».

قال النووي رحمته الله: (وهذه الأحاديث في الحث على السمع والطاعة في جميع الأحوال وسببها اجتماع كلمة المسلمين فإن الخلاف سبب لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم)^(١).

٣- إذا لم يكن للمسلمين جماعة ولا إمام، فإنه يجب على المسلم أن يعتزل فرق المسلمين كلها، ولا ينتمي لأي فرقة من الفرق المتناحرة، لأنه بانتمائه يقع في إثم قتل إخوانه من المسلمين، وربما ظلمهم وتكفيرهم، ويقع في مخالفة أمر النبي صلى الله عليه وسلم حين قال حذيفة رضي الله عنه: " قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ قَالَ «تَلْزُمُ جَمَاعَةَ

(١) شرح صحيح مسلم، النووي، ٢٢٥/١٢.

الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ». فَقُلْتُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةً وَلَا إِمَامًا قَالَ «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعُضَّ عَلَى أَضِلِّ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ».

٤- عدم الانتماء والمقاتلة تحت راية جماعة غير إسلامية، أو راية عصبية أو قبلية وإن كان أصحابها من أهل الإسلام، لأن القتال الذي يريده الله تعالى يكون تحت راية رُفعت لإعلاء كلمة التوحيد، فمن قاتل على غير راية التوحيد أو تحت راية العصبية، فقد تعرّض للوعيد بقول النبي ﷺ: «وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصْبَةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصْبَةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصْبَةً فَقَتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ».

٥- عدم الخروج على المسلمين والتعرّض لقتلهم وقتالهم، ومن فعل ذلك فإن النبي ﷺ تبرأ منه، كما في حديث أبي هريرة: «وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ».

٦- السمع والطاعة للأئمة بالمعروف، وتحريم مقاتلهم ماداموا مسلمين مصلين مقيمين الصلاة في الأمة ولا يمنعون من إقامتها، فمجرّد الفسق أو الظلم لا يسوّغ الخروج على الأئمة، ففي حديث عوف بن أبي جميلة: «قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نُنَابِذُهُمُ بِالسَّيْفِ فَقَالَ: «لَا مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وَلَا تَكُمُ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ».

٧- الصبر على ظلم الأئمة وأذاهم وقهرهم، وهذا مما قد يتعرّض له الدعاة أثناء دعوتهم، لقوله ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُفَارِقُ الْجَمَاعَةَ شَبْرًا فَيَمُوتُ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: (فقد أمر النبي ﷺ المسلمين بأن يصبروا على الاستئثار عليهم، وأن يطيعوا ولاية أمورهم وإن استأثروا عليهم، وأن لا ينازعوهم الأمر، وكثير ممن خرج على ولاية الأمور أو أكثرهم إنما خرج لينازعهم مع استئثارهم عليه، ولم يصبروا على الاستئثار، ثم إنه يكون لولي الأمر ذنوب أخرى، فيبقى بغضه لاستئثاره يعظم تلك السيئات، ويبقى المقاتل له ظانا أنه يقاتله لئلا تكون فتنة ويكون الدين كله لله والشارع أمر كل إنسان بما هو المصلحة له وللمسلمين، فأمر الولاية بالعدل والنصح لرعيته حتى قال: «ما من راع يسترعيه الله رعية يموت يوم وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه رائحة الجنة» وأمر الرعية بالطاعة والنصح، كما ثبت في الحديث الصحيح «الدين النصيحة» ثلاثاً، قالوا لمن يا رسول الله: قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» وأمر بالصبر على استئثارهم، ونهى عن مقاتلتهم ومنازعتهم الأمر مع ظلمهم؛ لأن الفساد الناشئ من القتال في الفتنة أعظم من فساد ظلم ولاية الأمر، فلا يزال أخف الفسادين بأعظمهما»^(١).

وقال أيضاً: (ونهى - أي النبي ﷺ - عن منازعة الأمر أهله، وذلك نهى عن الخروج عليه؛ لأن أهله هم أولو الأمر الذين أمر بطاعتهم، وهم الذين لهم سلطان يأمرهم به، وليس المراد من يستحق أن يولى ولا سلطان له، ولا المتولي العادل؛ لأنه قد ذكر أنهم يستأثرون، فدل على أنه نهى عن منازعة ولي الأمر وإن كان مستأثراً وهذا باب واسع)^(٢).

(١) منهاج السنة النبوية، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ٤/ ٣٢٤-٣٢٥، ط ١، مؤسسة قرطبة.

(٢) المرجع السابق، ٣/ ٢٣٣.

٨- النصيح للأئمة برفق ولطف عما غفلوا عنه، ولم يغلبهم من حقوق المسلمين، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وعما أعانوا على نشره من المنكرات، أو ظلم الآخرين وأذاهم حسبما يقتضيه المقام من طريقة مناسبة، لقول ﷺ قَالَ: «سَتَكُونُ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ فَمَنْ عَرَفَ بَرِيءٌ وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ»، قَالُوا أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ قَالَ: «لَا مَا صَلَّوْا».

وَعَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا لِمَنْ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»^(١).

٩- عدم الرضا أو المتابعة للسلطان على منكراته أو إعانتهم على ظلم الآخرين، لقوله ﷺ: «سَتَكُونُ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ فَمَنْ عَرَفَ بَرِيءٌ وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ». فالاحتساب على السلطان بالحكمة له قيمته.

١٠- الدعاء له بالصلاح، وهذا من تمام النصيح له وللأمة، فبصلاحه تصلح الأمة، فيدعى له بالصلاح وكف شره عن المسلمين إن كان ظلوماً متعدياً.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفيه الحث على السمع والطاعة، وإن كان المتولي ظالماً عسوفاً، فيُعطى حقه من الطاعة، ولا يُخرج عليه، ولا يُخلع، بل يُتضرع إلى الله تعالى في كشف أذاه ودفع شره وإصلاحه)^(٢).

الضابط الرابع: كل عبادة هي في الفتن أفضل من غيرها:

العبادة شأنها عظيم، هي الصلة الوثيقة بين العبد وربّه، وهي الهدف

(١) تقدم تخريجه ص ١٠٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي، ١٢/٢٣٢.

الأساس للإنسان في هذا الوجود، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وهي منهج الحياة الأسمى الذي يسير عليه العبد بعيداً عن ظلمات العصيان والطغيان، وحين تشتد حلكة الليل بظلمات المعصية، وظلمات الانشغال بالدنيا، وظلمات الفتن الواقعة، كقطع الليل المظلم، تشتد الحاجة إلى توثيق العلاقة بالله تعالى والالتفاف حول العبادة، وترحل القلب إلى زاد الآخرة، لئلا تشوبه ظلمات الفتن حيث تزل الأقدام، وتضطرب الأفهام، وتزيغ القلوب، فلا ثبات إلا بالإيمان، ولا أعظم لزيادته من تعبد لله تعالى، ولذا ضاعف الله تعالى أجر العبادة في مثل هذه الأزمان، ففي صحيح مسلم، من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرَجِ كَهَجْرَةِ إِلَيَّ»^(١)، وما ذاك إلا لانشغال الناس فيما بينهم وما ألم بهم من خبر الفتنة، فيتابعون أخبارها، ويتناقلون أقوالها وصورها، والحكم على ما يجري فيها، وتتوَّع الآراء، ويُعْرِقُ الناس في متابعة الأخبار والقنوات الناقلة لها، والأحداث المتعلقة بها، فتصبح وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية هي شغل الناس، وليتهم يقتصدون ويقتصرون على سماع ما يهم في الحدث فحسب، بل تكون السمة هي متابعة ما يحدث ويستجد مما له صلة ولو لم يكن ذا أهمية، فتصبح بعض العبادات مهجورة عند أغلب الناس، ويتقاعس البعض عن عبادات ربما كان من أهلها، بل ربما تطوَّر الأمر إلى أن تشغله عن الفرائض وإتمامها على الوجه المطلوب، وهذه صورة من صور انشغال الناس من شأنها أن تحدث لاسيما في الفتن، ولذا عَظُم أجر العبادة في الفتن.

(١) تقدم تخريجه ص ١١٤.

قال النووي رحمته الله: (المراد بالهرج هنا الفتنة واختلاط أمور الناس وسبب كثرة فضل العبادة فيه أن الناس يغفلون عنها ويشغلون عنها ولا يتفرغ لها إلا أفراد)^(١).

ولذا صار فضل العبادة في الفتن أعظم من غيرها، وكل ما كان فاضلاً من العبادات لزمانه أو مكانه أو حاله في غير زمن الفتن يزداد فضله في الفتن، لدخوله في عموم فضل العبادة الوارد في الحديث، والسعيد من اجتهد في سائر الأعمال الصالحة واستغل هذا الفضل عند الفتن، ومما يتأكد من العبادات عند الفتن، ما يلي:

١- الصلاة لاسيما وقت النزول الإلهي:

عن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فزعاً يقول: «سُبْحَانَ اللَّهِ مَاذَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْخَزَائِنِ وَمَاذَا أَنْزَلَ مِنَ الْفُتَنِ مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الْحُجُرَاتِ - يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ - لِكَيْ يُصَلِّينَ رَبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ»^(٢).

قال ابن بطال رحمته الله: (في هذا الحديث: أن الفتوح في الخزائن تنشأ عنه فتنة المال، بأن يُتنافس فيه، فيقع القتال بسببه، وأن يُبخل به، فيُمنع الحق أو يبطر صاحبه فيسرف، فأراد صلى الله عليه وسلم تحذير أزواجه من ذلك كله، وكذا غيرهن ممن بلغه ذلك... وفي الحديث: الندب إلى الدعاء والتضرع عند نزول الفتنة، ولاسيما في الليل، لرجاء وقت الإجابة؛ لتكشف أو يسلم الداعي ومن دعا له، وبالله التوفيق)^(٣).

(١) شرح صحيح مسلم، النووي، ٨٨/١٨.

(٢) تقدم تخريجه، ص ٢٠٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ٢٣/١٣.

٢- صلاة الجماعة زمن الفتن:

عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ خِيَارٍ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ مَحْضُورٌ فَقَالَ: «إِنَّكَ إِمَامٌ عَامَّةٍ وَنَزَلَ بِكَ مَا تَرَى وَيُصَلِّي لَنَا إِمَامٌ فَتَنَةٌ وَنَتَحَرَّجُ، فَقَالَ: الصَّلَاةُ أَحْسَنُ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ فَإِذَا أَحْسَنَ النَّاسُ فَأَحْسِنَ مَعَهُمْ، وَإِذَا أَسَاؤُوا فَاجْتَنِبْ إِسَاءَتَهُمْ»^(١).

قال ابن حجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وفي هذا الأثر الحض على شهود الجماعة، ولا سيما في زمن الفتنة؛ لئلا يزداد تفرق الكلمة، وفيه أن الصلاة خلف من تكره الصلاة خلفه أولى من تعطيل الجماعة)^(٢).

٣- التوكل على الله تعالى:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ۝١٧٣﴾ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضَّلِ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٤].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ۝١٧٣﴾ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ۝١٧٣﴾ [آل عمران: ١٧٣]^(٣).

قال شيخنا ابن عثيمين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (فينبغي لكل إنسان رأى من الناس جمعا

(١) أخرجه البخاري، كتاب صلاة الجماعة والإمامة، باب إِمَامَةِ الْمُفْتُونِ وَالْمُبْتَدِعِ، رقم (٦٩٥).

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ١٩٠/٢.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾، رقم (٤٥٦٣).

أو عدوانا عليه أن يقول: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعَمَ الْوَكِيلُ﴾ فإذا قال هكذا كفاه الله شرهم كما كفى إبراهيم ومحمدا عليهما الصلاة والسلام فاجعل هذه الكلمة دائما على بالك إذا رأيت من الناس عدوانا عليك والله الموفق^(١).

٤- الاستغفار والتضرع:

قال تعالى: ﴿وَدَا التَّوْنِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَحَيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخَيِّجُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةُ اللَّهِ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ أَلَلَةُ اللَّهِ لِيُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣].

قال السعدي رحمه الله: عن الاستغفار بالآية: (فهذا مانع يمنع من وقوع العذاب بهم، بعد ما انعقدت أسبابه)^(٢).

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يُضْزَعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنعام: ٤٢-٤٣].

وتقدّم في واجبات الداعية الحديث عن أهمية اللجوء إلى الله تعالى والضراعة له بكشف الفتنة.

(١) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، تحقيق: أحمد بن عبدالرزاق البكري وآخرون، ١/٢٦٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، تحقيق: د. عبد الرحمن ابن معلا اللويحق، ص ٣٢٠.

٥- الصبر:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَكَرِهَهُ فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُفَارِقُ الْجَمَاعَةَ شَبْرًا فَيَمُوتُ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»^(١).

وعن المقداد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بن الأسود قال: قال النبي ﷺ بقوله: «إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتْنُ إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتْنُ إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتْنُ وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهَا»^{(٢)(٣)}.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ»^(٤).

وليس المراد الاقتصار على ما تقدم من عبادات، وإنما جاءت النصوص مخصوصة بما تقدم، وإلا فالأصل في الفتن هو المبادرة بالأعمال الصالحات عموماً، دلَّ على ذلك حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»^(٥).

وعلى العبد استغلال فضل مضاعفة أجر العبادة في الفتن، والاستزادة من الحسنات والدرجات العالية بالتعب، والظفر بأجر كأجر المهاجر إلى

(١) تقدم تخريجه، ص ١٠٥.

(٢) فَوَاهَا: أي فواعجاً له! وما أحسن فعله! كما تقدم بيانه.

(٣) تقدم تخريجه، ص ١٧٤.

(٤) تقدم تخريجه، ص ١٧٢.

(٥) تقدم تخريجه، ص ٦.

النبي ﷺ.

قال القرطبي رحمه الله: (فالمتمسك بالعبادة في ذلك الوقت، والمنقطع إليها المعتزل عن الناس أجره كأجر المهاجر إلى النبي ﷺ؛ لأنه يناسبه من حيث أن المهاجر قد فرّ بدينه ممن يصدّه عنه إلى الاعتصام بالنبي ﷺ، وكذلك هو المنقطع للعبادة فرّ من الناس بدينه إلى الاعتصام بعبادة ربّه، فهو على التحقيق قد هاجر إلى ربه، وفرّ من جميع خلقه)^(١).

ومما يجدر التنبيه عليه هنا، أنه كما جاء الحث على العبادة في الفتن، فإنه جاء الترخّص بترك عبادة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاكتفاء بالإنكار القلبي حين اشتداد الفتنة وفشوّها وآثارها بين الناس، حتى يصل العبد لغاية يترك معها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويلزم بيته وخاصته، وذلك لغلبة ظنّه أن المنكر لا يزول، ولغلبة الابتلاء والخوف على النفس، ويدل على ذلك، ما رواه أبوداود والترمذي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال بينما نحن حول رسول الله ﷺ إذ ذكر الفتنة فقال «إِذَا رَأَيْتُمُ النَّاسَ قَدْ مَرَجَتْ عُهُودُهُمْ وَخَفَّتْ أَمَانَتُهُمْ وَكَانُوا هَكَذَا». وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ قَالَ فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ كَيْفَ أَفْعَلُ عِنْدَ ذَلِكَ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: «الزَّمْ بَيْتَكَ، وَامْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَخُذْ بِمَا تَعْرِفُ، وَدَعْ مَا تُنْكِرُ، وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ»^(٢).

قال المناوي رحمه الله: (قال الزمخشري... «ودع عنك أمر العامة» أي

(١) المفهم، القرطبي، تحقيق: يوسف علي بديوي وآخرين، ٣٠٩/٧.

(٢) أخرجه أبوداود، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، رقم (٤٣٤٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٣٤٣).

كافة الناس، فليس المراد العوام فقط، فإذا غلب على ظنك أن المنكر لا يزول بإنكارك؛ لغلبة الابتلاء لعمومه، أو تسلط فاعله وتحيره، أو خفت على نفسك، أو محترم غيرك محذورا بسبب الإنكار فأنت في سعة من تركه، والإنكار بالقلب مع الانجماع وهذا رخصة في ترك الأمر بالمعروف إذا كثر الأشرار وضعف الأخيار^(١).

ومما يترخص فيه أيضاً عند اشتداد الفتنة والخوف على النفس: تمني الموت، ويدل على ذلك ما رواه الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنه وفيه «... إِذَا صَلَّيْتَ فَقُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً فَأَقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ...»^(٢) وعلى هذا يُحمل ما ورد من الأخبار في تمني السلف للموت، بأنهم خافوا على دينهم من الفتنة، وموت الإنسان ولو بعد عمر قصير غير مفتون، خير له من أن يطول عمره ويموت مفتوناً.

قال ابن حجر رحمته الله: (وقد فعل ذلك جماعة من الصحابة ففي الموطأ عن عمر أنه قال: «اللهم كبرت سني وضعفت قوتي وانتشرت رعيتي فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط» وأخرجه عبد الرزاق من وجه آخر عن عمر، وأخرج أحمد وغيره من طريق عابس ويقال عابس الغفاري أنه قال: «يا طاعون خذني» فقال له غليم الكندي: لم تقول هذا؟ ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يتمنين أحدكم الموت» فقال: أني سمعته يقول: «بادروا بالموت ستا إمرة السفهاء، وكثرة الشرط، وبيع الحكم» الحديث، وأخرج أحمد

(١) فيض القدير، المناوي، ٤٥٤/١.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة ص، رقم (٣٢٣٣)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٧/ ٢٣٣).

أيضاً من حديث عوف بن مالك نحوه، وأنه قيل له: ألم يقل رسول الله ﷺ «ما عمر المسلم كان خيراً له» الحديث، وفيه الجواب نحوه، وأصرح منه في ذلك حديث معاذ الذي أخرجه أبو داود وصححه الحاكم في القول في دبر كل صلاة وفيه: «وإذا أردت بقوم فتنة فتوفني إليك غير مفتون»... وهذا يدل على أن النهي عن تمني الموت مقيد بما إذا لم يكن على هذه الصيغة^(١).

وبناء على ما تقدّم فإنه يُرَخَّصُ في الفتن ثلاثة أمور: الاعتزال، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتمني الموت، وعلى هذه الرُّخص تنبيهان:

الأول: أن هذه رُخص شرعية مقدّرة بقدرها، وليس لكل أحد أن يترخّص بها، بل إذا قام سببها قياماً حقيقياً جاز ذلك، فلا يُترخّص بهذه الرُّخص لمجرّد أي فتنة.

الثاني: أن صبر الإنسان ومصابرته على الفتن وعدم ترخّصه بما تقدّم مع الأمن على النفس من الفتنة أفضل، فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويخالط الناس ويصبر على أذاهم، وهذا يتنزل في حق الداعية القادر على ذلك كما تقدّم بيانه في واجبات الداعية الواجبات العينية ومسألة أيهما أفضل العزلة أو الخلطة؟

الضابط الخامس: الحق واضح جلي حتى وقت الفتن:

والمراد أن الحق لا يمكن أن يكون خافياً على جميع الأمة، فإنه في الفتن وإن خفي الحق على بعض الأمة أو بعض ممن ينتسب للعلم، فإنه

(١) فتح الباري، ابن حجر، ١٢٨/١٠.

لا بد أن يكون واضحاً في فئة من الأمة تمسكت بالكتاب والسنة، ومما يدل على ذلك:

أولاً: نفي النبي ﷺ الضلالة والحيرة عن كل من تمسك بكتاب الله تعالى واعتصم به ومن ذلك الاعتصام بالسنة، فقال ﷺ: «... وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ...» الحديث^(١)، وعليه فكل من اعتصم بالكتاب والسنة استحق الثبات على الحق، ولن تخلو الأمة من فئة تتمسك بهذا الحبل المتين.

ثانياً: إخباره ﷺ عن طائفة تثبت على الحق حتى يأتي يوم القيامة، وهذا الإخبار نص في هذا الضابط، ففي صحيح مسلم عن ثوبان رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»^(٢)، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٣)، وعن معاوية رضي الله عنه قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ»^(٤).

فهذه الأحاديث دللت على بقاء الحق ظاهراً مع طائفة وليس كل

(١) تقدم تخريجه ص ١٥١.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإمامة، باب قَوْلِهِ ﷺ «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ»، رقم (٥٠٥٩).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب نُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ حَاكِمًا بِشَرِيعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، رقم (٤١٢).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الإمامة، باب قَوْلِهِ ﷺ «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ»، رقم (٥٠٦٤).

الأمّة، وهذه الطائفة ظاهرة منصورة على أعدائها لا يضربها من خالفها أو خذلها، وستبقى على الحق إلى يوم القيامة، وبقاء الحق ونفي الضرر عنها بكل حال إلى يوم القيامة دليل على التزامها هذه الحال حتى في الفتن التي تمرُّ بهذه الطائفة.

قال ابن القيم رحمته الله: (ولم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت يعتقد أنها تخلق وترزق، وتُمت وتُحيى، وإنما كانوا يفعلون عندها وبها ما يفعلهُ إخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم، فاتبع هؤلاء سَنَنَ مَنْ كان قبلهم، وسلكوا سبيلهم حذو القُذَّة بالقُذَّة، وأخذوا مأخذهم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، وغلب الشُّرك على أكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم، فصار المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والسُّنَّة بدعة، والبدعة سُنَّة، ونشأ في ذلك الصغير، وهرم عليه الكبير، وطُمست الأعلام، واشتدت غربة الإسلام، وقلَّ العلماء، وغلب السفهاء، وتفاقم الأمر، واشتد البأس، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمّدية بالحق قائمين، ولأهل الشُّرك والبدع مجاهدين إلى أن يرث الله سبحانه الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين)^(١).

الضابط السادس: الأصل في تنزيل أحاديث الفتن على الأزمان والأشخاص الرد:

وهذا الضابط من الأهمية بمكان، والتساهل به فيه خطورة وجناية على النصوص، والمقصود بهذا الضابط: أن الأصل في تنزيل أحاديث

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، ٣/٥٠٦-٥٠٧، ط ٢٧، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الكويت، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.

الفتن على ما يقع في حياة الناس من فتنٍ حاضرة أو أشخاص بعينهم الردّ، سدّاً لذريعة التقوّل والتخرُّص على نصوص الفتن بغير علم، والتساهل في هذا الباب، لاسيما مع كثرة الشائعات وتعلّق كثير من النفوس بتتبع الغرائب، وكثرة الفتن الحاضرة، ومحبة البعض في وعظ الناس بربطهم بأحاديث الفتن، هذا وغيره يستدعي تساهل البعض الحاصل في إنزال نصوص الفتن على الأحداث أو الأشخاص في واقعه، ولقد كثرت المؤلفات في هذا الإنزال والمجازفة في الزجّ بأحاديث الفتن على ما يقع من أحداث^(١)، ولذا كان الأصل في هذا الباب الردّ.

ولا يعني القول بأن الأصل الردّ هو أنه لا يُشرع التنزيل، فليس هذا مراد، وإنما التنزيل جاء في كلام أهل العلم بضوابطه، والناس في هذا الباب طرفان ووسط، فمنهم من تساهل في إنزال أحاديث الفتن على

(١) مثال تنزيلها على الأزمان: كما في حديث: «إذا اختلفت الرايات السود فيما بينهم أتاها الرايات الصفراء، فيجتمعون في قنطرة أهل مصر..» الحديث رواه نعيم بن حماد في الفتن، وهو ضعيف، نزل محمد حماد الدين في كتابه (هرمجدون) الرايات على هذا الزمان، بأن المراد أصحاب الرايات السود هم قوات طالبان وتحالف الشمال، وأما الرايات الصفراء فالقوات الغربية الأجنبية، وقنطرة مصر هي قناة السويس.

ومثال التنزيل على الأشخاص: كقول سعيد أيوب في كتابه (المسيح الدجال) بأن المراد بالمهدي المنتظر هو هو صدام حسين. نقل بتصريف من كتاب (معالم ومنازل) في تنزيل نصوص الفتن والملاحم وأشراف الساعة على الوقائع والحوادث، عبدالله بن صالح العجيري، ص ٣٧-٣٨، ط ١ مؤسسة الدرر السنية، الظهران، ١٤٣٣هـ) ونقل المؤلف جملة من الأمثلة في التساهل في تنزيل النصوص، وقراءة العشرين كتاباً من الكتب المعاصرة التي حصل فيها هذا التساهل، انظر كتاب الفتن، نعيم بن حماد المروزي، تحقيق: سمير الزهيري، رقم (٧٧٢)، ط ١، مكتبة التوحيد، مصر، القاهرة، ١٤١٢هـ.

الواقع كما تقدّم بيانه، ومنهم من تشدّد ومنع هذا الباب جملة وتفصيلاً، والحق أن التنزيل يصحّ بضوابطه كما سيأتي، فكان الأصل الردّ صيانة لأحاديث الشريعة، وحفظاً لمعانيها.

وتنزيل أحاديث الفتن على الوقائع حاصل في عصر التنزيل ومن ذلك حين أخبر النبي ﷺ بخبر الدجال ظنّ الصحابة ﺭﻩﻳﻬﻢ أنه في طائفة النخل فذهبوا يبحثون عنه، وشكّوا في ابن صياد أن يكون هو المسيح الدجال، بل بعض الصحابة أقسم على ذلك منهم عمر وجابر ﺭﻩﻳﻬﻤﺎ^(١)، وفي حديث أسماء ﺭﻩﻳﻬﺎ في قصة مقتل ابن الزبير، قالت وهي تخاطب الحجاج: «أَمَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَنَا أَنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَابًا وَمُبِيرًا، فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَرَأَيْنَاهُ وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَلَا إِخَالِكَ إِلَّا إِيَّاهُ، فَقَامَ عَنْهَا وَلَمْ يُرَاجِعْهَا».

قال النووي ﺭﻩﻫﻤﻪ: («المبير» المُهْلِك، وقولها في الكذاب «فرأيناه» تعني به المختار بن أبي عبيد الثقفي، كان شديد الكذب ومن أقبحه ادّعى أن جبريل ﷺ يأتيه، واتفق العلماء على أن المراد بالكذاب هنا المختار بن أبي عبيد، وبالمبير الحجاج بن يوسف والله أعلم»^(٢).

وتنزيل أحداث الفتن على الواقع موجود في كلام أهل العلم السابقين والمعاصرين كما هو حاصل في أخبار السلف، ومما في تنزيل المعاصرين قول الشيخ ابن باز ﺭﻩﻫﻤﻪ، عن حديث أبي هريرة ﺭﻩﻳﻬﻪ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَظْهَرَ الْفِتْنُ، وَيَكْثُرَ الْكَذِبُ، وَتَتَقَارَبَ الْأَسْوَاقُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ قِيلَ: وَمَا الْهَرْجُ؟

(١) تقدّم إيراد أحاديث الدجال، ص ١١٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي، ١٦/١٠٠.

قَالَ: الْقَتْلُ^(١).

قال ابن باز رَحِمَهُ اللهُ فِي قَوْلِهِ: (الْأَقْرَبُ تَفْسِيرُ التَّقَارُبِ الْمَذْكُورِ فِي الْحَدِيثِ بِمَا وَقَعَ فِي هَذَا الْعَصْرِ مِنْ تَقَارُبِ مَا بَيْنَ الْمَدَنِ وَالْأَقَالِيمِ وَقَصْرِ زَمَنِ الْمَسَافَةِ بَيْنَهُمَا بِسَبَبِ اخْتِرَاعِ الطَّائِرَاتِ وَالسِّيَّارَاتِ وَالْإِذَاعَةِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ)^(٢)، وَالْأَمْثَلَةُ عَلَى التَّنْزِيلِ مُتَوَافِرَةٌ، وَهَذَا مِمَّا يَبَيِّنُ أَنَّ التَّنْزِيلَ لَيْسَ مَمْنُوعًا عَلَى إِطْلَاقِهِ، إِلَّا أَنَّ الْخَلَلَ وَالْمَجَازِفَةَ فِي الْإِفْرَاطِ بِالتَّنْزِيلِ، لَا سِيَّمَا فِي وَاقِعِنَا وَمَعَ تَوَالِي الْأَحْدَاثِ فَلَا يَكَادُ يَمُرُّ حَدَثٌ إِلَّا وَيَتَسَامَعُ النَّاسُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَلِلتَّسَاهُلِ بِتَّنْزِيلِ أَحَادِيثِ الْفِتَنِ عَلَى الْوَاقِعِ خَطَرٌ عَظِيمٌ مِنْ عِدَّةٍ وَجُوهٍ أَبْرَزَهَا: أَنَّهُ قَوْلٌ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَاسْتِهَانَةٌ بِالنُّصُوصِ، وَفَتْحٌ مَجَالٍ لِدَعَاةِ الضَّلَالَةِ أَنْ يُلْبِسُوا عَلَى النَّاسِ وَيَدَّعُوا مَا لَمْ يَصِحَّ ثُمَّ يَطْعَنُوا بِنُصُوصِ الشَّرِيعَةِ، وَمَا يَتَرْتَبُ عَلَى تَصْدِيقِ النَّاسِ لِهَذِهِ التَّنْزِيلِ الْخَاطِئِ مِنْ عَمَلٍ شَيْءٍ أَوْ تَرْكِهِ لِأَجْلِ الْفِتْنَةِ الَّتِي صَدَّقُوا تَنْزِيلَهَا إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَفَاسِدِ الْوَاضِحَةِ عِنْدَ التَّأَمُّلِ.

فَإِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ فَإِنَّ تَنْزِيلَ أَحَادِيثِ الْفِتَنِ وَكَذَلِكَ أَشْرَاطَ السَّاعَةِ عَلَى الْوَاقِعِ يَخْضَعُ لَعِدَّةِ شُرُوطٍ وَهِيَ كَمَا يَلِي:

١- الْاِقْتِصَارُ فِي التَّنْزِيلِ عَلَى نُصُوصِ الْوَحْيِيِّينَ، وَالتَّأَكُّدُ مِنْ صَحَّتِهَا لَفْظًا وَمَعْنَى:

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ نُصُوصَ الْفِتَنِ الَّتِي تَخْضَعُ لِلتَّنْزِيلِ هِيَ نُصُوصُ الْكِتَابِ

(١) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ، مُسْنَدُ أَبِي هُرَيْرَةَ، ٥١٩/٢، رَقْمُ (١٠٧٣٥)، قَالَ شُعَيْبُ الْأَرْنَؤُوطُ: «إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ رِجَالُ الشَّيْخِينَ»، انْظُرْ: الْمَوْسُوعَةُ الْحَدِيثِيَّةُ ١٦ / ٤٢٢، رَقْمُ (١٠٧٢٤).

(٢) انْظُرْ تَعْلِيْقَهُ عَلَى فَتْحِ الْبَارِي، ٦٠٦/٢.

والسنة، فهما مصدرا التلقي في الشريعة، اللذان بهما الهداية والسداد، والإخبار بأحداث الفتن من الأمور الغيبية التي لا يمكن ثبوتها إلا بوحي، وعليه فأي مصدر غيرهما لا يصح الاستناد إليه، ويلحق بالسنة النبوية آثار الصحابة في هذا الباب، فالصحابا على قدر عالٍ من العدالة، وباب الإخبار بالفتن مما لا مجال فيه للرأي والاجتهاد فحتماً استقوه من مشكاة النبوة.

قال ابن حجر رحمته الله: (والحق أن ضابط ما يفسره الصحابي رضي الله عنه إن كان مما لا مجال للاجتهاد فيه، ولا منقولاً عن (لسان العرب فحكمه الرفع وإلا فلا، كالإخبار عن الأمور الماضية من بدء الخلق وقصص الأنبياء، وعن الأمور الآتية كالملاحم والفتن والبعث وصفة الجنة والنار، والإخبار عن عمل يحصل به ثواب مخصوص أو عقاب مخصوص، فهذه الأشياء لا مجال للاجتهاد فيها فيحكم لها بالرفع)^(١).

ومما يتعلّق بهذا الشرط التأكد من صحة النصوص، فأما القرآن فهو مقطوع بصحته تكفّل الله تعالى بحفظه، والحديث هنا عن السنة النبوية، فلا بد قبل تنزيل النصّ من التأكد من صحة لفظه سواء كان مرفوعاً للنبي صلى الله عليه وآله أو مما له حكم الرفع من أقوال الصحابة، مما تخلو من الضعف أو أخبار الإسرائيلية.

وأيضاً لا بد من التأكد من صحة فهم المعنى، فمن الخلل في التنزيل تنزيلُ نصوص قبل فقه معناها الصحيح، أو تنزيلها على معنى غير مراد،

(١) النكت على كتاب ابن الصلاح، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، ١/٨٦، ط١، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

وهذا من الأخطاء الشائعة في التنزيل الخاطيء، فهم النصوص على غير مرادها الحقيقي، والأصل حمل النص على ظاهره كما هي القاعدة المقررة عند أهل السنة، فالمراد هو المعنى الظاهر، وخطاب الشريعة للأمة خطاب بما يفهمونه وهو خطاب وضوح ورحمة لا خطاب غموض وإضلال، فلا يصرف عن ظاهره.

٢- أن يكون التنزيل بعيداً عن التكلف:

خطاب النبي ﷺ لأصحابه خطاب واضح يظهر للعالم ويفهمه العامي، ولا يحتاج معه إلى تكلف في الفهم، أو إخضاع النصوص إلى معانٍ يراها العبد في واقعه فيحاول أن يلوي النص ليوافق ما رآه أو ما ظنّه عند التنزيل، وبيان النبي ﷺ لفتنة الدجال مثلاً بياناً شافياً يشعر بأن المراد هو أن تكون النصوص واضحة لا تحتاج إلى تكلف ليفهمها المسلم أو لينزلها على واقعه.

٣- التحقق من طبيعة الواقعة واستكمالها للأوصاف الواردة في

النص:

أركان التنزيل ثلاثة: نص ينزل، وواقعة ينزل عليها، وعملية تنزيل، ولا بد ليصحّ التنزيل من التحقق من طبيعة الواقعة بأن يتعرف على الصورة الكاملة للواقع بكل جزئياته، وانطباق جميع الأوصاف الواردة في النص عليه، بحيث يتأمل مدى التطابق ومدى التخالف، فإذا لم يكن هناك تطابق بين الواقع الحاصل وبين جميع أوصاف النص لم يصحّ التنزيل حينئذٍ، فلا يصحّ جهل شيء من أجزاء الواقع فلربما اشتمل على شيء زائد عما ورد في النص، أو على ما يضادّه، كما لا يصحّ إغفال وصفٍ من الأوصاف الواردة في النص لعدم وجودها في الواقعة، ففتنة الدجال مثلاً جاءت

أوصافه مستفيضة في الدقة، فلا بد من انطباقها على الواقعة التي تُرى، أي لا بد من تحقق طبيعة الواقعة بوجودها بتفاصيلها، ولا بد من انطباق الأوصاف والجزئيات الواردة في الدجّال على الواقعة، وإلا لم يصح التنزيل.

كذلك مثلاً في انحسار نهر الفرات عن كنز من ذهب، الوارد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «يُوشِكُ الْفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ كَنْزٍ مِنْ ذَهَبٍ فَمَنْ حَضَرَهُ فَلَا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئاً»^(١)، لا بد من التحقق من الواقعة بأن يرى ذلك موجوداً بعينه لا يجهل منه شيء، ثم يطبق عليه جميع الأوصاف الواردة في النص، بأن يكون انحساراً، وفي نهر الفرات، ويكون كنزاً، ومن ذهب.

وهذا الشرط وهو انطباق جميع الأوصاف من الأهمية بمكان، وورد في كثير من كتب أهل العلم، فهذا النووي رحمته الله عند إيرادهِ للحديث المرفوع «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ التُّرْكَ قَوْمًا وَجُوهُهُمْ كَالْمَجَانِّ الْمَطْرَقَةِ يَلْبَسُونَ الشَّعَرَ وَيَمَشُونَ فِي الشَّعْرِ»^(٢).

قال النووي رحمته الله: (وهذه كلها معجزات لرسول الله صلى الله عليه وسلم)، فقد وجد قتال هؤلاء الترك بجميع صفاتهم التي ذكرها صلى الله عليه وسلم، صغار الأعين، حمر الوجوه، ذلف الأنف، عراض الوجوه، كأن وجوههم المجان المطرقة،

(١) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب خُروج النَّارِ، رقم (٧١١٩)، وأخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسِرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، رقم (٧٤٥٦).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قتال الترك، رقم (٢٩٢٧)، وأخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مَكَانَ الْمَيِّتِ مِنَ الْبَلَاءِ، رقم (٧٤٩٧).

ينتعلون الشعر، فوجدوا بهذه الصفات كلها في زماننا، وقاتلهم المسلمون مرات، وقتالهم الآن، ونسأل الله الكريم إحسان العاقبة للمسلمين في أمرهم وأمر غيرهم، وسائر أحوالهم وإدامة اللطف بهم والحماية، وصلى الله على رسوله الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى^(١).

وكذا الصفات المتعلقة بالمهدي مثلاً، ولو علم المسلم مثل هذه الصفات لاستطاع الردُّ على كل مدَّعٍ، أو من يزعم أنه رأى المهدي.

٤- الثاني في التنزيل ومراجعة أهل العلم:

الاستعجال في التنزيل مظنة وقوع الخلل، والغفلة عن بعض أطراف التنزيل، ومن ثمَّ الندامة على الاستعجال فيه، ومسائل التنزيل من المسائل المعاصرة للواقع الذي تنطبق عليه الفتنة المرادة فينبغي الثاني في ذلك، فالمنزَّل سيقول بقول جديد لم يسبقه به أحد، ولذا استوجب عليه ذلك الثاني والتأكد ومراجعة أهل العلم فيما رآه، فلا يصح أن يتعجل الشخص في إصدار حكم التنزيل على قضية من القضايا حتى يستكمل جزئياتها ويعطيها حقها من التأمل والثاني؛ لأن غالب الاستعجال في مثل هذه المواطن يوقع في الندامة جرّاء ما ظهر له من خلل بعد ذلك.

قال أبو حاتم رحمته الله: (الرافق لا يكاد يُسَبِّق، كما أن العَجَل لا يكاد يَلْحَق، وكما أن من سكت لا يكاد يندم، كذلك من نطق لا يكاد يسلم، والعَجَل يقول قبل أن يعلم، ويجيب قبل أن يفهم، ويحمد قبل أن يُجَرَّب، ويذم بعد ما يحمد، يعزم قبل أن يفكر، ويمضي قبل أن يعزم،

(١) شرح صحيح مسلم، النووي، ٣٧/١٨-٣٨.

والعَجَل تصحبه الندامة وتعتزله السلامة، وكانت العرب تُكْنِي العجلة أم الندامات^(١).

ولقد امتدح النبي ﷺ أشج عبدالقيس بتأنيه فقال: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ وَالْأَنَاءُ»^(٢)، فالتأني محمود وهو في مثل هذه المواطن أكثر حاجة وتأكيذاً، لاسيما ونحن في زمن كثر فيه العابثون والمتساهلون في التنزيل^(٣)، ومن جميل ما يُذكر في التأني، قول حفص بن غياث لسفيان الثوري رحمهما الله: «يا أبا عبد الله إن الناس قد أكثروا في المهيدي فما تقول فيه؟ قال: إن مرَّ على بابك فلا تكن منه في شيء حتى يجتمع الناس عليه»^(٤).

ومن الاستعجال في التنزيل عدم مراعاة ترتيب الأشراف ومراعاة البعد الزمني بينها، فلربما اجتهد في تنزيل فتنة على واقعة، واستكمل شروطها حسب ظنه، بينما دلَّت الأدلة على أن هذه الفتنة لا تقع إلا بعد عدة فتن تسبقها، وهذا من خلل الاستعجال.

ثم إذا استكمل الباحث معايير التنزيل وتأمل الواقعة ومناسبة التنزيل

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان البستي أبو حاتم، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ص (٢١٦)، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورَسُولِهِ وَشَرَائِعِ الدِّينِ وَالِدُّعَاءِ إِلَيْهِ، رقم (١٢٦).

(٣) ومن تأمل بعض الكتب، وبعض مقالات الصحف في هذا الباب أدرك ذلك، فضلاً عما يوجد في الشبكة العنكبوتية من التساهل في طرح وتنزيل أحاديث الفتن على الواقع دونما علم وتمحيص وتدقيق وتؤدة.

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ٣١/٧، ط ٤، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت ١٤٠٥هـ.

لها ومطابقتها، ذهب لأهل العلم ليستزيد بياناً، فإن التنزيل من الأبواب التي تحتاج إلى جمع نصوص، والحكم عليها، وتتبع ما فيها من المعاني، ثم مقارنتها بالواقع للحكم على التنزيل صحة وفساداً، ولذا يحتاج فيه إلى تأمل عالم، وتقدم أهمية الرجوع للعلماء الربانيين في الواجبات العينية للداعية، وذكر الأدلة على أهمية ذلك وفضله^(١).

الضابط السابع: كل فتنة كبيرة مؤثرة في الأمة فهي موصوفة في الشرع:

الله تعالى أوضح لعباده كل ما يتعلق بأمر دينهم ودنياهم، وأنزل الكتاب تبياناً لكل شيء، فقال تعالى: ﴿وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، وجاءت السنة مفصلةً بعض ما جاء في هذا التبيان، فجاءت الشريعة واضحة كاملة، قال الله تعالى في كمالها: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وترك النبي ﷺ أمته على المحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك، فما من خير إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلا حذر الأمة منه، وإن من أعظم الشر الذي حذر منه ﷺ وبينه وبين مخرجه الفتن وما يتعلق بها، فجاءت السنة المطهرة مليئة بأخبار الفتن، وتقدم في الفصل الأول شيئاً من تلك الأخبار على كل فتنة، وما ذاك إلا ليحذر العبد منها، وليعلم أن الشرع ما ترك فتنة مؤثرة إلا وصفها ووصف مخرجه، والمتأمل مثلاً لفتنة الدجال، فإن الدجال جاء وصفه وصفاً

(١) من أراد التوسع في الحديث عن هذا الضابط، فليراجع كتاب الفتن وأشرط الساعة من شرح النووي على صحيح مسلم فقد ذكر مواضع متفرقة منها (١٨/ ٢١، ٢٧/ ١٨، ٣٧-٣٨)، والفتن وموقف المسلم منها رؤية شرعية، أ.د. علي بن سعد الضويحي، ص (٦٣)، ومعالم ومنارات في تنزيل نصوص الفتن والملاحم، عبدالله بن صالح العجيري.

دقيقاً في هيئته، ودعوته، ومكان خروجه، وأين سيذهب، وما معه، ومن معه، وكم يبقى، وكيف يفتن الناس، ومن يقتله إلى غير ذلك من الأوصاف المتعلقة به، وكلُّ فتنة جاءت النصوص ببيان ضماناتها الشرعية، كل ذلك ليكون العبد على بينة من أمر الفتن، وقطعاً لأدعياء الضلالة تلبسهم وأدعائهم؛ لئلا يُلبسوا على الناس دينهم ويستغلوا الدين في أهدافهم الشخصية، وهذا حصل لولا أن النصوص واضحة في بيان كذبهم، لعدم انطباق الأوصاف الواردة في الأدلة عليهم. فظهر من يدّعي أنه المهدي، بل وتكرر هذا الإدّعاء في أزمان متعددة، ومن يدّعي أنه رأى الدجال، إلى غير ذلك من الأباطيل المتعلقة بالفتن.

فعلى الداعية التفقه في دينه، والتبصّر فيما يتعلّق بالفتن، وتبصير الناس ذلك، وقطع أباطيل أهل الأهواء، وتحريف أدعياء الضلالة، وردّ الناس إلى الكتاب والسنة.

الضابط الثامن: كل فتنة، لله تعالى فيها أطف وأرحمة:

حينما تشتدُّ الفتن على المؤمن، وتضيق به الحال، ويبحث عما يستأنس به وقت الفتنة، من فرج أو نصر أو تمكين أو إجابة لدعاء ونحوها من الألفاظ فإن الله تعالى يحفظ ذلك كله للعبد، إما يُعجِّلُه وإما يدَّخره لوقت هو أنسب له، وبالجملّة لن يُعَدَمَ العبد من أطف الله تعالى فهو الأقدر والأعلم بالحال، ولن يضيع عبده.

فقد جعل الله تعالى مع كل عسر يسرين، ومع الضيق شدّة، ومع كل اضطراب إجابة، وما على العبد إلا أن يتلمس هذه الألفاظ ويُلجُّ على الله تعالى بطلبها، فإن الله تعالى سيفتح له من تيسيره أكثر مما يرجوه مهما بلغت شدّة الفتنة عليه، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ

يُسْرًا ﴿٦﴾ [الشَّرح: ٥-٦].

قال السعدي رحمه الله: (وقوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾) بشارة عظيمة، أنه كلما وجد عسر وصعوبة، فإن اليسر يقارنه ويصاحبه، حتى لو دخل العسر جحر ضب لدخل عليه اليسر، فأخرجه كما قال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ ﴿٧﴾ [الطَّلَاق: ٧] وكما قال النبي ﷺ: «وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرا»، وتعريف «العسر» في الآيتين، يدل على أنه واحد، وتنكير «اليسر» يدل على تكراره، فلن يغلب عسر يسرين.

وفي تعريفه بالآلف واللام، الدالة على الاستغراق والعموم يدل على أن كل عسر - وإن بلغ من الصعوبة ما بلغ - فإنه في آخره التيسير ملازم له^(١).

وللمضطرّ الطاف لاسيما عند الفتن والنوازل لو تأملها لصرف جهده في طلبها، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

قال ابن كثير رحمه الله: (ينبه تعالى أنه هو المدعو عند الشدائد، المرجو عند النوازل، كما قال: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُ﴾ [الإسراء: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْعَرُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ [النحل: ٥٣]، وهكذا قال هاهنا: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢] أي: مَنْ هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه، والذي لا يكشف ضر المضرورين

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، تحقيق: د. عبد الرحمن ابن معلا اللويحق، ص ٩٢٩.

سواه^(١).

وقال السعدي رحمه الله: (أي: هل يجيب المضطرب الذي أقلقته الكروب، وتعسر عليه المطلوب، واضطر للخلاص مما هو فيه إلا الله وحده؟ ومن يكشف السوء أي: البلاء والشر والنقمة إلا الله وحده؟)^(٢).

والنصوص أكثر من أن تُحصى في هذا الباب، وإذا كان ذلك في كل بلاء يصيب المؤمن، فبلاء الفتن داخل في هذا لا محالة، لاسيما إن قرن العبد ذلك بالرضا والصبر والتعلق بالله تعالى ورجاء ما عنده، وجاهد نفسه في الحفاظ على دينه من الفتن، فمع كل ذلك حريٌّ بنيله ألطف الله تعالى ورحماته بإذن الله تعالى.

ومن ألطف الله تعالى للأمة في الفتن أن الله تعالى جعل لهذه الفتن ضمانات شرعية ومخارج تنجي العبد إن أخذ بها واعتصم بربه، كما تقدّم بيانه.

ومن ألطف الله تعالى أن يقيض لهذه الأمة عند الفتن واشتدادها من يقودها من عباد الله الصالحين، فالمهدي مثلاً يخرج الله في وقت تشدد فيه الأمور، وتكثر فيه الفتن، وتمتلئ الأرض جوراً، ويتسلط أعداء الله من الكفار على الأمة، فيكون خروج هذا العبد الصالح سبباً في إعزاز الدين وإعلاء كلمته.

وكذلك حين يخرج الدجال بفتنته وهي من أعظم فتن الدنيا، يُنزل الله تعالى على هذه الأمة عبده ورسوله عيسى بن مريم عليه السلام، فيقتل

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي السلامة، ٢٠٣/٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، تحقيق: د. عبد الرحمن ابن معلا اللويحق، ص ٦٠٨.

الدجال، والخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية، ويمكث بين ظهراني الأمة حتى عند خروج يأجوج ومأجوج، حتى يهلكهم الله تعالى، ثم يمكث في الأرض ما شاء الله ثم يموت عليه الصلاة والسلام.

ومن أطف الله تعالى بالعبد أن ما يصيبه من الفتنة والبلاء تمحيصاً له، ورفعته في درجاته عند الله تعالى.

قال ابن القيم رحمته الله: (إن ابتلاء المؤمن كالدواء له، يستخرج من الأدوية التي لو بقيت فيه لأهلكته، أو نقصت ثوابه، وأنزلت درجته، فيستخرج الابتلاء والامتحان منه تلك الأدوية، ويستعد به لتمام الأجر، وعلو المنزلة، ومعلوم أن وجود هذا خير للمؤمن من عدمه)^(١).



(١) حكمة الابتلاء، ابن القيم الجوزية، ص (٣٧-٣٨)، ط٦، دار السلام، مصر، القاهرة، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، حمداً يليق بجلاله على تواتر نعمه التي لا تُحصى، ومن ذلك ما أسبغه عليّ من التيسير فيما كتبت به وبحث فيه، فله الشكر والمنة، والفضل وتمام النعمة.

والصلاة والسلام على النبي الأكرم، الذي ترك أمته على خير هدى، وأوضح دلالة، من تمسك بها كان من أهل النجاة والفلاح، صلى الله عليه وعلى آله وذريته وصحبه إلى يوم الدين.

وبعد: فقد توصلت إلى مجموعة من النتائج والتوصيات من خلال هذا البحث المتواضع وهي كما يلي:

أولاً: النتائج:

- ١- أن الداعية في اللغة: من يدعو الغير إلى دين أو فكرة، والدُّعاة قومٌ يَدْعُونَ إلى بيعة هُدىٍّ أو ضلالة، وجاءت النصوص مبينة صحة إطلاق الداعية على داعي الهدى وداعي الضلال.
- ٢- أن الفتن في اللسان العربي أتت على عدة معان منها: الابتلاء، والاختلاف، والإعجاب بالشيء، والإحراق بالنار، والفضيحة، والعذاب، والقتل، والضلال، وفي الاصطلاح: هي ما يبيّن به حال الإنسان من الخير والشر، أو هي معاملة تُظهر الأمور الباطنة.
- ٣- أن المنهج في اللغة الطريق الواضح، وفي الاصطلاح: هو الطريق الصحيح الواضح الذي يسير عليه السالك وفق القواعد والركائز الأساسية في المجال المراد.

- ٤- أن في النصوص الشرعية ثروة كبيرة تبين حرص السلف على المنهج الشرعي عند الفتن، ومن ذلك عمل الصحابة رضي الله عنهم في تلقي نوع الفتنة والمخرج منها، وحفظها وتبليغها، فاستقى السلف ذلك وتدارسوه، وبَيَّنَّه لمن بعدهم، ومهمّة الداعية فقه ذلك وامثاله وبيانه للناس وبيان الضمانات الشرعية الواردة في النصوص، بحسب كل فتنة والمنهج الشرعي في التعامل معها.
- ٥- أن الفتن من حيث الوقوع تنقسم إلى قسمين: فتن حاضرة في واقع الناس، وفتن مقبلة يدرك الناس بعضاً منها، ومن الناس من يدركها كلها.
- ٦- أن الفتن الحاضرة تنقسم إلى قسمين: فتن شهوات وفتن شبهات.
- ٧- أن فتنة الدنيا سبب هلاك الأمم السابقة بعدما تنافسوها، وأصل أسباب فتنة الدنيا غفلة الأمة أو أفراد منها عن عظمة الآخرة وما إليه يصيرون، وذلك حينما تكون الدنيا هي هم المسلم، وهي ميدان تنافسه، فيركن إليها، ويعيش بين حطام الدنيا تاركاً مضمار الآخرة، فينشأ عن ذلك البعد عن طاعة الله تعالى وعن ذكره، والانشغال بالمحرمات والمنكرات مما تكون نتيجته الهلاك.
- ٨- أن من أهم الضمانات الشرعية للداعية وغيره من فتنة الدنيا: التعوذ منها كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم، وبيان حقارتها، وأن فتنتها ابتلاء للأمة كما ابتليت الأمم السابقة، فإذا استحضر الداعية وذَكَرَ مدعويه بذلك فقد انتهج النهج الشرعي لاتقاء فتنتها.
- ٩- أن من فتن الشهوات فتنة المال، وحب الإنسان للمال حباً فطرياً كما دلت الأدلة على ذلك، لكنه يتحول فتنة إذا هيمن على حياته

وأشغله عن آخرته، حتى صار المسلم عبداً وأسيراً لماله، والمعنى أنه لا يحب ولا يبغض إلا من أجله، فالمال معياره في الأرض ومع أهلها، وزينت له نفسه وجوه كسب المال بأي طريقة ولو كانت محرمة، بل لشدة الفتنة لا يبالي وإن أخذه من حرام.

١٠- أن من المنهج الشرعي للداعية مع فتنة المال، بأن ينظر للمال بأنه وسيلة لا مقصداً له في الحياة، فهو وسيلة لمستلزمات الحياة ولمن تحت يده من أهله، وهو وسيلة لحاجياته، وأعماله الدعوية، لا أن يكون مقصداً يشتغل به ليل نهار، غافلاً عن وظيفته الأخروية، فما عند الله خير وأبقى.

١١- ومن الضمانات الشرعية لفتنة المال التعوُّذ من فتنته كما فعل النبي ﷺ، وعدم الاستشراف له، وفهم الغنى الحقيقي وأنه غنى النفس.

١٢- أن فتنة النساء هي من أشد الفتن على الأمة لقول النبي ﷺ: «مَا تَرَكَتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ» بل لشدة الافتتان بالنساء أخبر النبي ﷺ عن أمرين في فتنة النساء:

أولاهما: بأن جعلها في مقابلة فتنة الدنيا بأكملها بما فيها من شهوات.

وثانيهما: أنها كانت سبباً في فتنة أمة من أمم الرسالة من قبلنا وهم بنو إسرائيل فقال «فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنَى إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ».

١٣- أن من المنهج الشرعي في التعامل مع فتنة النساء، توعية الداعية نفسه ومدعويه شدة هذه الفتنة وسرعتها على قلب العبد، وعليه أن يتحصن بغض البصر، وإعفاف النفس بالزواج الشرعي، والبعد عن

دواعي الفتنة من الاختلاط والتغريب، والتساهل بين الجنسين في الحديث والمعاملة.

١٤- أن من فتن الشهوات فتنة المحبوبات كالولد والزوجة والأهل والأقارب، فالله تعالى سمى الانشغال بالولد والزوجة والأهل فتنة، فهي اختبار وامتحان للعبد؛ لأن من الأولاد والزوجة من لا يأمر بطاعة ولا معروف، ولربما زين المعصية له، فمن انشغل بهذه المحبوبات عن طاعة الله تعالى وأمره، أو عصى الله بسببها أصابته فتنها، ومن راعى حق الله تعالى وتعامل مع هذه المحبوبات بالشكر والإعانة على الطاعة نجا من فتنها.

١٥- أن فتنة محقرات الذنوب: هي الذنوب التي يراها المسلم صغيرة فيحتقرها، ولا يبالي بملازمتها لكثرة اقترافها له، فتتوارد عليه الصغائر ولا يأبه بها، مستأنساً بكونها صغائر وأن عنده من المكفرات ما يمحوها، فتجتمع عليه حتى تهلكه.

١٦- أن النبي ﷺ ضرب مثلاً يوضح مدى تأثير محقرات الذنوب إذا اجتمعن، فكما أن العود الواحد يستهان بأثره في إيقاد نار، وصنع طعام، لكنه مع أعواد أخرى ينضج خبزاً يؤكل، فكذلك المحقرات إذا تابعت بمجموعها تصير صاحبها إلى الهلاك، وللهلاك أثر دنيوي: بحرمانه من لذة الطاعة والأنس بالله تعالى، وأخروي: بالمطالبة بما استهان به ومحاسبته عليها إن لم يكن منها تائباً، ولذا قال ﷺ في الحديث الآخر «إِنَّ لَهَا مِنَ اللَّهِ طَلِبًا».

١٧- أن على الداعية الحذر من نزغات الشيطان وإغوائه العبد، والتدرج في ذلك، وإن إيقاع العبد في محقرات الذنوب هي مرتبة من مراتب

الشیطان التي يسعى إليها.

١٨- أن فتن الشبهات هي الأخطر على قلب المسلم، لما فيها من الالتباس بخلاف الشهوات التي يكون العقل فيها مقراً بارتكاب الخطأ لكن طغى على القلب ما يعلقه بالشهوة، وأما الشبهات فإنه يتيه العبد فيها ويظنها حقاً للالتباس الذي لحق به، ويظل يصارع تلك الظلمات بعد حرمانه من نور الله تعالى الهادي للحق.

١٩- أن المقصود بفتنة الشياطين إغواء الشيطان وأعوانه بني آدم وإخراجهم من الطاعة للعصيان، وتزيين الباطل، وتليبس الحق وذلك بقذف الشبهات في العقول، وفتح الشهوات على القلوب.

٢٠- على الداعية أن يبين للمدعوين فتنة الشيطان ومداخله الخفية على العبد، وتزيينه الباطل، وتليبسه الحق فيشتبه عليهم، ويدلهم على الضمانات الشرعية الواردة في الكتاب والسنة للوقاية من فتن الشياطين ومن ذلك: الاستعاذة بالله من الشيطان ونزغاته، والانتهاز والبعد عما يوسوسه ويزينه الشيطان في قلب العبد، فلا يستجيب العبد لما يطرأ عليه من نزغات الشيطان بل ينته عن ذلك ليقطع عليه حبل الاستدرجات في الشبهات، ومن الضمانات اتخاذ الشيطان عدواً؛ لأن معرفة كونه عدو لا يكفي للنجاة من فتنه، بل لابد من اتخاذ عدواً، وذلك بعدم الاستجابة لنزغاته والبعد عن شبهاته ومداخله.

٢١- أن من الفتن: فتنة الأئمة المضلين من المتبوعين الذين يسوقون الناس إلى الضلال، إما قهراً من السلاطين المفسدين، أو تليبساً من دعاة الضلالة، لأن الإمام هو الرئيس والمتبوع، ولفظ الأئمة يشمل:

إمامة السلطة وإمامة الدين، وعلى الداعية أن يحذر من أن يكون هو رأساً في الضلال، فيقتدي به المجتمع.

٢٢- أن على الداعية تنبيه السلاطين وتذكيرهم والنصح لهم برفق ولطف عما غفلوا عنه، ولم يغلبهم من حقوق المسلمين، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر حسبما يقتضيه المقام من طريقة مناسبة، كما أن عليه حث المدعويين إلى الرجوع للعلماء الربانيين والدلالة عليهم، إذ قد يفتن الناس بدعاة ضلالة ظناً منهم أنهم على حق، وجهلاً منهم بالعلماء الربانيين المعتصمين بالكتاب والسنة.

٢٣- أن من الفتن المقبلة فتنة الهرج وهي ما يحصل في آخر الزمان من كثرة القتل بين المسلمين وشدته، حتى يصل الحال بأن لا يعرف القاتل فيما قُتل ولا المقتول لم قُتل؟ فعلى الداعية فقه هذه الفتنة وبيان المنهج الشرعي حيالها للمدعويين والضمانات الشرعية للنجاة منها.

٢٤- أن أعظم فتنة خافها النبي ﷺ على أمته، وكذا الأنبياء عليهم السلام من قبله فتنة الدجال، ولشدة أمر الدجال جاءت النصوص في وصفه وصفاً دقيقاً، في هيئته، ودعوته، ومكان خروجه، وأين سيذهب، وما معه، ومن معه، وكم يبقى، وكيف يفتن الناس، ومن يقتله إلى غير ذلك من الأوصاف المتعلقة به، وجاءت الأدلة مبينةً المنهج الشرعي في الحفاظ على النفس من الفتنة.

٢٥- أن من الفتن المقبلة فتنة الموت واختلف أهل العلم في المراد بفتنة الممات على قولين:

الأول: هي ساعة العبد الأخيرة في الحياة الدنيا وهي ساعة

الاحتضار، حيث إن الشيطان يتربص بالعبد في هذه اللحظات ليحمله على الجزع والقنوط.

القول الثاني: أن المراد بفتنة الممات ما يجري على الميت بعد موته من سؤال الملكين في قبره عن ربه ودينه ونبيه، ولكل واحد من القولين ضمانات ومنهج شرعي يختص به.

٢٦- أن الواجبات الشرعية لمنهج الداعية عند الفتن تنقسم إلى قسمين، واجبات عينية وواجبات كفاية.

٢٧- أن أول الواجبات العينية للداعية استشعار الأزمة في نفسه وبثها في المجتمع؛ لأنه إذا استشعر النازلة جاء بما يلزمها من واجبات أخرى وعرف الضمانات الشرعية لها.

٢٨- أن من أهم الواجبات أن يعلم الداعية أهمية صدق اللجوء إلى الله تعالى حال الفتن، ويحث الناس على ذلك، ويؤكد هذا الحبل الوثيق في حياتهم لاسيما وقت الفتن، فاللجوء بالدعاء والاستعاذة بالله تعالى والتعبّد له سلاح المؤمن وجنة المتقي.

٢٩- أن الإمساك عما لا يعلمه العبد من واجبات المنهج القويم عند الفتن؛ لما في القول بغير علم من مفسد أهونها تصوير المخرج من الفتنة تصويرا باطلاً لأنه مبني على قول باطل، وأهمية الرجوع للعلماء الراسخين في العلم والصدور عن رأيهم المستقى من الكتاب والسنة.

٣٠- أن الصبر وقت الفتن واجب له فضل كبير جاءت به السنة، فالصابر أجره مضاعف، وأمر النجاة والسعادة معلق به كما أخبر النبي ﷺ.

٣١- أن الفرار من الفتنة واجب عيني، وأن فقه العزلة والخلطة يختلف

باختلاف الحال والمكان والزمان، والمرجح أن الأصل في الداعية الخلطة عند الفتنة والصبر عليها، والأصل في عامة الناس عند الفتنة العزلة.

٣٢- أن من أهم الواجبات العينية حفظ اللسان واليد في الفتنة؛ لما في إطلاقهما من استثارة للفتنة وتفاقمها وعدم النجاة منها.

٣٣- أن من الواجبات الكفائية على الداعية الإقبال على طلب العلم؛ لبنى دعوته على علم يكون له ثباتاً، ولغيره دلالة إلى الرشد والمنهج القويم.

٣٤- أن معرفة مصادر الفتن وأسبابها من الأهمية بمكان للداعية ليتصور الفتن تصوراً واضحاً ومن أهم أسبابها مخالفة الشرع، وقلة العلم وظهور الجهل، والتهاون بالمنكرات، وأن على الداعية أن يشيع الوعي في المجتمع مع التوازن بين الأمن والخوف عند الطرح.

٣٥- أن أهم زاد للداعية عند الفتن كثرة العبادة واللجوء لله تعالى، فبه العصمة من الفتن، فعلى الداعية الاجتهاد فيه، وربط الناس بهذا الزاد وبيان أهميته لاسيما عند الفتن.

٣٦- أن توحيد الصف واجتماع الكلمة ونبذ التحزب والافتراق من أقوى عوامل القوة عند الفتن؛ لئلا يطمع الأعداء بالفرقة بين المسلمين، ويبثوا سمومهم وكفرهم وضلالهم.

٣٧- أن الاعتصام بالكتاب والسنة عصمة من كل فتنة، وهذا ضابط يجمع الضوابط كلها، بل كل ما يتعلق بالمنهج الشرعي عند الفتن داخل فيه ومتفرع عنه.

٣٨- أنه من شأن الفتن وأخبارها أن يعتريها الغموض والالتباس والحيرة

واختلال الموازين فتستلزم الدقة في تصويرها، ولذا الأصل في أخبار الفتن عدم ثبوتها إلا بعد الثبوت والتبني.

٣٩- أن الأصل لزوم جماعة المسلمين، والدخول تحت رايتهم، وهو أصل من أصول الإسلام، الأصل عدم الخروج على إمام المسلمين، ولزوم السمع والطاعة له في غير معصية، وحرمة الخروج عليه.

٤٠- أن الأصل في تنزيل أحاديث الفتن على ما يقع في حياة الناس من فتن حاضرة أو أشخاص بعينهم الرد، سداً لذريعة التقؤل والتخرص على نصوص الفتن بغير علم، والتساهل في هذا الباب، وأنه يجوز التنزيل بضوابط أهمها:

أ- الاقتصار في التنزيل على نصوص الوحيين، والتأكد من صحتها لفظاً ومعنى.

ب- أن يكون التنزيل بعيداً عن التكلف

ج- التحقق من طبيعة الواقعة واستكمالها للأوصاف الواردة في النص

د- التأني في التنزيل ومراجعة أهل العلم

٤١- أن الشرع ما ترك فتنة مؤثرة إلا وصفها ووصف مخارجها، وأن الله تعالى الطافاً ورحمة في أوقات الاضطراب والكرب والفتن ينبغي للعبد أن يتلمسها ليظفر بها.

ثانياً: التوصيات:

١- حث الدعاة إلى الله تعالى على فقه المنهج الشرعي المستمد من الكتاب والسنة عند الفتن، وذلك من خلال إقامة الندوات

والمؤتمرات والمحاضرات والدورات العلمية التي تعني بطرح فقه الفتن.

٢- إقامة ملتقيات دعوية واسعة النطاق بحيث تشمل العالم الإسلامي تناقش المنهجية الشرعية الدعوية عند الفتن وما يتصل بها، ويكون التركيز فيها على الفتن المعاصرة وكيفية التعامل معها وتناول ضماناتها الشرعية.

٣- تشجيع البحوث والدراسات الدعوية، وحث طلاب الدراسات العليا لدراسة وتأصيل بعض المسائل المعاصرة المتعلقة بالمنهج الشرعي للداعية عند الفتن وربطها بالكتاب والسنة.

٤- أن يجتهد الدعاة في توعية الجيل الجديد بالمنهج الشرعي عند الفتن، وربطهم بالكتاب والسنة وتلقي الفهم الصحيح لهما من العلماء الربانيين الراسخين بالعلم، مع تحذيرهم من الأفكار التي تقدح بالاعتقاد، والأفكار التي تتناول الفتن بطريقة مخالفة للشرع، والحد من تلقي فقه ما يدور في الفتن من الجهال والمتعالمين والمضلين.

٥- لزوم الدعاة إلى الله تعالى جماعة المسلمين وعلمائهم وإمامهم، وإدراك أهمية ذلك في اجتماع الكلمة وتوحيد الصف والالتفاف على نصوص الكتاب والسنة الآمرة بذلك.

٦- أن يدرك الدعاة أهمية التأنّي والحكمة والصبر وقت الفتن، وأهمية الصدور عن آراء العلماء الربانيين الراسخين في العلم في الوقائع النازلة والفتن المعاصرة، وأن ردّ هذه المسائل لأهل العلم المعروفين بالتمسك بالكتاب والسنة هو المنهج الشرعي القويم عند الفتن.

فهرس المراجع والمصادر

- ١- إتحاف الإخوان بما جاء من الفتن وأشرط الساعة في آخر الزمان، أحمد بن عبدالله حمدي، ط١، دار الشريف، الرياض، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.
- ٢- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، ابن القيم الجوزية، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- ٣- آداب التعامل مع الفتن، فيصل بن عبده الحاشدي، دار الإيمان، مصر، الإسكندرية.
- ٤- أشرط الساعة، يوسف بن عبدالله بن يوسف الوابل، ط١٤، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢١هـ.
- ٥- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي، دار الفكر، لبنان، بيروت، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- ٦- إعلام الموقعين عن رب العالمين، أبو عبد الله ابن القيم الجوزية، تحقيق: طه عبدالرؤف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.
- ٧- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. ناصر عبدالكريم العقل، مكتبة الرشد، الرياض.
- ٨- بدائع الفوائد، ابن القيم الجوزية، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا وآخرون، ط١، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
- ٩- البحث العلمي، د. عبدالعزيز بن عبدالرحمن الربيع، ١/ ١٧٨، ط٢،

- المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤٢٠هـ.
- ١٠- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، ١٦٧/٤-١٦٩، المكتبة العلمية، لبنان، بيروت.
- ١١- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزيّدي، دار الهداية.
- ١٢- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ط ١، مؤسسة التاريخ العربي، لبنان، بيروت ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
- ١٣- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، محمد بن عبدالرحمن المباركفوري، دار الفكر.
- ١٤- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي، تحقيق: الصادق بن محمد إبراهيم، ط ١، مكتبة دار المنهاج، الرياض ١٤٢٥هـ.
- ١٥- تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، لبنان، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- ١٦- تفسير القرآن الحكيم المعروف ب(تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م.
- ١٧- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ٨/٢، ط ٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ١٨- التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم

- الأيباري، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ١٩- التفسير الحديث، محمد عزت دروزة، دار إحياء الكتب العربية، مصر، القاهرة ١٣٨٣ هـ.
- ٢٠- التوقيف على مهمات التعريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، ط دار الفكر، بيروت، دمشق، ١٤١٠هـ.
- ٢١- التيسير بشرح الجامع الصغير، الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، ط ٣، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- ٢٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: د عبدالرحمن ابن معلا اللويحق، ط مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ٢٣- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين القرطبي، تحقيق: سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض ١٤٢٣هـ، / ٢٠٠٣م.
- ٢٤- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط ١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
- ٢٥- جامع العلوم والحكم، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ط ١، دار المعرفة، لبنان، بيروت، ١٤٠٨هـ.
- ٢٦- حكمة الابتلاء، ابن القيم الجوزية، ط ٦، دار السلام، مصر، القاهرة، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- ٢٧- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني،

- ط ٤، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ٢٨- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: مركز هجر للبحوث، دار هجر، مصر، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- ٢٩- الزهد والورع والعبادة، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: حماد سلامة، محمد عويضة، ط ١، مكتبة المنار، الأردن.
- ٣٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الآلوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٤١٥هـ.
- ٣١- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان البستي أبو حاتم، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.
- ٣٢- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، ط ٢٧، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الكويت، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
- ٣٣- سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، مكتبة أبي المعاطي، ط ١، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- ٣٤- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت.
- ٣٥- السنن الواردة في الفتن، الإمام المقرئ عثمان بن سعيد الداني، اعتناء، نضال بن عيسى العبوشي، ط ٣، بيت الأفكار الدولية، الأردن.

- ٣٦- شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، محمد بن صالح العثيمين، تحقيق: أحمد بن عبدالرزاق البكري وآخرون، ط ١، دار السلام، مصر، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢ م.
- ٣٧- شرح سنن أبي داود، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى الحنفى بدر الدين العيني، تحقيق: أبي المنذر خالد بن إبراهيم المصري، ط ١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.
- ٣٨- شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، ط ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢ م.
- ٣٩- شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطلال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط ٢، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣ م.
- ٤٠- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، ط ٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- ٤١- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد أبو عبد الله البصري، تحقيق: إحسان عباس، ط ١، دار صادر، لبنان، بيروت، ١٩٦٨ م.
- ٤٢- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن قيم الجوزية، ط ٣، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ودار التراث، المدينة المنورة، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩ م.
- ٤٣- العزلة، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي، ط ٢، المطبعة السلفية، مصر، القاهرة، ١٣٩٩ هـ.
- ٤٤- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين أبو محمد محمود أحمد العيني، ضبطه وصححه: عبدالله محمود محمد عمر، ط ١، دار الكتب

- العلمية، لبنان، بيروت، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.
- ٤٥- عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبو الطيب محمد شمس الحق المشهور ب(العظيم آبادي)، تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، ط٢، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.
- ٤٦- غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، ط٢، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- ٤٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩م.
- ٤٨- الفتن المعاصرة والمخرج منها، فضيلة الشيخ عبدالله بن حسن بن قعود، إعداد وتحقيق: نايف بن محمد العصيمي، ط١، مدار الوطن، الرياض، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- ٤٩- الفتن والبلايا والمحن، سلطان العلماء العز بن عبدالسلام، تحقيق: إياد بن خالد الطباع، ط٢، دار الفكر المعاصر، لبنان، بيروت، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- ٥٠- الفتن وموقف المسلم منها، أ د علي بن سعد الضويحي، ط١، دار ابن الجوزي، الرياض، ١٤٢٨هـ.
- ٥١- الفتنة وموقف المسلم منها، د محمد بن عبدالوهاب العقيل، ط١، دار أضواء السلف، الرياض، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- ٥٢- فقه التعامل مع الفتن، زين العابدين بن غرم الله الغامدي، ط١، دار الهدي النبوي، مصر، المنصورة، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- ٥٣- فقه الفتن دراسة في ضوء نصوص الوحي والمعطيات التاريخية لسلف

- الأمة، د عبدالواحد إدريس الإدريسي، ط١، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ١٤٢٨هـ
- ٥٤- الفوائد، ابن القيم الجوزية، ط٢، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م.
- ٥٥- فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م.
- ٥٦- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مادة (الدعاء)، ص ١٢٨٣، ط٦، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م.
- ٥٧- كتاب الفتن، نعيم بن حماد المروزي، تحقيق: سمير الزهيري، ط١، مكتبة التوحيد، مصر، القاهرة، ١٤١٢هـ.
- ٥٨- كشف المشكل من حديث الصحيحين، أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧ م.
- ٥٩- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، مادة (دعا)، ١٥٧/١٤-١٥٩، ط١، دار صادر، بيروت.
- ٦٠- مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار، ط٣، دار الوفاء، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.
- ٦١- مخارج من الفتن، مصطفى العدوي، ط١، دار بلنسية، الرياض، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م.

- ٦٢- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، ط١، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.
- ٦٣- مختصر الفتن والملاحم، الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير، اختصار: زياد نقشبندي، ط١، دار الرؤية، سوريا، دمشق، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م.
- ٦٤- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام المباركفوري، ط٣، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفية، الهند، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.
- ٦٥- مسائل في الفتن، فيصل بن حيّان آل صباح، ط١، مؤسسة الريان، لبنان، بيروت، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.
- ٦٦- معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه محمد عبدالله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، ط٤، دار طيبة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- ٦٧- معالم السنن، أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابي، ط١، المطبعة العلمية، سوريا، حلب، ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م.
- ٦٨- معالم في التعامل مع الفتن، محمد بن إبراهيم الحمد، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م.
- ٦٩- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.
- ٧٠- مفاتيح الغيب، الإمام محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت.
- ٧١- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، الحافظ أبو العباس أحمد

- بن عمر بن إبراهيم القرطبي، تحقيق: يوسف علي بديوي وآخرون، ط٣، دار ابن كثير، سوريا، دمشق، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥ م.
- ٧٢- منحة العلام في شرح بلوغ المرام، عبدالله بن صالح الفوزان، ط١، دار ابن الجوزي، الرياض، ١٤٢٧هـ.
- ٧٣- منهاج السنة النبوية، شيخ الإسلام بن تيمية، تحقيق: أ د محمد رشاد سالم، ١٨٧/٤، ط١، مؤسسة قرطبة.
- ٧٤- المنهج الشرعي في مواجهة الفتن، مرفت بنت كامل أسرة، ط١، مدار الوطن، الرياض، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠ م.
- ٧٥- الموسوعة الفقهية: الموسوعة الفقهية الكويتية، صادرة عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ط٢، الكويت، دار السلاسل.
- ٧٦- الموسوعة في الفتن والملاحم وأشرار الساعة، د محمد بن أحمد المبيض، ط٢، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠ م.
- ٧٧- النكت على كتاب ابن الصلاح، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، ط١، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤ م.
- ٧٨- واجب المسلم عند الفتن، باسل بن سعود الرشود، ط١، من إصدارات مجلة البيان، الرياض، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣ م.



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
أهمية الموضوع	٥
أسباب اختيار الموضوع	٧
أهداف البحث	٨
تساؤلات البحث	٨
الدراسات السابقة	٨
منهج البحث	١٢
تقسيمات الدراسة	١٣
الفصل التمهيدي	١٧
أولاً: التعريف بالداعية	١٧
ثانياً: التعريف بالفتن	١٩
ثالثاً: التعريف بالمنهج الشرعي	٢٣
عناية السلف بالمنهج الشرعي عند الفتن	٢٤
الفصل الأول	
أنواع الفتن ومنهج الداعية الشرعي منها	٣٣
المبحث الأول: الفتن الحاضرة، ومنهج الداعية الشرعي منه	٣٥
المطلب الأول: فتن الشهوات	٣٦

- أولاً: فتنة الدنيا ٣٦.
- فقه الفتنة ومنهج الداعية الشرعي منها ٤٠.
- ثانياً: فتنة المال ٤٦.
- فقه الفتنة ومنهج الداعية الشرعي منها ٤٨.
- ثالثاً: فتنة النساء ٥٧.
- فقه الفتنة ومنهج الداعية الشرعي منها ٥٩.
- رابعاً: فتنة المحبوبات ٧٠.
- فقه الفتنة ومنهج الداعية الشرعي منها ٧١.
- خامساً: فتنة محقرات الذنوب ٧٩.
- فقه الفتنة ومنهج الداعية الشرعي منها ٨٠.
- المطلب الثاني: فتن الشبهات ٨٧.
- أولاً: فتنة الشياطين ٨٨.
- فقه الفتنة ومنهج الداعية الشرعي منها ٨١.
- ثانياً: فتنة الأئمة المضلين ١٠٠.
- فقه الفتنة ومنهج الداعية الشرعي منها ١٠٢.
- المبحث الثاني: الفتن المقبلة، ومنهج الداعية الشرعي منها ١٠٨.
- أولاً: فتنة الهرج ١٠٨.
- فقه الفتنة ومنهج الداعية الشرعي منها ١١٠.
- ثانياً: فتنة الدجال ١١٥.
- صفة الدجال ١١٦.
- خروج الدجال وفتنته ١١٨.
- فقه الفتنة ومنهج الداعية الشرعي منها ١٢٤.
- ثالثاً: فتنة الممات ١٣٢.

- فقہ الفتنة ومنهج الداعية الشرعي منها ١٣٤
- رابعاً: فتنة القبر ١٤٠
- فقہ الفتنة ومنهج الداعية الشرعي منها ١٤٥

الفصل الثاني

- الواجبات والضوابط الشرعية لمنهج الداعية عند الفتن ١٤٩
- المبحث الأول: الواجبات الشرعية لمنهج الداعية عند الفتن ١٥١
- المطلب الأول: الواجبات العينية المتعلقة بمنهج الداعية عند الفتن .. ١٥٣
- ١- استشعار أزمة الفتنة ١٥٣
- ٢- اللجوء إلى الله بالدعاء والتعوذ به من الفتن ١٥٧
- ٣- الإمساك عما ليس له به علم ١٥٩
- ٤- لزوم العلماء الربانيين واتباعهم ١٦٣
- ٥- الصبر ١٧١
- ٦- الفرار من الفتن وترك أرضها ١٧٥
- ٧- حفظ اللسان في الفتنة ١٨٦
- ٨- كف اليد في الفتنة ١٨٩
- المطلب الثاني: الواجبات الكفائية المتعلقة بمنهج الداعية عند الفتن ١٩٠
- الإقبال على طلب العلم والتفقه والتعليم ١٩٠
- معرفة الداعية مصادر الفتن وأسبابها ١٩٢
- إشاعة الوعي بين المدعوين ١٩٧
- تغيير المنكر ٢٠٠
- حث المدعوين على العبادة واللجوء إلى الله في الفتنة ٢٠٢
- التوازن في تناول الفتنة النازلة بين الأمن والخوف ٢٠٤
- اجتناب الجدل والتحزب الذي ربما يطرأ وسط الدعاة ٢٠٦

المبحث الثاني: الضوابط الشرعية لمنهج الداعية عند الفتن	٢١٠.....
الضابط الأول: الاعتصام بالكتاب والسنة عصمة من كل فتنة	٢١٠.....
الضابط الثاني: التبيين والتثبت في معرفة وثبوت أخبار الفتن الحاضرة	٢١٤...
الضابط الثالث: أصل الانتماء في الفتن للجماعة ولزوم السمع	
في المعروف	٢٢٠.....
الضابط الرابع: كل عبادة هي في الفتن أفضل من غيرها	٢٢٦.....
الضابط الخامس: الحق واضح جلي حتى وقت الفتن	٢٣٤.....
الضابط السادس: الأصل في تنزيل أحاديث الفتن على الأزمان	
والأشخاص الرد	٢٣٦.....
الضابط السابع: كل فتنة كبيرة مؤثرة في الأمة فهي موصوفة في الشرع	٢٤٥...
الضابط الثامن: كل فتنة، لله تعالى فيها ألطف ورحمة	٢٤٦.....
الخاتمة	٢٥١.....
فهرس المراجع والمصادر	٢٦١.....
فهرس الموضوعات	٢٧١.....

